البعد الوطني لثورة الأوراس 1916

البعد الوطني لثورة الأوراس 1916

تحرير
الأستاذ الدكتور: حسين قادري
جامعة باتنة 1

سلسلة دراسات أكاديمية (27)
مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق
جامعة باتنة -1- الجزائر
كل الحقوق محفوظة

مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق
كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة باتنة1 - الجزائر
E- mail:lsh@univ-batna.dz
الرقم التسلسلي للناشر740-9931

البعد الوطني لثورة الأوراس 1916

حسين قادري

الناشر: مخبر الأمن الإنساني: الواقع، الرهانات والآفاق

الطبعة الأولى

الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2020
ISBN 978-9931-740-28-5-ك .م. د .ر

Copyright© LSH-AEP 2020

البعد الوطني لثورة الأوراس 1916

تحرير

أ.د. حسين قادري

المشاركون:

- أ. بلقاسم وزاني
- أ.د. حسين قادري
- أ.د. يوسف بن يزة
- أ.د. السعيد رحماني
- أ. فاتح زياني
- أ. سمية حذفاني
- أ. لخميسي سليماني
- د. نور الدين بن قويدر
- د. سليم درنوني
- د. جمال بلفردي

فهرس المحتويات

العنوان		الصفحة
مقدمة		9
ثورة 1916 بناحية بلزمة وما نـــجم عنها	أ. بلقاسم وزاني	13
ثورة الاوراس 1916: قراءة في وثائق وتقارير الإدارة الاستعمارية	أ.د. حسين قادري	27
دور الزوايا والكتاتيب القرآنية في ثورة 1916 بالأوراس	أ.د. السعيد رحماني	105
ثورة الأوراس 1916 وتحليلها في المجتمع الجزائري: دراسة سوسيو– انثروبولوجية	أ. فاتح زياني	117
التجنيد الإجباري كمفسر بنيوي لإندلاع ثورة الأوراس 1916	أ. سمية حذفاني	135
ثورة الأوراس 1916 بمنطقة بلزمة بقيادة عمر أو موسى	أ. لخميسي سليماني	159
الذاكرة الشفاهية وأسطورة الثائر "بن زلماط": مقاربة أنثروبولوجية	د. سليم درنوني	175
البعد الوطني لثورة الأوراس 1916	د. نور الدين بن قويدر	209
السياق الدولي لثورة 1916 في منطقة الأوراس	أ.د. يوسف بن يزة	223
La révolution des aurès selon le rapport d'Octave Dupont 1917	D. Djamel Belferdi	231
الخاتمة		243

مقدمــة

مثلت منطقة الأوراس عبر التاريخ رمزا من رموز الصمود ضد الإعتداءات الخارجية المختلفة، وقدم سكان هذه المنطقة التضحيات الجسام، وكان آخرها ضد الإستعمار الفرنسي منذ وصوله للمنطقة إلى غاية إعلان الإستقلال 05 جويلية 1962، ولصعوبة التطرق إلى كل الحقب التاريخية الحافلة خلال مسيرة هذه المنطقة في وقفة واحدة، استوقفتنا الذكرى المئوية لثورة الأوراس 1916، والتي لم تكن عفوية في شكلها، أو توقيتها كما في مجرياتها ونتائجها.

بقدر ما كانت الثورة ردّ فعل نتيجة الإفرازات السلبية للسياسة الفرنسية في الجزائر، بقدر ما ساهمت ارهاصات المقاومات الشعبية التي كانت كالنار في الهشيم موزعة على ربوع القطر الجزائري، والسبب في ذلك السياسة التعسفية الفرنسية ضد كل ما يرمز للجزائر من مقدسات، وهوية، وأمة، وعلى غرار باقي مناطق الجزائر عرفت منطقة الأوراس مقاومة شديدة للقوانيين الإدارة الإستعمارية، والممارسات التعسفية التي حملتها القوانيين الفرنسية، من قانون الأنديجينا" الأهالي"، وقانون الغابات، ومصادرة الأراضي، وتمليكها للمعمرين، ولم يكن قانون التجنيد الإجباري بأفضل حال ممن سبقته من القوانيين، بل وزاد الطينة بلة، وفتح شرخا في العلاقة التي تربط الجزائريين بالإدارة الفرنسية التي سعت لتعويض ذلك النقص في البنية البشرية للجيش الفرنسي، وقد أقضى هذا القانون بإجبارية التجنيد الإجباري للشباب الجزائري للدفاع عن شرف والراية الفرنسية المنتهكة من قبل القوات الألمانية إبان الحرب العالمية الأولى.

في سياق هذا الرفض، تولدت مقاومة شعبية ضد مظالم الإستعمار الفرنسي، حيث عبر سكان الأوراس عن ذلك في احتجاجات متكررة، ومستمرة منذ 1848، ومرورا بسنوات 1871، انتهت بهجومات على رموز السيادة الإستعمارية في مناطق مختلفة من الأوراس الغربي عين التوتة، وبريكة وضواحيها، وبومقر، ونقاوس، ومروانة، وبلزمة، ووادي الماء، وفي الأوراس الشرقي خلال شهر نوفمبر 1916، كتعبير صريح على عزم سكان المنطقة

لإستخدام كل وسائل المقاومة لحفظ كرامتهم والدفاع عن ممتلكاتهم، وهذا في عز الحرب الكونية الأولى، في الوقت الذي كان فيها الفرنسيون في أوربا يتلقون الخيبات والمأسي من طرف القوات الألمانية.

إن تضافر دواعي، وظروف الساحتين الداخلية والخارجية على سلطات الاحتلال الفرنسية، اجتهدت قواتها المرابطة بالجزائر إلى الإنتقام من السكان العزل شر إنتقام، وإنتهت هذه الثورة في آواخر 1917 بعد تصفية قيادتها بإعدام البعض ونفي البعض الآخر، ناهيك عن الغرامات التي أثقلت كاهل ساكنة الأوراس.

بالرغم من عدم التكافؤ في الإمكانيات والوسائل بين الطرفين، وهذا من خصائص المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر ضد المستعمر الفرنسي، إلاّ أن ثورة الأوراس 1916 عبرت مرّة أخرى عن قوة إرادة الشعب الجزائري بصفة عامة، والأوراسي بالذات، وإصراره الدائم عن رفض السيطرة والتسلط إلى أن عاود المحاولة أبناء وأحفاد هذا الجيل بعد ثلاثة وأربعين سنة، وفي ذات الشهر لبعثها وإعلانها مدوية في الفاتح من نوفمبر 1954، وشعارها:" يا فرنسا قد مضى وقت العتاب".

إحياءا لهذه الذكرى، بادر مخبر الأمن الإنساني بجامعة باتنة1 إلى تنظيم ملتقى وطني علمي حول ثورة الأوراس 1916 بالتعاون مع جمعية ثورة 1916 برئاسة الدكتور أحمد بيطام، من أجل إلقاء الضوء على مجرياتها وحيثاتها من خلال ثلاثة محاور. الأول تطرق إلى الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية في منطقة الأوراس، ومهدت بشكل أو بآخر في اندلاع الثورة، والثاني بمجريات أحداثها منذ ليلة 11 نوفمبر 1916 ومسارها، وكيف إنتشرت في جبال الأوراس من الغرب إلى الشرق، وكيف تم إخمادها ظلما وبطشا وعدوانا وقهرا من طرف القوات الفرنسية؟ دون سماع صوت ومطالب الثوار، ويوحي هذا الأمر أن الشعب مستعد للشهادة، أو النصر على الغاشم الفرنسي، ويضرب له موعدا آخر في أحد ليالي ذات الشهر 1954.

بينما وقف المحور الثالث والأخير على الإفرازات والإنتكاسات التي خلفتها الثورة داخليا وخارجيا القريبة منها والبعيدة المدى، وشكلت في

مجموعها لبنة وإضافة مهمة في زيادة إنماء وعي الشعب الجزائري الذي تحرك بفاعلية أكثر في المواعد اللاحقة ضد الإستعمار الفرنسي.

تم تغطية هذه المحاور بمجموعة من المداخلات التي تباينت في نسقها التحليلي، عما هو متعارف من الكتابات التي دونت لهذا الحدث المحلي في إنطلاقته، والوطني في أبعاده وأهدافه، بعض المداخلات تطرقت إلى الجانب النظري المفسر للسلوك السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي والديني للثورة، وتناولت أخرى في متونها كرنولوجيا أحداث الثورة على إمتداد حيزها الجغرافي" أسباب، ومسار ونتائج الثورة داخليا وخارجيا"، بينما ذهب آخرون إلى إبراز المخاطر التي تضمنها قانون التجنيد الإجباري كمصدر لغالبية النتائج السلبية التي حملته مواده، بالرغم أنه سبب بنيوي مفسر لتشكيل الوعي السياسي لدى الأوراسيين، في الوقت الذي دندنت فيه دراسات أخرى حول الثورة من خلال وثائق وتقارير الإدارة الفرنسية على غرار التقرير الذي أعده المفتش العام للبلديات المختلطة "أوكتاف ديبون"، في سبتمبر 1916 والذي يعد من المصادر الأساسية التي إرتكزت عليه غالبية الكتابات التي أرخت لثورة الأوراس 1916، حتى وإن كان صاحبه قد أعمته عصبيته وحقده الدفين والشديد لكل ما هو جزائري.

وإذا نشكر كل الذين ساهموا في إحياء هذه المناسبة بأي شكل كان، فإن هذه المبادرة ماهي الا استكمال للبناء التاريخي في شق الكتابة التاريخية حول المنطقة، نشكر من خلالها الأستاذ الباحث عبد الحق بن زايد، لما زودنا به من وثائق من أرشيف ما وراء البحار في مدينة أكس أون بروفانس الفرنسية، ونتمنى أن يتدعم هذا العمل بمحاولات علمية أخرى تكون في مستوى سياق الحدث، سواء تلك الخاصة بهذه المبادرة، أو بغيرها من المحاولات والجهود التي من شأنها زرع أمل يقوم على معادلة:" عدم نسيان الماضي، والعيش بكرامة في الحاضر، والعمل من أجل مستقبل أفضل".

أ.د. حسين قادري
مدير مخبر الأمن الإنساني
جامعة باتنة 1

ثورة 1916 بناحية بلزمة وما نجم عنها[1]

أ.بلقاسم وزاني

مقدمة

باعتباري الوحيد الذي عايش جيل هذا التاريخ وهذه الثورة التي تدخل في المسار الطويل للانتفاضات التي ما أنفك الشعب الجزائري يلاحق بعضها البعض وحتى أول نوفمبر العظيم، أين تمكن من استرداد حقه المغصوب وإلحاقه لغاصبه أكبر خسارة عرفها التاريخ المعاصر بعد ثورة الفيتنام، وإني لمعيد قراءتها على مسامعكم كما هي بطلب من الإخوة أعزهم الله وهم الأساتذة حسين قادري، بيطام وبوهنتالة.

قد أكون برأت نفسي وسكن توتري جراء الكابوس الذي أرقني لما أشعر به من ثقل الأمانة التي كنت والله أعلم أحس أني لم أبلغها أهلها وها أوانها قد جاء وبي ومضة من الحياة، فالمرء في هذه البسيطة كمستظل شجرة لم يلبث ظلها أن يتجاوزه فيواصل المسيرة لخنف أنفه دون شعور منه إلا من رحم ربنا، وأوتي عقلا فكارا.

أكون متطاولا اذا زعمت أني أتيتكم بما لم يأت به أوائلنا، غير أني أحس وقد يكون حدسي مقبولا عندكم أن جيلي وجيل من قبلنا لم توفر لهم الظروف ما وفرت لي حتى يبلغوا ما عندهم من الأسرار للأجيال التي تلاحقت بعدهم، ولعلي الوحيد في عرش حيدوسة من استطال عمره وتمكنت من تقديم ما عشته وعايشته، فسنة 1916 سبقت مجيئي إلى هذا المحشر أو هذا البساط بخمسة عشرة سنة وهي في العمر العادي قليلة، سمعت عنها الكثير حتى من والدي ووالدتي رحمهما الله، والعديد ممن عاشوا الملحمة كما سيأتي في مضمون هذه المداخلة، ولا أقول المحاضرة، فتلك لعمالقتها وما العبد الضعيف من مشيختهم، تتضمن العناصر الاتية:

1- أسباب ثورة سنة 1916 بالأوراس البعيدة منها والقريبة 1870 إلى 1880، تأميم أو مصادرة الأراضي، وتشريد السكان وتشتيتهم، تقسيم وتوزيع هذه الأراضي على المدمرين.

[1]- قدمت هذه المداخلة ببلدية حيدوسة بتاريخ: 2016/05/04 بطلب من اللجنة الثقافية المكلفة بإحياء مناسبة مرور قرن عن ثورة 1916 كما تعرف عند المواطنين.

2- التحضير لهذه الثورة في شقها الشمالي الذي يشمل بلزمة وبالتحديد ثلاثة أعراش: حيدوسة، أولاد فاطمة وجزءا من أولاد سلطان ولحليمية وأولاد منعة.

3- المعارك أو الحوادث التي وقعت أثناء هذه الفترة.

4- ما نجم عن هذه الثورة من تحطيم وتدمير وتفتيت وتسجين.

5- تاعظميت وما أدرك ما تاعظميت وكيان وعين الصفراء وسيدي عيسى.

6- مصير أو نهاية قائد هذه الناحية عمر وموسى عقيني، أو أسد مستاوة كما يحلو للمواطنين أن يسموه.

العرض

1- تذكرنا سنة 1871 بثورة المقراني والشيخ الحداد التي تشمل بجاية حاليا وجزءا كبيرا من البرج، فهذه الثورة طال لهيبها ووصل إلى الأوراس التي لا يعرف سكانها الاستكانة للراحة والعدو على كواهلهم، فهم الأحرار أبناء الأحرار، ووصفهم من قبل المؤرخ أبن خلدون أنهم لا يتساكنون مع الدخيل إن أراد استغلالهم، فهم الأمازيغ الأحرار، فقاموا بدورهم بالثورة حتى لا تنحصر بجبال ووهاد الصومام وسكان بلزمة من الأوراس، فكانوا الأوائل بزعامة سليمان بن أدروعي وأحمد إبن دغاش- هذا الموضوع يرجئ لمناسبة أخرى- أوردته لكونه يمثل أحد الأسباب المذكورة في المقدمة، وما إن انتهت أو فشلت هذه الثورة 1871 حتى طفق العدو يصدر قوانين تلو القوانين تعمل كلها لصالح العدو والقضاء على كل من شارك في هذه الثورة من بعيد، أو قريب ومنها مصادرة الأراضي وتهجير السكان.

كان عرش حيدوسة ضمن هاته الأعراش التي صودرت أراضيها وهجر سكانها ثم قدمت لشركات أجنبية استقدمت من أوروبا ومن أراد من أصحاب الأرض الأصليين كراء جزء منها فله ذلك، كما لو أنه أجنبي فهجر العرش من هاجر بحثا عن لقمة العيش، وفرارا من بطش الوافدين، فمنهم من اتجه نحو الشمرة وعين مليلة وانتهى بهم المطاف بعين البيضاء، ومنهم

من استقربه المقام في سقان عرش هناك من بلزمة، ومنهم من انتقل إلى تبالغه بعين جاسر، فالموضوع واسع لفرصة أخرى.

قسمت هذه الأراضي في سنة 1903 على همج أوربا من فرنسيين وايطاليين ومالطيين واسبانيين بمعدل 59 هكتار+ هكتار واحد على الماء، وأنشأت لهم قرية بمكان إسمه كورناي - مروانة حاليا - وطوقت الجبال بحراس بتطاوين وإنشارن، وركبت الجمل وإيمنارن، فالمدمرون لهم حراسهم شمبيط– والغابة حراسها القارط، فضاقت الأرض بما رحبت على السكان فحاولوا التنفيس بعض الشيء من هذا الخناق، فراحوا يناوشون بهذه السيقان السوداء كلما سنحت الفرصة لذلك، فقتلوا حارس الماء بقرية اقرادو اسباني الأصل ومازال مكان مدفنه يعرف بحجرة اسبنيولي، كما قتلوا حارس الغابة بركبة الجمل وأخذوا سلاحيهما، وبلغ عدد هؤلاء المغتصبين 28 كولوني في عرش حيدوسة وحده، لكل واحد منهم كما ذكرت 50 هكتار x 28 =1680هكتار، تلكم هي أرض عرش حيدوسة التي يتجاوز تعداد سكانها 24 ألف نسمة، فهم العرش الثاني في التعداد بعد أولاد سلطان كما جاء في مجلة الأصالة عدد 96/62 بتاريخ نوفمبر 1978.

وفيما يلي إذا شئتم أسماء هؤلاء الانذال حسب تواجدهم فوق هذه الأرض المعطاء بين وادي الماء (برنال) ثاني قرية ومروانة (كورناي) حتى مشارف بريش:

بلازو، فابر وروشي بثنية البيضاء، بتيس، جارب، أميو وشابليون بعلي النمر حاليا. تریاتشی ببویعقاقن. روكس بإمنارن. روش بإزليمه. انفوس بأم الرخاء. ميشال بإيمعروفن. فرياس وقومبة بوادي مروانة، بيلو بمقبرة الزيتون بأقرادو وتافرنت. مرطه، بولارجان، إيبار وقاله بأقرادو. ومينيكو وقيبير وأولاده جنوب بلدية مروانة. وأبناء قيبير هم: جوليان الذي قضي على ابنه وهو يحرث والسلاح على ظهره متحديا الثورة والثوار بواسطة الشهيد بوعتاب خلال الثورة التحريرية، دريان، جيلبار وأوبير.(قرية لحنافرة حاليا)، ومازال اسم ابنة الطرشاء تتسمى به هذه القرية كما لو كانت شهيدة شأنها شأن قرية علي النمر، وما أدراك ما علي النمر، بوزو حارس الغابة في عهد الاستدمار، وأولاد أطوان شرق مدينة مروانة.

بهذا الصدد أذكر حادثة وقعت مع هذا المغفل أو المتغافل الذي بقي حتى الاستقلال، فهاجم المواطنون على أرضه المغتصبة من أجدادهم وراحوا يحرثونها فاشتكاهم إلى مسؤول الدائرة، فكان الجواب في محله من مجاهد ما تزال اثار النّبالم على جسده بقوله، هل تراب هذه الأرض جاء به جدك في برنيطته.

وما إن سمع هذا الجواب حتى يئس، ومن غده اتجه نحو الميناء إلى فرنسا ولسان حاله من هنا جئنا ومن هنا نرجع مذلولين، وفي سنة 1912 قبيل الحرب العالمية الأولى أصدرت الحكومة الفرنسية قانون التجنيد الاجباري في حق الجزائريين لوضعهم وقودا في أفران ألمانيا لا لشيء سوى لانهم جزائريين، وهنا بلغ السيل الزبى، كما جاء في الامثال فصاحوا صيحة واحدة ورددت صداها ربوة مستاوة، وقالوا كفانا فالموت السريع أهون من الذل الطويل الذي لا يدوم فيتحول إلى العكس فهو جزء من الطبيعة التي لا تقبل الفراغ واعلنوها عصيانا.

2- يصف المؤرخ الفرنسي اندري جوليان في كتابه تاريخ شمال افريقيا بقوله – إن القرى الثلاثة قرية أولاد علي – آيت علي بحيدوسة وقرية أولاد أمحمد أيث سي أمحمد بحيدوسة وقرية أولاد مهنة- أيث مهنة بحيدوسة أحرقت عن أخرها وهجر سكانها وصودرت أراضيهم ودفع بهم إلى الغابة كما لو كانوا حيوانات هائمة، ويواصل كلامه، لقد سمعت من أحد أبنائها وهو محمد اعبيدري يخاطب حاكم البلدية المختلطة بلهجة هيستيرية: في إمكاننا أن نساعدكم بالمال في هذه الحرب، لكننا لن نقبل أبدا ذهاب أبنائنا إلى الموت ضد المانيا أو غيرها، فهذه الحرب لا تعنينا ولا ناقة لنا فيها ولا جمل، وهي بعيدة عنا ويموت فيها أبناؤنا، وكانت نتيجة لهذه المحاججة أن القي عليه القبض ونفي إلى تاعظميث سنة 1916 تحت طائلة الأشغال الشاقة مع أعيان عرش حيدوسة وغيرهم من الأعراش التي شاركت في الثورة وعلى رأسهم قائدهم المرحوم بلعيد الطاهر، المعروف بالشيخ الطاهر بعد أن عزل وجرد من برنوسه الأحمر ونفي إلى عين الصفراء.

الآن وقد اتضح موقف العرش أو الاعراش من التجنيد الإجباري لدى حاكم البلدية المختلطة وهو عصيانهم لهذا التجنيد وغيره، فأخبر حكومته وطلب النجدة باستقدام الجيش المعسكر ببسكرة بقوام ستمائة (600) جندي جلهم من السنغال وأنزلتهم بوادي الماء (برنال) التي تتوسط عرش حيدوسة وعرش لحليمية رأسي الحربة في نظر هذا الحاكم بسفح جبلي الشلعلع ومستاوة، واتضح لدى المواطنين أن غطرسة العدو لا تقابل إلا بمثلها، فراحوا يلتقون للتشاور في موضوع الرد وفي نفس الوقت يجمعون ما عندهم من بقايا السلاح، فالمعركة أتية وعن قريب، فالعدو لا ينتظر ولا يرحم فقاموا بعد المشاورة بعقد اجتماعين أحدهما بالقرزي فج وادي الماء وسريانة لجمعه لعرشي لحليمية وحيدوسة، وثانيهما بتينيباوين جمع عرش أولاد سلطان وأولاد فاطمة، ثم كلفوا أنشطهم عمر بن موسى عقيني من عرش لحليمية ليتولى نيابة عن المجموعتين جمع السلاح والربط بين الأعراش في ما يجد.

وفي هذا النشاط، روى لي السيد علي مصباح بن أحمد بن معاك من مواليد 1909 تقريبا أنه في سنة 1916 وبينما هو مع والده بقرية الموثن يكلآن غنمهما، إذا بشخص ليس بالطويل وليس بالقصير في سن الثلاثين تظهر عليه سيمات الفحولة بالمفهوم الجزائري أي الرجولة يخرج من بين الأشجار وعلى ظهره بندقية صيد من نوع بومشطة، سلم علينا ثم جلس بجانب والدي كأني به يعرفه من قبل وكلفني بملاحقة الأغنام فلم أسمع ما جرى بينهما من حديث لمدة تقارب نصف ساعة ثم غادرنا نحو الجبل فسألت أبي عنه، فقال لي هذا عمر أوموسى من عرش لحليمية، فقلت له يبحث عن ماذا؟ فسكت وما أن انطلقت الرصاصة بمستاوة حتى سطع اسمه وعرفت حينئذ سبب مجيئه إلى أولموثن، انتهت الرواية.

كما روى لي السيد الصالح بن أمحمد اعبيدري من مواليد 1903 أنه في سنة 1916 زار أولموثن عمر أوموسى، وكان يلتقي بوالدي والسلاح على ظهره، وكنت أسمعه يوصي والدي على جمع السلاح من عند السكان استعدادا ليوم الواقعة، وفي آخر مرة سمعته يقول لأحد الرعاة:"الناس في المعركة ضد العدو وأنتم مازلتم وراء الماعز لتبقوا دوما رعاة عند غيركم، فهلموا وأشعلوها نارا على العدو فالمناسبة حلت ولن تتكرر" انتهت الرواية.

3- اجتمع عمر أوموسى بمناضليه المنحدرين من عرش لحليمية وحيدوسة وجزء من مركوندة، لأن سكان مركوندة مربوطون بأولاد بشينة وتارشيوين وتينيباوين، وهؤلاء مربوطون بجناح عين التوتة حسب التقسيم الأول فلهم مسؤولوهم ينشطونهم من باب تعدد المسؤوليات واقتناص الفرص، فمسئول واحد من مستاوة حتى عين التوتة أو العكس لا يتحكم في العملية باعتبار ذلك الزمن وقسمهم أفواجا رغم قلة عددهم الذي يبلغ حوالي 140 مناضلا بسلاح بسيط، إذ لم يتعد سلاح بعضهم العصى أو الماء الساخن بالنسبة للإناث اللواتي يسخن الماء في قدور ويرمون به العدو متى حاول الوصول إليهن مرددات أغنية - في التراب ولا في أولاد لكلاب - ومن بينهن المرحومة كحيلة مرزوق، المعروفة في الوسط الشعبي باكحيلة الراجل، ويعني أنهن يردمن في التراب أولى من معاشرتهن أبناء الكلاب كسبايا.

أغلب مناظلي الفوج الأول من مركوندة، كلف بمهاجمة الحاكم في عقر داره أسوة بإخوانهم في عين التوتة، وكان الهجوم على مرتين، في الأولى لم ينجحوا وفي الثانية تمكنوا من الوصول إلى دار الحاكم نفسه رغم ما أحيط به من زبانية، لكن ضربة السيف التي أتته من أحدهم لم يحدد اسمه عن قصد أخطأته وجاءت على أحد الأنذال الذي قدم يده للسيف فجاء على أصابعه وكرم فيما بعد برقم لاستغلاله في المقهى.

أما الفوج الثاني وهو الأكثر عددا ولديه بعض الأسلحة من نوع مشطة ومسمار، فخاض معركة بتاريخ 18 نوفمبر بعد الهجوم الذي شنه العدو على مستاوة، فقتل فيها ما يقارب من 100 جندي كلهم من السنغال واستشهد فيها من المجاهدين عدد غير معروف اللهم الشهيد خالف حمو الذي روي لي حفيده عمار، والذي كان تلميذا عندي أثناء الثورة التحريرية ببويعقاقن، أن شعر رأس جده ما تزال أمه تحتفظ به بين أوراق المصحف، لا ادري أيزال إلى الآن أم اختفى مع أمه، وخلف ولدا واحد يعرف بازرناجي، وهو الطاهر خالف وكان طول حياته يتمنى أن يلتحق بأبيه كشهيد، و كان له ذلك واستشهد في معركة الصور سنة 1959 مع مجموعة من الشهداء في ربوة الشافات كحراس

إلا أن طائرات العدو باغتتهم قبل أن يتمكنوا من تبليغ الرسالة لزملائهم بوسط الوادي أين يوجد المركز.

4- وفي 30 نوفمبر 1916 تمكنوا بواسطة كمين محكم بين وادي الماء وسريانة بمكان يسمى (اقرزي) لقافلة آتية من مروانة إلى باتنة ومعها الشباب المقبوض عليهم لإيصالهم إلى الثكنة، وقد قضوا في هذا الكمين على 36 جندي حسب رواية المجاهد السعيد بولعريف والذي كان ضمن المجندين عنوة وتمكن من الفرار ثم قبضوا عليه للمرة الثانية وبعثوا به إلى تاعظميت، وتواصلت المعارك بمستاوة لمدة تزيد عن الشهرين حسب بعض الروايات شارك العدو فيها بما يزيد عن 6000 جندي وبالطائرات والقاذفات تمكن بعد الاستماتة البطولية من طرف المجاهدين من القضاء عليهم، عدا العدد القليل، منهم عمر أوموسى أسد مستاوة كما يلقب وصحراوي واكحيلة التي يقال أنه تزوجته (عرفا).

انتهت المعركة ظاهريا وحان وقت القصاص من قبل العدو الذي محا من قاموسه مفهوم الحق والعدالة، أما العفو والإنسانية فغير موجودين تماما في مخيلته ناهيكم عن عقله ان كان له عقل، وزع عساكره على سكان مستاوة من عرش لحليمية وأولاد فاطمة وأولاد منعة وأولاد سلطان وعرش حيدوسة بداية من حدود وادي الماء حتى مشارف عين التوتة، وانشأ معتقلا بسيدي عيسى على غدير تشرب منه الحيوانات في الأوقات العادية واحاطه بسلك مشوك من حديد يجمع فيه الرجال، وشبه سوق بجوار مروانة المدينة للحيوانات وأخذ في حرق البيوت وما فيها من متاع، وجمع الرجال في مجمع سيدي عيسى، والحيوانات من بقر وغنم وعنز وبغال بسوق مروانة لتباع فيما بعد لبعض اذنابهم.

بشأن هذا المشهد، يروي السيد احمنه الدراجي المعروف بالقبايلي قائلا في سنة 1916 بدوار حيدوسة وبالتحديد بمشتة اقرادو، فر سكان لبعون واقراذو إلى مكان بالغابة يسمى عين لجنان واحتموا بالصخور وبعض المغارت من بطش جيش العدو الفرنسي والزواف والسنغال، ومعهم مواشيهم، لكن العدو اكتشفهم فالتحق بهم واحاطهم بسياج من عساكره التي لا ترحم الضعيف ما بالكم بالصحيح المجرد من السلاح ثم ساقوهم رجالا ونساء وأولادا وما معهم من الماشية وبعض النساء اللواتي يصلحن...؛ إلى مدينة مروانة كورناي ثم

أطلقوا سراح النساء وصغار الأولاد، وابقوا على الرجال والماشية، وهناك اختاروا قطيعا من الكباش يتكون من ثمانية رؤوس قدموها للحاكم وحاشيته كشواء والباقي ابتاع العنز للمواطن "ح" مهنته الحدادة من عين زعطوط معروف بالمدينة وباقي الغنم والبقر ابتاعه المسمى ابن ساعد العربي الذي كون ثروة على حساب الشعب المقهور- انتهت الرواية- من مواليد 1903.

هذا بالنسبة للماشية والنساء والصغار، أما الرجال فجمعوا بمحتشد سيدي عيسى أين توفي منهم عدد غير معروف، اللهم أولهم الذي جرح في كمين القرزي، ولم يعالج وبقي ينزف حتى فارق الحياة وهو فروجي حمو أخذوه عنوة للعسكرية لكن شاء القدر أن يدفن بسيدي عيسى، ويكون أول شهيد وأول مدفون وبعده تكونت مقبرة سيدي عيسى الحالية، وشاء القدر كذلك أن تدفن فيها الشهيدة زيزة مسيكة، شهيد ثورة 1916 وشهيدة ثورة 1954، أما الرجال المحشورون في المحتشد المذكور والذين جيء بهم من كل مكان، أتت عليهم النيران من السكان المذكورين فوزعوهم حسب السن من 18 إلى 30 سنة حشدوهم كما لو كانوا بضاعة كوقود للمعارك التي جرت بين ألمانيا وفرنسا.

بالمناسبة أحيت هذه الأيام ذكرى معارك الحرب العالمية الأولى حضرها الرئيس الفرنسي هولاند والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركيل، ذكر المعلق على وقائعها أن عدد الجزائريين الذين سقطوا في الميدان 28 ألف من 100 ألف، أي ثلث الموتى جزائريين، وفيما قاله الجنرال الفرنسي الذي كان يقود المعركة، والذي أصبح فيما بعد رئيس للحكومة الفرنسية، إنما جعلناهم في المقدمة في حين أنهم لم يتدربوا على السلاح فكانوا الوقود الأول لنيران العدو، ومع ذلك كانوا شجعانا ودافعوا بكل حماس على فرنسا- انتهى-

أما باقي الرجال فحكمت عليهم المحكمة العسكرية بباتنة بالأشغال الشاقة والنفي، وكان عددهم مع غيرهم 805 شخصا منهم من حكم عليه بالنفي إلى كاليدونيا، أذكر منهم يحياوي حمو لم يظهر عليه أي خبر منذ هذا الحكم، وحكم على الباقي بالسجن من عام إلى أربعة سنوات والبعض القليل منهم نفي إلى عين الصفراء منهم الشيخ الطاهر بلعيد القائد الذي جرد من برنوسه بتيطاوين الرحاوات، والباقي وهم الأكثرية إلى تاعظميت بالجلفة، يروي عن

حياتهم في هذا السجن المرحوم معزيز عمار المعروف بأومعزيظ سنة 1870 عمره 07 سنوات وتوفي في السبعينيات من القرن الماضي عن عمر تجاوز الثمانين، أنهم يقلعون الحلفاء بأيديهم ويستعينون ببعض الأخشاب كما يرفعون الأحجار على عواتقهم ويجمعونها في أماكن خاصة، ومن حين لأخر نمتص عروق هذه النباتات عندما يشتد الحر والجوع، ويا ويلنا إن تفطن الحارس الواقف على رؤوسنا عن ظهر حصان فيشبعنا صوتا ونبيت مع الأحصنة في مرابطهم كأحد منهم، وكنا نجمع بقاياهم وننفث فيها عسانا نعثر على بعض الحبات من الشعير في علفهم فنأكلها، وكم كانت حلوة وكنا نحي العلم كل صباح وكل مساء مع كلمة يحيا العلم الفرنسي وتحيا فرنسا.

5- هكذا عشنا مدة تراوحت بين سنة وأربع سنوات، وكلما يسرح واحد منا يفتح له الباب ويرمى في بادية الجلفة بلا زاد ولا معرفة الاتجاه فمات الكثير منا، ومن بقى حيا قضى في الطريق أكثر من سنة، روى لي المرحوم يوسف بولعليات عن أبيه محمد الذي قضى سنة بتاعظميت أنه لما أطلق سراحه، وبعض السجناء لم نعرف الاتجاه الذي نولي إليه ولا شيء عندنا من الزاد والنقود، فقصدنا الأغواط لقربها من تاعظميت ومنها إلى غرداية مشيا على الأقدام ثم تفرقنا بعد أن نال منا التعب، فمات منا من مات، وبقيت وحدي فقصدت بيت الشعر لعلا سكانها يغيثونني، أو على الأقل يدفنوني، وما أن دنوت من البيت حتى خرجت امرأة فضنتني في البداية (بازغوغ) وفرّت إلى الخيمة فجاء زوجها وحملني إلى البيت بعد أن علم أنني مسجون خرجت لتوي من سجن تاعظميت، فدثروني بغطاء وفير وراحوا يسقونني بمذوب الزبد لمدة خمسة أيام ولما أحسوا أني استرجعت بعض قواي رفعوا عني الغطاء وبدأوا بإطعامي لمدة تقترب من الشهر فعاد لجسمي النشاط وأخذ جلدي ينسلخ بعد أن أصابه اليبس كما يجرى لجلد الزواحف، وبقيت عبارة عن بيضة صفراء ثم غادرتهم بعد أن وجهوني نحو غرداية ومنها إلى ورقلة فتقرت حتى بسكرة، وأخيرا باتنة لمدة تزيد عن نصف سنة.

أما أصحابي فماتوا جميعا كما علمت فيما بعد، ولم يسجلوا في الوثائق الادارية أنهم ماتوا لأنها أطلقتهم أحياء ولم تبحث عنهم هذه فرنسا وفيما يلي قائمة من تمكنت من اسمائهم بواسطة أهاليهم وهم قليل من كثير:

حداد نزار- توفي	معاش أحمد- توفي	فروجي الصالح- توفي
فروجي أحمد- توفي	معاش عمار- توفي	درغال السعيد- رجع
فادن علي- توفي	عريف لخضر- توفي	بولعليات محمد- رجع
اعبيدري محمد- رجع	معزيز عمار- رجع	الذيب مسعود- توفي
حفصي لخضر- توفي	بولعريف السعيد- رجع	اعراب بوبكر- رجع
بوعلي الصالح- رجع	بوعافية بلقاسم- توفي	وهذه القائمة مفتوحة

وكنت طيلة عمري أتمنى أن أزور هذه تاعظميت التي تبدو لسكانها عادية كسائر البلاد في حين أن سكان الأوراس يقرنونها بتازولت والبرواقية، فكتب لي أن زرتها في 2013، وإن اختلفت الزيارة بيني وبين زوارها سنة 1916، لقد زاروها مقيدي الأيدي راجلين وزرتها في سيارة فارهة تابعة لدائرة حد السحاري، أسأل السائق عن كل قرية أمر عليها وهو لا يدري لماذا هذا التلهف على تاعظميت حتى وصلناها، تبعد عن الولاية بمائة كيلومتر وعن بوسعادة بمائتين وعن باتنة بما يقارب 500كلم، وكانت نيتي أن التقي شيخا في سني كي أتمكن من الاستشراف على مأربتي، لكني لم أعثر على النوع المطلوب، اللهم الكهول وبعض الشباب قصدناهم أمام أكواخهم فسلمنا وردوا علينا والسائق ابن الجلفة، وأعرف بعاداتهم قائلا لهم نحن ضيوف فرحبوا وبسرعة جاء أحدهم بصينية تحمل القهوة والحليب مع القاطو، فتنفست الصعداء وقلت في نفسي الحمد لله صدق من قال أدخل البلاد بمفاتحها، وبدأت أدردش معهم حول الوضعية والبلاد قبل الدخول في الموضوع لكني لم أتمكن من غرضي فهم يجهلون كل شيء حتى المجاهدين عدا بعض الميصاليين وأخبروني أن المعمر فلان كان هنا في هذه الضيعة وبعد الاستقلال رحل، ومما جاء في حديثهم أنه قتل احد العمال أثناء الثورة، ولم يقع له أي شيء عدا مبلغا من المال كصلح بينه وبين أهل المقتول، فاستغربت وقلت في نفسي هل الثورة غير موجودة.

فهذا المعمر بقى حتى الاستقلال وقد قتل من عماله واحدا، ولم يتمكنوا منه، وبينما أنا في هذه الدردشة إذ بشاب تبدو عليه سمات الذكاء والإحاطة بموضوعي تقدم منا قائلا ما تبحث عنه عندي أنا كاتب في البلدية والمفاتيح في يدي هيا معي إلى البلدية فلاحظت جدارية على باب البلدية تحمل صورة السجن الذي ابحث عنه مكتوب عليها أنشئ سنة 1887، فطاف بي البلدية واخبرني أنهم يحضرون لزيارة الوالي ليدشن هذا المكان كمعلم للتاريخ وأخذني إليه فوجدت بناية مربعة الشكل في مساحة تزيد عن الهكتارين تقريبا، بابها من حديد يتحرك أرضا بقوة تحتاج دفع أكثر من ثلاث رجال في صحة جيدة وبداخل مساحته مكان للعلم خلته في البداية عينا للماء ومن داخله جدرانا مغطاة بالقرميد والمفتوحة داخليا ومقسمة كإصطبلات عليها أساوير من حديد ثقيلة، قيل لي هي لربط الأحصنة.

وفي إحدى الزوايا بيت ضيق دائري الشكل مرتفع عن البناية منتهي بقبة كما لو أنها مئذنة الصعود إليها بسلم من حديد ضيق وعلى جدران هذه القبة نوافذ ضيقة وسدة من اللوح تجعل من اعتلاها يتحرك بأريحية وفي الاتجاهات الأربعة معدة للحارس، ومن خارج الحائط سكن أمامه شجرتان من السرول تعودان حسب ما يظهر الى أكثر من قرنين لضخامتهما بينهما باب، في أعلاه نفس الجدارية الموجودة بالبلدية تأسس هذا سنة 1887، وبعيدا عن السجن مكان قيل لي هو مقبرة لموتى كانوا هنا في السجن في سنوات مضت جيء بهم من أماكن متفرقة متابعين في قضايا كما أن هناك بجانبه بقايا البيوت قيل هي لهؤلاء المساجين وأندرست ولاحظت وأنا أتنقل داخل هذه الدهاليز ما رواه لي المرحوم عمار معزيز فهي صورة منطقة للرواية قال (يبيت بعضنا بالتداول مع الأحصنة وفي الصباح نصطف أمام العلم ثم نخرج إلى العمل وفي الليل قبل النوم ان كان هناك نوم نحي كذلك العلم، ثم يبقى بعضنا مع الأحصنة والباقي الى بيوت مغطاة بالصفائح فهي في الشتاء ثلج، وفي الصيف حمام مع جو الجلفة)، ثم انتقلنا إلى مكان غير بعيد يسمى قلتت أصطل بين جبلين يتوسطهما واد سحيق به كذلك بناية من جنس السجن السابق على جدرانهما من الخارج حدائد الأحصنة وبجانب بابهما هوة مربعة الشكل بباب من حديد

تمكن من بداخل البناية أن يرى الزائر دون أن يفتح الباب الحديدي وجدارية مكتوب عليها 1853 الجنرال روند وبداخل البناية بقايا مقصلة.

وغير بعيد عنها مقبرة للجند الفرنسي ما تزال بعض اسمائهم قيل لي: أن قنصل فرنسا زار هذا المكان مع ثلة من الفرنسيين لنقل رفاة هؤلاء الجند ولما شاهدوا المقصلة ولوا أدبارهم في حين أن المقصولين هم طبعا جزائريون غير موجودين، أي رموهم بالوادي السحيق، وحسب كاتب البلدية كانوا يأتون بهم من بلاد القبائل في ثورة الشهيدة فاطمة نسومر، وبعد قتلهم بالمقصلة يرمونهم في الشعاب والمغاوير دون دفنهم، هذه فرنسا التي تتبجح بالشعار الاستهلاكي"الحرية، العدالة والمساواة"، لقد جاء في كتاب بني ميزاب لمؤلفه يوسف بن بكير، أنه في أول أوت 1919 تم إلغاء سجن تاعظميت من قبل الوالي العام الفرنسي أي بعد فترة العقاب التي دامت من 16 إلى 19 أربع سنوات المحكوم عليهم.

6- الآن وقد انتقمت فرنسا انتقاما شنيعا حري بنا أن نقف وقفة احترام وإكبار على نهاية البطل عمر أوموسى هل هو من طينة يوغرطة وكسيلة وفطامة نسومر، إليكم شهادة السيد بيطام العربي كما رويتها عليه صدفة وبعفوية في يوم 1998/07/28 التقيت السيد العربي بيطام من سكان الصخرات الثانية صدفة مع المجاهد شيشون بلقاسم يحادثه في مسألة تاريخية فشد ذلك الحديث انتباهي وجلست معهم، ولما فهمت بعض الشيء فحوى الحديث طلبت منه اعادته حتى اتمكن من تسجيله فقال: روى لي السيد لمبارك نجاي المولود سنة 1874 وتوفي سنة 1982 عن عمر ناهز 116 سنة والساكن بمستاوة تيطاوين قبل الثورة التحريرية، ثم ارتحل إلى مشتة طاقة أنه في سنة 1916 سلم بندقيته من نوع مسمار رقم 12 إلى المجاهد عمر وموسى، وبعد انتهاء الملحمة بقي صحبة صديقه في الجهاد صحراوي يترددان على سكان مستاوة من لحليمية وأولاد فاطمة، وسمع بهما المسمى" ز" فاتصل بعائلة بوقنة وطلب منها أن تحتال عليهما أو على أحدهما للقبض عليهما، وبذلك يتمكن من أخذ برنوس كدائرة من قبل الحاكم وبدوره يساعدهم في كل ما يحتاجونه، وكان ذلك، أقاموا عشاء لهما واحضروا رجال القوم خفية، لكن عمر أوموسى لم يحضر هذا العشاء

وحضر زميله صحراوي فالقي عليه القبض وسلم للقوم وبعد يومين من الحادثة حضر عمر أو مومسى إلى لمبارك نجاي وسلم له البندقية قائلا له: "انتهى كل شيء فانا سأغادر البلاد بعد أن القي القبض على ذراعي اليمنى والبندقية توارثها الاحفاد، والى كتابة هذه الرواية توجد عند حفيده الصديق بن نجاي" انتهت الرواية.

كما روى لي المجاهد موسى حجار عن ابنته الساكنة بباتنة أنه بعد انتهاء المعركة بقي مدة بجبل مستاوة ثم انتقل إلى أوستيلي ومنه سافر إلى الحدود وبالتحديد إلى القالة يريد الخروج من الجزائر، فصادف أن التقى معمرا من أصل ايطالي عرض عليه العمل كراعي للأبقار فقبل العرض وبقي عنده إلاّ أن المعمر لم تطمئن نفسه إليه فتوجس منه خفية وكلف إبنه ذي 13 سنة بمرافقته مع السلاح من نوع - فوشي- فاذا ما لاحظ عليه ما يمس بالقطيع من مكروه فليرم عليه واستمر العمل على هذا النحو فتوطدت العلاقة بين الراعي والابن إلى درجة أنه يعيره البندقية ويردها له.

وفي أحد الأيام شاهد الابن صائدة فرمى عليها لكنه اخطاءها فاخذ عمر أوموسى منه السلاح وبطلقة سريعة أسقطها أرضا، وفي المساء جاء الولد والبسمة على شفتيه فرحا انه اصطاد أرنبة لكن أمه لم تصدق وطالبت منه الحقيقة فاعترف لها، وهنا تغيرت النظرة إلى الراعي، قبض السلاح ولم يفر به وتمكنه من القنص، هذا الشخص غير عادي فأخبرت زوجها فاستدعاه وطلب منه الحقيقة قائلا له: اعترف لي بحقيقتك وإن كنت بحاجة إلي إعانتك فلن ابخل، أنا لست فرنسيا فانا ايطالي، ولا يهمني شان فرنسا مع الجزائريين انا فلاح ومصدر الابقار فاعترف له بالحقيقة وطلب منه جواز سفر مزيف لمغادرة البلاد فأجابه، اما الجواز فغير ممكن لكن لي طريقة اجهزك مع الابقار المشحونة إلى ايطاليا كعامل عندي وعند وصولك إلى ايطاليا تصرف وكان ذلك فقبل العرض وتمت السفرية.

ووصل الى ايطاليا ومنها إلى تركيا وهناك تزوج وأنجب طفلة، ومن حين لأخر يكاتب ابنته التي روت الرواية، وفي 1948 كاتبها للمرة الأخيرة أنا مسافر إلى فلسطين وهناك سأجد قبري، الرسالة عند ابنته، انتهى.

هكذا يحيا العظماء ويموتون ألم يقل خالد بن الوليد ما يحز في نفسي أن أموت فوق الفراش كالعنز، استشهد عمرو أوموسى أو مات فلقد خلف ملحمة للأجيال الصاعدة من التاريخ فليقروا تاريخ أجدادهم وليعتزوا به ويثروه بالبحث عنه في مكتبات العالم ويمسحوا عنه غبار التعتيم والنسيان والتحريف، فمداخلتي وغيري من المتدخلين تساهم فقط في الحث عن متابعة الخيط، والخيط قد ينقطع لكن يرقع ان وجد المهتمين وبين الأصل والترقيع بعض الخلل لكن لا يمس بالجوهر.

قدمت هذه المداخلة بتاريخ 2016/06/04 ببلدية حيدوسة بمناسبة مرور قرن من الزمن على الواقعة بحضور جمع من الأساتذة والدكاترة وبعض الطلبة، اذكر منهم الدكتور محمد العيد مطمر الذي أهداني كتابه وهو مشكور عن ثورة نوفمبر والدكاترة شرقي السعيد الذي اعزه واسماعيل معاش ابن المرحوم المجاهد المكي الذي كنت بداره ايام الثورة فله ألف دعاء بالرحمة والأستاذ سهالي عبد المالك تلميذي أيام الثورة في ارقى مدرسة نصفها تبن والدكتور اعراب عبد الحكيم ابن الشهيد علي اعراب، الذي سجنت معه في دهليز واحد سنة 1957، والباقي لم اسجل أسمائهم، فلكم جميعا تحية أب طاعن في السن عركته السنون، ولم يبق منه إلا اللسان حاثا لكم بالمزيد من العمل والنشاط قائلا لكم جيل 1916 انجب جيل 1954 فماذا عساكم تنجبون لجزائركم الحبيبة والمجاهدة والسلام عليكم.

ثورة الأوراس 1916: قراءة في وثائق وتقارير الإدارة الاستعمارية

أ.د. حسين قادري – جامعة باتنة1

مقدمة

تعد الثورات والانتفاضات الشعبية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، تعبيرا لم ينقطع عن رفض الوصاية والظلم والقهر، بالرغم من الوسائل المستعملة والتي لا تقاس بما كانت تمتلكه الإمبراطورية الفرنسية، بالرغم أنها كانت تنتهي بالفشل، الا أن الشعب الجزائري لم يتوقف عن التعبير كل مرة، وفي مختلف جهات الوطن عن الوقوف أمام الظلم المسلط عليه، بل كان يكتسب من هذه المناسبات تجربة في التنظيم والكفاح.

تأتي ثورة الأوراس 1916، كمحطة مهمة وكحلقة معتبرة في سلسلة طويلة من المقاومة الشعبية، حيث تأتي هذه الورقة كتكملة لمقالات هذا الكتاب، لتركز أساسا على الهجوم الذي شنه المقاومون ليلة 11 ــ 12 نوفمبر 1916 ضد مقر حاكم عين التوتة، وما خلفه ذلك من انعكاسات، نعتقد بأن ارتداداتها أوصلتنا الى الثورة التحريرية في نوفمبر 1954.

كانت الكتابة عن هذه الثورة في السابق تستند الى ما كتبه المؤرخون الفرنسيون لتوفر إمكانية اطلاعهم على الأرشيف، ومع بداية منح الفرصة اليوم للاطلاع على هذا الأرشيف، فإن مسعانا سيكون مختلف عن المساهمات السابقة، لقد مكننا الأستاذ الباحث عبد الحق بن زايد، من تلك الوثائق التي يسمح حاليا بالاطلاع عليها، وهي مناسبة لأقدم له كل الشكر والتقدير، إذ نسجل مساهمته في هذا الكتاب من خلال ما وفره لنا من وثائق.

مكنتنا هذه الوثائق عبر قراءتها وتحليلها من الوقوف على حقيقة الهجوم الشعبي على برج عين التوتة ليلة 11 ــ 12 نوفمبر 1916، لقد دعمت هذه الوثائق البحث ومسحت الضبابية التي كانت تحوم حول بطولات صنعها الأجداد بإرادة قوية ضد قوة غاشمة مدججة بأحدث الأسلحة وبأساليب جهنمية انتقاما من شعب أعزل، ذنبه (المباشر والمعلن) أنه لم يقبل بذهاب أبنائه للقتال دفاعا عن شرف فرنسا في حربها ضد الألمان إبان الحرب العالمية الاولى.

تعتمد هذه الورقة على مجموعة من التقارير:

1 ــ تقرير حاكم البلدية المختلطة عين التوتة حول الدور الذي لعبه العديد من دواوير البلدية، مؤرخ في 28 مارس 1917. FR ANOM B.3.216

2 ــ تقرير حاكم عين التوتة بشأن بن علي محمد بن النوي، مؤرخ في 5 أفريل 1917.FR ANOM 93202/1

3 ــ تقرير حاكم عين التوتة حول أحداث تمارة 12 نوفمبر 1916. مؤرخ في 15 جوان .1917

4 ــ تقرير حاكم عين التوتة بشأن القتلى والجرحى في ليلة 11 ــ 12 نوفمبر 1916 وأثناء العمليات العسكرية المنفذة في الدواوير المعنية، مؤرخ في 7 جانفي 1917.

5 ــ تقرير مسؤول الأمن العام بناحية باتنة، مؤرخ في 21 نوفمبر .1916

6 ــ مقال موجه للصحف وتم منعه من النشر، تحرير مريوس آدر (Marius ader)، حول أحداث عين التوتة والأحداث المرتبطة بها، FR ANOM B.3.216

7 ــ تقرير طبيب برج عين التوتة، (Bis querra) مؤرخ في: 12.20. 1916. FR ANOM 93202/1

8 ــ تقرير زروني بلقاسم بن علي، خوجة البلدية المختلطة عين التوتة، بدون تاريخ.FR ANOM 93202/1

هذه هي التقارير وغيرها من الوثائق التي اعتمد عليها السيد ديبون أوكتاف (Depont Octave) المفتش العام للبلديات المختلطة والمدير بالنيابة لمنطقة الجنوب، في اعداد تقريره بشأن أحداث عين التوتة ونشره في الفاتح من سبتمبر 1917، كما اعتمدت عليها أغلب الكتب والمقالات التي عالجت انتفاضة عين التوتة 1916، وهي جاءت استجابة لطلب السلطات الاستعمارية العليا، لمعرفة حقيقة ما جرى، والأسباب الحقيقية لهذه الأحداث التي لا تعود أسبابها الى ليلة وقوعها فحسب، بل الى التراكمات التي كانت تكبر ككرة الثلج، نتيجة الانسداد والتعسف الحاصل منذ عقود من السيطرة والظلم.

هذا ما يستشف من ذهاب أغلب التقارير الى التأكيد بوجود تراكمات قبل ليلة 11 ــ 12 نوفمبر، بل هناك من نبه الى خطورة ذلك، لكن عدم التعامل معها بجد أدى إلى وقوع تلك الأحداث.

تسعى هذه الورقة الى الإجابة على مجموعة أسئلة:

ــ كيف كانت أوضاع البلدية المختلطة عين التوتة قبل نوفمبر 1916؟

ــ كيف وقع التحضير للهجوم على مقر حاكم عين التوتة؟

ـــ ماهي مجريات الهجوم على مقر قصر الحاكم ومخلفاته؟

ـــ كيف كان رد فعل السلطات الاستعمارية ضد الأهالي؟

ـــ ما هي أهم الاستنتاجات المستخلصة من هذه الثورة؟

الإجابة عن هذه الأسئلة ستكون من خلال الخطة التالية:

ـــــ المقدمة

أولا: أوضاع البلدية المختلطة عين التوتة قبل نوفمبر 1916.

ثانيا: التحضير للهجوم على مقر حاكم عين التوتة.

ثالثا: الهجوم على القصر وتبعات ذلك.

رابعا: الانتقام الاستعماري من الأهالي.

خامسا: أهم الدروس المستخلصة.

ـــــ الخاتمة.

ـــــ الملاحق.

أولا: أوضاع البلدية المختلطة عين التوتة قبل نوفمبر 1916

ورد في التقرير الإعلامي الذي حرره، مريوس آدر (ader Marius)،[1] بأن عين التوتة (Mac mahon)،* هي مقر البلدية المختلطة، تبعد بـ 34 كلم عن باتنة و90 كلم عن بسكرة جنوبا، و154 عن قسنطينة، تقع على سكة الحديد قسنطينة في الشمال وبسكرة في الجنوب، يبلغ عدد سكان قرية عين التوتة 400 نسمة، 130 من أصول فرنسية، 16 يهودي متجنس، 6 أجانب و248 من الأهالي، بما فيهم المزابيين. أما مجموع سكان البلدية المختلطة فيبلغ 34548 نسمة، من بينهم 368 أصولهم فرنسية، 16 يهودي متجنس، و7 أوربيين، 34066 من الأهالي، وتبلغ مساحة البلدية المختلطة 283682 هكتار.[2]

كانت الأوضاع مزرية في هذه البلدية قبل نوفمبر 1916، فهي تعاني من تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، اقترنت بالمجاعة والأوبئة والقوانين الجائرة وأعمال السخرة، أهمها قانون الأهالي والتجنيد الاجباري 1907 ـــــ 1912، ليزداد تذمر السكان بعد وصول أخبار بسقوط أبنائهم في المعارك الجارية في أوروبا، حيث سجلت وزارة الحرب الفرنسية الى غاية 7 اكتوبر 1916، خسائر في صفوف الجزائريين المجندين، مقتل 7822 وجرح 30354 وتم أسر 2611 منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى.[3]

كما تضايق الناس من مصادرة الأراضي لتوزيعها على المعمرين الأوروبيين، في عين التوتة ومروانة وسريانة...، وكذا أعمال السخرة في المزارع والمصانع بفرنسا، ووقعت احتجاجات عديدة، فعندما بدأ التجنيد الاجباري حصل إحتجاج كبير من أولاد عوف أمام مكتب التجنيد سنة 1912، إذ من بين 402 مطلوب تم تجنيد 317 شخص، كما فر في سنة 1914 ثلاثة شبان من أولاد شليح من بين 27 مجند من الشاحنة التي كانت تحملهم، بعد اجراء القرعة في بلدية مروانة.

لقد كان ملف التجنيد الاجباري الملف الأكثر تأثيرا على الأهالي مقارنة بقوانين التضييق الأخرى، كقانون الأهالي والمحاكم الرادعة، إذ لم ينفع الضغط الشعبي بواسطة المظاهرات سنة 1908 عن التخلي عن نية التجنيد، مما جعل البعض يهاجر في اتجاه المشرق العربي، الى أن تم اقراره سنة 1912 من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية، متجاهلة بذلك كل النداءات والمعارضة، ومعتبرة الجزائريين رعايا فرنسيين بالرغم عنهم.[4]

جاء في شهادة بويلي بوزيد،[5](80 سنة ساكن في الشيحات دوار أولاد عوف)، بأن الأمور بدأت في 1912، عندما قررت فرنسا أخذ أبنائنا، وقالت من لا

يريد إرسال ابنه عليه بدفع 700 فرنك، علما أن قيمة خروف في ذلك الوقت يبلغ 20 سنتيم، وهو ما يعني أن العائلات الثرية هي التي تستطيع الدفع، ولدى أولاد عوف 4 عائلات فقط تستطيع أداء ذلك من أصل 700 عائلة. بمعنى من لا يريد السماح بتجنيد ابنه عليه بدفع 35 خروف، ما يساوي اليوم حوالي 200 مليون سنتيم أو أكثر.

لا يعود النفور من اداء الخدمة العسكرية الى سنة 1916، و هي الفترة المتميزة بورود اخبار أليمة و محزنة جدا من مختلف جبهات القتال ، فمرسوم 3 فيفري 1912 المؤسس للتجنيد الاجباري للجزائريين احدث منذ بداية سريانه غليانا شديدا في البلاد، ففي سنة تطبيقه الاولى امتنع عشر دواوير من مجموع 14 من تقديم حصتهم من المجندين في البلدية المختلطة لعين التوتة. (أنظر الملحق رقم 13).

كما نسجل في 17 أكتوبر 1914 غياب 20 من أصل 55 مجند غائب من دوار أولاد عوف، فروا إلى الغابات، وفي 24 أكتوبر 1914 لم يستجب مجموعة من الشباب المستدعين للخدمة من دوار أولاد عوف واولاد شليح، وهو ما اعتبر عصيان لم يسبق له مثيل،[6]

شهدت سنة 1914، فراغ كبير للسلطة الاستعمارية، ونشطت أعمال العنف حسب التقارير الاستعمارية، لقد شهدت هذه السنة نهب للقوافل الحاملة للأغذية في منطقة القنطرة، كما شهدت مروانة هي الأخرى احتجاجات برفض التجنيد عندما تم استدعاء دفعة 1915، حيث حصل تجمع كبير للسكان في واد الماء، وتم اسقاط أعمدة الهاتف وعرقلة المرور، ونتيجة الهوس والخوف، اعتقدت سلطات القطاعية في قسنطينة بإمكانية ان يكون تجمع واد الماء من صنع ألمانيا. (أنظر الملحق رقم 13).

نظرا لحاجتها الى الجنود، بدأت السلطة الاستعمارية في دفعة 1917، تنظم عملية التجنيد الاجباري لجميع الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و45 سنة، وانتشر خبر الغاء تراتيب الاعفاء وحق الاستخلاف، وشعرت كل العائلات بأنها مقصودة، ومن ثم تضامنت في الاحتجاج والتلويح بالعصيان.[7]
اقتنعت السلطات الاستعمارية بحلول سنة 1916 بأن التجنيد الاجباري يمر بصعوبات في جميع المناطق، وبدأت الثقة تكبر عند السكان، بأن فرنسا ضعيفة ولم تعد كما كانت، وأنها تعتمد على عدد قليل من الجنود الضعفاء، لا يمكنهم زرع الرعب في الأوراس مثل ما كانوا من قبل.

لقد هدد سكان بني سليمان في الفاتح نوفمبر المعمرين صراحة، وحصلت عملية عصيان في خنشلة وعين البيضاء وتبسة ضد دفعة 1917، رافق ذلك

تسجيل العمال في معامل وزارة الدفاع الفرنسية، الكل يرفع شعار:" نفضل الموت بدل رؤية أبنائنا يذهبون لفرنسا، الحكومة الفرنسية لم تعد لها قوات في الجزائر، هيا للمقاومة والكفاح". وفي ذلك يقول اجيرون، لقد ظل سكان الأوراس ثائرين وناقمين على الإدارة الاستعمارية، وخاصة مصالح الغابات، يحتجون من حين الى آخر، من أجل استرجاع ما أخذ منهم عن طريق القوة، وظلوا ينتظرون الفرص لإعلان الهجوم والانتقام من الأوربيين.[8]

تشجع الشعب للمقاومة في هذه الظروف وارتفعت معنوياته وزادت ثقته في نفسه وقدراته، ويقال بأن أول رصاصة سنة 1916، كانت في واد الماء، من نفس العائلات التي ضربت سنة 1871، وبدأت مقاومة جادة على نفس الطريقة السابقة، "جبل بلزمة من جديد يقول، أنا هنا".

فضلا عن تأثير الساحة الداخلية، فقد أعطت بعض التقارير الاستعمارية، أهمية للساحة الخارجية، وخاصة ما سمي بالدعاية الألمانية ـــــ التركية، مما جعل ديبون (Depont) يقترح في تقريره، بضرورة قطع العلاقة مع الدعاية الخارجية، من أجل إنهاء الثورة وضمان عدم تكرارها، ويتهم الزاوية الرحمانية في الأوراس بأن لها علاقة بالخارج، وأنهم ثاروا ضد فرنسا في أصعب فترة من تاريخها، ويرى بضرورة مراقبتهم ومتابعتهم نظرا لدورهم الخطير، لأنهم يتحركون باسم الدين.[9]

ثانيا: التحضير للهجوم على مقر حاكم عين التوتة

أكدت مختلف التقارير أن سبب الهجوم على عين التوتة لم يكن وليد ليلة 11 ــ 12 نوفمبر 1916، بل هو حصيلة تراكمات سابقة، ومن ثم فإن الواقع يؤكد وجود تحركات شعبية في المناطق المجاورة قبل هذه الليلة لفعل شيء ما، ليس بالضرورة قتل الحاكم، ولكن فعل أقصى ما يمكن فعله ضد المستعمر ورموز بطشه، وتبليغ رسالة له عن رفض السياسة الممنهجة ضدهم وضرورة تغيير تلك الممارسات، وكانت هناك اتصالات للتنظيم واعداد الرجال وجمع السلاح.

هذا التذمر والاحتقان توصل اليه رئيس لجنة مجلس الشيوخ المكلف بالجيش، السيد كليمنصو في 16 نوفمبر 1916، حيث قدمت له معلومات عن أسباب الاضطراب من خلال التقرير الذي قدمه له وزير الحرب، "لقد لاحظنا في بداية الحرب كراهية تزداد للخدمة العسكرية، ومن أسباب ذلك الخسائر التي مني بها الجنود القناصة الجزائريون، فضلا عن الحقد الكامن المتراكم من قيام مراكز المعمرين (ماك ماهون، كورناي..)، اذ كان يدفع بالدواوير الى

أرض قاحلة تقريبا، بما يعني احتفاظ المعمرين بالأرض الخصبة وترك الأراضي القاحلة للأهالي.[10]

جاء في التقرير الإعلامي،[11]بأنه تم ملاحظة مساء السبت 11 نوفمبر تجمع أفراد من أولاد عوف في أطراف عين التوتة، ووصلوا منتصف الليل إلى الثانية صباحا من يوم الأحد 12 نوفمبر، كانت غالبيتهم على الأحصنة تتبعهم بعض النسوة، توقفوا عند الواد الذي يفصلهم عن عين التوتة، انضم إليهم أفراد من سكان دوار تيلاطو وبعض أفراد من دوار لبريكات، ويتراوح عددهم بين 1500 إلى 2000 فرد، وإن كانت بعض التقارير تتحفظ على هذا العدد، إذ من الصعب معرفة العدد الحقيقي في ظلمة الليل.

بقراءة متأنية ومنطقية لهذه الأرقام، يمكن أن نتوصل الى العدد التقريبي، للمشاركين في الهجوم على عين التوتة في هذه الليلة، يقدر عدد سكان الدواوير الثلاثة التي شاركت في الهجوم حسب تقارير السلطة الاستعمارية 9000 نسمة، فإذا افترضنا أن نسبة الذكور للإناث هي 50%، فإن العدد يصبح 4500 شخص، بما في ذلك حوالي 50 امرأة "تكلمت التقارير على وجود نساء، في الغالب هن أمهات المجندين.."، نستثني من هؤلاء الأطفال أقل من 16 سنة وكبار السن والمرضى والعجزة، وكذا الذين لم يلتحقوا بالهجوم لأسباب مختلفة، فإن العدد الذي نتوقع حضوره ليلة الهجوم هو أقل من 1000 شخص، مع ملاحظة أنهم ليسوا بالضرورة كلهم مستعدون للمشاركة أو شاركوا بالفعل في الهجوم، إذ أن عددا منهم تواجد هناك تشجيعا لرفقائهم أو بسبب الفضول.

بشأن عدد المشاركين في الهجوم، يقول السيد بويلي زياد في شهادته،[12] أن عددهم 500 مهاجم، ويضيف، ليلة الهجوم وقع تنسيق بين أبناء تيلاطو وسفيان وسقانة وأولاد عوف، حيث تقرر التجمع في منطقة (الدخلة)، وهي تبعد بعض الكيلومترات عن عين التوتة، ومن هنا تقرر الهجوم على المدينة، حيث كان المهاجمون يحملون 100 بندقية والباقي يحملون السيوف والعصي نوع (صدر الدجاج)، ونعتقد بأنها شهادة جد منطقية من ناحية عدد المهاجمين أو مجرى الأحداث.

يقول زروني بلقاسم بن علي خوجة البلدية المختلطة،[13] أن الأوضاع يوم السبت 11 نوفمبر كانت جد عادية، خاصة في مكتب التجنيد، باستثناء غياب شباب أولاد عوف المطلوبين للفحص الطبي، ففي حدود الحادية عشر بدأت عملية التنظيم والتحضير أمام العيادة، وفي الساعة الثانية بعد الزوال، تأكدنا بحضور شباب خمسة دواوير (أولاد شليح، تهنات، لقصور، بريكات وجبل

كرون)، حضروا مع ذويهم في هدوء تام، يضيف، بأن الأمور كانت عادية باستثناء بكاء بعض النسوة اللائي جئن صحبة أبنائهن، يقول، لم ألاحظ أي مطلوب مزق الاستدعاء، وتمت العملية بشكل عادي ورفعت الجلسة في حدود الساعة الخامسة مساء، حيث عاد الجميع من حيث جاء.

الهجوم يفترض أنه أسند إلى أهله من الشباب المتحمس المتمرس، من أصحاب الخبرة في القتال ومقارعة العدو، الذين تعودوا على ركوب الخيل ومجابهة الصعاب، الشباب المتحمس الواعي بخطورة التضييق على أهاليهم، والذين كانوا متذمرين من الممارسات الاستعمارية، ليس بالضرورة المطلوبين للتجنيد الاجباري، فهؤلاء في سن أقل من العشرين ليست لديهم الخبرة والشجاعة الكافية، في هذا السياق نفترض أن مهمة الهجوم أوكلت الى فرسان من أولاد عوف وشباب من تيلاطو ولبريكات، كي يتوزع دم الحاكم ومن معه على كل القبائل، هو جهاد استند إلى فتاوى صدرت من شيوخ وعلماء القبائل، من أمثال شيخ الكنزرية وشيخ سقانة.

هذا ما يفسر عدم وجود قائد معروف لهذه العملية، وإن وجدت في شخص بن النوي، فهو مجرد منسق ورجل وضع نفسه في المقدمة، كان رجلا ميدانيا منذ مدة، يحسن لغة الكر والفر، وحاقد على السلطات الاستعمارية، ومقتنع الى النخاع بأن القوة هي اللغة التي تفهمها السلطة الاستعمارية. يقول عنه أجرون، بأن بن النوي كان يشجع رفقائه ويدفع فيهم روح الحماسة، "الى الأمام إلى الأمام، أأنتم خائفون من عشرين جندي من الزواف.[14]

كتب عنه حاكم عين التوتة في تقريره يقول: (المجرم) بن علي محمد بن النوي، يبلغ من العمر، 33 سنة، ولد في مشتة متليلي، دوار تيلاطو، بن بلقاسم ومسعودة بنت احمد، متزوج وأب لولدين، هو ذو أصول بربرية، أبيض اللون، صاحب عينين رماديتين بالفاتح، قوي البنية، صاحب نظرة ثاقبة، ملامحه قاسية ومخيفة، كان مطلوبا لدى السلطات منذ 1910، بسبب تصرفاته المشبوهة والسرقات التي قام بها، استطاع أن يجمع حوله مجموعة من الفارين، امتلكت في بداية 1916 ما يقارب 60 بندقية، لقد تم القبض عليه في 9 فيفري 1916، بعد تحضير كمين محكم له، في أم العيفة بالبلدية المختلطة بريكة، من طرف لحسن بن بعطوش، وهو الشيخ الجديد لـ سقانة.[15]

ثالثا: الهجوم على مقر الحاكم ومخلفاته

المتتبع لما هو حاصل يوم السبت 11 نوفمبر، غياب شباب أولاد عوف عن الحضور الى مكتب التجنيد (المقاطعة والعصيان)، تحركات وسط الأهالي والتحضير وتجميع القوى وتقسيم المهام، يوحي بأن شيئا ما وشيك الوقوع، والغريب أن السلطات الاستعمارية لم تقم بعمل وقائي، وهذا نظرا للثقة الزائدة في قبضتها وقدرتها والتقارير المغلوطة للمخبرين المندسين وسط الأهالي، إذ لم يكن يتصور أن هذا الشعب المظلوم والمقهور، الفقير الجائع والمسلوب الإرادة بإمكانه أن يفكر في يوم من الأيام كي ينتفض ضد الظلم المفروض عليه، حتى وان كان القصر بدون حراسة، كما يستشف من محتوى (أنظر الملحق رقم 13)، بأن السلطات الاستعمارية كانت عينها على قلاقل بلزمة لأنها كانت أكثر حدة، وطلبت تعزيزات لمحاصرة هذه البلدية، بمعنى لم تكن عين التوتة تشكل خطرا إلا بعد التأكد من غياب شباب اولاد عوف المطلوبين للتجنيد يو 11 نوفمبر.

بدأ الهجوم بقطع خطوط الهاتف منتصف الليل، لضمان عدم الاتصال بالقيادة في باتنة، وفي حدود الساعة الثالثة والربع صباحا وقع الهجوم على قصر الحاكم، وبدأ في تنفيذ المهام التي أوكلت لكل مجموعة، حيث توجهت مجموعة إلى محلات المزابيين من أجل الحصول على البنزين، ودخلوا الى البرج عبر بوابات جانبية، وتسلل آخرون لتحضير وتنفيذ باقي العمليات.

ورد في الملحق رقم01، حول عملية عين التوتة وتبعاتها، بأن المهاجمين باغتوا من كانوا بداخل القصر، أصابوا الحاكم برصاصات في فخذه، بينما تلقى كاسينالي (Cassinelli) رئيس دائرة باتنة ضربتين قويتين بعصى في قفاه أسقطته أرضا، وعندما وصل الإسعاف كان يتنفس ولكن كان في حالة ميئوس منها، بينما تلقى الحاكم مارساي (Marseille) طلقة نارية من بندقية وطعنات خنجر زهقت روحه، ونقلت هذه الوثائق، بأن إبنة الحاكم مارساي في لحظة سقوط والدها رمت نفسها عليه وتوسلت للمهاجمين بتركه، إلا أنهم أتموا عليه (كالكلاب المسعورة) برصاصة أصابتها في بطنها، مما جعل أمها تدخل في حالة هستيريا وجنون، ويقول صاحب التقرير نقلا عن بنت الحاكم، بأن المهاجمين احتفلوا أمام جثة والدها مرددين (الرومي الوسخ...الرومي الوسخ).[16]

يقول بويلي زياد في شهادته، بأن 4 أشخاص صعدوا إلى الطابق الأول وقتلوا الحاكم ورئيس الدائرة، وتم حرق مقر الحاكم، بما في ذلك سجلات الحالة المدنية واتلاف كل غرف البرج، ويضيف بأن حرق أرشيف الحالة المدنية هو بهدف اتلاف الوثائق وملفات أبنائنا كي لا يتم استدعائهم الى

التجنيد، وهي العملية التي كانت تحت قيادة بن النوي ويدعى (زرقين) صاحب العينيين الزرقاوين، والذي كان مطلوبا لدى السلطات الاستعمارية منذ 1910، لقد علمنا أن فرقة زرقين عندما انسحبت من عين التوتة توجهت الى تمارة، أين تم قتل حارس الغابة وحرق بيته.[17]

ورد في تقرير حاكم عين التوتة، بأن المهاجمين أخذوا مبلغ مالي من خزينة البرج، وتم نهب محلات التجار الميزابيين واليهود باستثناء محلات العرب، كما جرى تحطيم محطة سكة الحديد، في الجانب الآخر، وبعد تدخل فرق الزواف المتمركزة قرب عين التوتة والمشكلة من 20 فارس، تم إصابة وقتل 4 عناصر من المهاجمين. وانسحب المهاجمون حيث عادوا من حيث أتوا، وورد في تقرير طبيب القصر بيسكيرا (Bisquerra) أنه: حذر قبل عشرة أيام من تردي الأوضاع وضياع الأمن، لكن لا أحد سمع كلامه، (ففي الساعة الرابعة والربع صباح الهجوم، بدأ فرار المجرمين (كما سماهم)، بعد استنفاذ غضبهم، وسمعنا زغاريد النساء المرافقة لهم، youyou youyou).[18]

انتهى التقرير الإعلامي الذي حرره ماريوس آدار (Marius ader)، الى أن أحداث عين التوتة لم تكن نتيجة عامل واحد فقط، بل هي تراكمات لم تأخذ السلطات مسؤوليتها في الوقت المناسب، ولم تتعامل مع التقارير والتحذيرات التي رفعتها جهات عديدة بطريقة إيجابية وجدية، والآن لابد من معرفة الأسباب الحقيقية كي لا تتكرر هذه الكوارث، ولا بد من إعلانها، هذه هي السياسة الصحيحة وليست سياسة النعامة التي كانت منتهجة.

رابعا: انتقام الإدارة الاستعمارية من الأهالي

مع نهاية الهجوم بتدخل الزواف وانسحاب المهاجمين، سارعت السلطات الاستعمارية الى استنفار قواتها الى حدها القصوى، للانتقام من المواطنين العزل، وخاصة في الدواوير الثلاثة المحاذية لعين التوتة، كما ركز تقرير الحاكم العام للبلدية المختلطة في تقرره المؤرخ في 28 مارس 1917، بأن بؤر التوتر الرئيسية هي: أولاد عوف، تيلاطو، ولبريكات.

أكدت مختلف التقارير بأن الأهالي الذين هاجموا عين التوتة ليلة 11 ــ 12 نوفمبر ينتمون إلى ثلاثة دواوير، بالإضافة الى مشتتين من أولاد شليح هاجموا ضيعة المعمر راينال.

1 ــ دوار أولاد عوف، ويبلغ عدد سكانه 3859 نسمة،

2 ــ دوار لبريكات، ويبلغ عدد سكانه 2303 نسمة، وهو المحيط بعين التوتة وملتصق بها.

3 ــ دوار تيلاطو، ويبلغ عدد سكانه 2821 نسمة.
4 ــ مشتتي أولاد عين درين ولبراقة من أولاد شليح.

تناولت التقارير تاريخ كل دوار،[19] لتبرير عدوانها الذي ستشرع فيه، لتوفر لنفسها مبررا ليس في الاحداث الجديدة بل في تاريخ ومقاومة هؤلاء، نظر التقرير إلى أولاد عوف بعدائية وحقد كبير، لأن شبابهم تغيب عن الحضور للمقر للخضوع الى الفحص يوم 16 نوفمبر، ومن ثم فهو اعلان رسمي عن التمرد والعصيان، ولذلك يقول التقرير، بأن هؤلاء ينتمون الى قبيلة أولاد سلطان مع أولاد سي سليمان وسفيان، مركوندة واولاد فاطمة، فهؤلاء معروف عنهم أنهم مقاومون عبر التاريخ.

لقد كانوا كذلك ضد الرومان والأتراك، رمزهم هو عيسى بن سلطان، وهو من أولاد بوعون، لقد ثار أولاد سلطان سنة 1871، حيث انضموا الى العصيان الحاصل في أولاد أشليح وساعدوهم وشاركوا معهم في اغتيال ثلاثة أطفال و12 أوروبي في الواد الأزرق (Ravin Bleu)، وفي 8 جويلية 1871 هاجم أولاد سلطان العديد من المواقع ثم فروا إلى جبال مستاوة.[20]

أما اليوم فإن مشتة الكنزرية ضمن بلديات عين التوتة، فر أبناؤها الى جبل رفاعة وأبوا الامتثال للقانون الى غاية 18 ديسمبر 1916، حيث تم القبض عليهم بعد تنظيم عملية تمشيط عسكرية مكنت من القبض على حوالي 50 شاب من الفارين، من بينهم رحماني محمد بن السعيد، وهو مقدم الزاوية الرحمانية والمحرض الرئيسي على العصيان، لقد مكن القبض عليه وضع نهاية لهذه الاحداث.[21]

بينما يعتبر التقرير أعلاه، بأن مشتة تيلاطو خليط من البربر واليهود، وهي تشكيلة تعود إلى هروبهم من الأوراس في الحقبة الرومانية، منذ سنة 1844 عاش لخضر حلفاوة في سلام، لم يشاركوا في عمليات 1871، أما في أحداث 1916 فليس لهم دور كبير، فقط عبر شخصية بارزة وهي بن علي محمد بن النوي، إذ يعتقد أنه قاتل حاكم البلدية المختلطة عين التوتة ليلة الهجوم.[22]

أما دوار لبريكات المحاذي الى عين التوتة، فإن هذا الموقع يؤكد بأن المهاجمين من أولاد عوف وتيلاطو بالضرورة قد مروا من دوار لبريكات، مما يعني بأنهم على علم بكل التفاصيل، فهم يعرفون جيدا مقرات عين التوتة، حيث قبض على فارسين منهم، وهم لوشن مختار ولوشن حفصي، حيث توفيا في السجن، كما أن قضية تمارا تؤكد مشاركة لبريكات في هذه الاحداث.[23]

أما دوار أولاد شليح، فقد أفادت التقارير بأنهم جزء من أولاد بوعون، لقد عاشوا في سلام مع السلطة الاستعمارية منذ 1844 الى غاية سنة 1871، حيث كان لهم دور في الأحداث التي شهدتها منطقتهم خلال هذه السنة، لقد شاركوا في الهجمات التي أدت الى مقتل 3 أطفال و12 عامل أوروبي وعدد من المعمرين، مقارنة بما سبق من أحداث فإن دورهم في انتفاضة 1916 هي أقل ضررا بكثير، إذ لم يكونوا سببا في الاغتيالات ولكن وقع هجوم على ضيعة المعمر راينال (Raynal)، في قرية شعبة أولاد شليح Victor duruy)، وخاصة من أهل مشتتي أولاد عن درين ولبراقة.[24]

ورد في شهادة الحاج محمد بن إبراهيم قادري (1898 ــ 1995)، بأن أولاد شليح لم يشاركوا في أحداث عين التوتة كمجموعة ولكن شاركوا كأفراد، من ذلك أن ابن عمه قادري عمار بن بلقاسم تواجد بداية يوم 12 نوفمبر 1916 في عين التوتة، وانسحب مع المقاومين، حيث وصل الى البيت في حدود الساعة الخامسة والنصف صباحا، وطلب تبديل برنوسه، لبس البرنوس الأسود وتوجه باكرا إلى باتنة، كي يذهب عنه كل الشبهات، لقد كلفه نضاله فيما بعد سنة سجن، وتم اغتياله في باتنة في ماي 1921.[25] ويضيف بأن أولاد شليح تعرضوا للانتقام، حيث تعرضت مجموعة من البيوت للحرق من طرف (السليقان)، لكن تدخل قايد العرش وكذا نساء المستوطنين، أوقف عملية الانتقام تلك.

بعد هذا العرض، يتضح بأن مسئولية الهجوم تم تحميلها إلى ثلاثة دواوير، ومن ثم فإنهم هم الذين سيتحملون العقاب والانتقام الشديد، تنفيذا لذلك تم وضع المنطقة تحت الإدارة العسكرية بمقتضى قرار مؤرخ في 22 .11 .1916، وبدئ في تجميع القوات، حيث تم استدعاء الفرقة 250 من جبهات القتال بأوروبا ووجهتها الى المنطقة، ليصل عدد الجنود الفرنسيين في الأوراس إلى 6000 رجل، ومع بداية سنة 1917 وصل عدد القوات الفرنسية في الأوراس إلى أزيد من 14000 جندي.[26]

لقد تم ارتكاب أبشع الجرائم ضد السكان، من نوفمبر إلى نهاية 1917، جرى اعتقال 2924 ثائر بتهمة التمرد والخروج عن القانون، تمت محاكمة 825 منهم، فرضت على المحكوم عليهم غرامات مالية قدرت بـ 706656 فرنك فرنسي، كما صادرت 3759 بندقية صيد قديمة و7929 رأس غنم و266 رأس بقر و4511 رأس ماعز.[27]

يقول بويلي زياد في شهادته،[28] كنا نتوقع بأن الاستعمار سينتقم منا، ولذلك بعد الهجوم أخذنا أبناءنا ونساءنا وممتلكاتنا وتوجهنا الى الجبال، تمت

محاصرتنا بـ 14 نقطة في كل واحدة يوجد 16 عسكري برئاسة ضابط، كنا نأكل كسرة يابسة وحشائش الغابة، لقد عرفت الدواوير المعنية ضغطا كبيرا وقاسيا، إذ بعد 6 أشهر من الحصار تم حرق الدوار وقتل خمسين شخص وتسجيل 200 مفقود، فضلا عن الاعتقالات والغرامات التي اثقلت كاهل المواطنين.[29]

الملاحظ أن الانتقام الهمجي وغير الإنساني، وصل الى أنه أدين من طرف البرلمان الفرنسي، الذي حقق في الاحداث "أدان النواب البرلمانيون أساليب الانتقام الجماعي المتمثل في إحراق المداشر وافراغ المخازن ومصادرة الحبوب والمواشي ثم بيعها، خاصة ما تعلق بالجرائم التي ارتكبها السنغاليين.[30]

تعد الاعتقالات العشوائية، من أهم صور الانتقام ضد الأهالي من مختلف مناطق البلدية المختلطة لعين التوتة، وهو ما يتضح من الجدول الخاص بالمتهمين، الذين تعتبرهم السلطات الاستعمارية مسؤولين عن الاضطرابات في البلدية المختلطة عين التوتة.[31]

قراءة وتحليل واستنتاج للجدول الخاص بالمتهمين في احداث عين التوتة 11 ــ 12 نوفمبر 1916 (من إعداد الباحث)، بناء على الملحق رقم: 09

الرقم	ملف التهمة	عدد المتهمين	المفرج عنهم	الموتى	المتابعين
01	ملف البرج	36	03	01	32
02	ملف القرية	58	06	01	51
03	ملف تمارة	34	03	02	29
04	ملف الكنزرية (أولاد بشينة)	29	05	00	24
05	ملف ضيعة رينال (أولاد شليح)	25	07	00	18
06	ملفات اخرى	13	02	01	10
ا	**المجموع**	**195**	**26**	**05**	**164**

نتوصل من خلال هذا الجدول، الى مجموعة من النتائج:

1 ـــ لم يكن الهجوم على عين التوتة ليلة 11 ـــ 12 نوفمبر 1916 عشوائيا، بل تم التحضير له ووقع هناك تنسيق بين مناطق محاذية لعين التوتة، في قطر من 10 الى 20 كلم. هذا من ناحية العمليات، أما التنسيق الشامل فقد تم بين مقاومي بلدية بلزمة.

ـــ يعني البرج في الجدول، مقر حاكم عين التوتة، بينما تعني القرية، عين التوتة ببناياتها ومحلاتها.

ـــ تقع تمارة جنوب عين التوتة على بعد 8 كلم.

ـــ تقع الكنزرية (زاوية) على بعد 30 كلم شمال عين التوتة، دوار أولاد بشينة.

ـــ تبعد ضيعة رينال (Raynal) في دوار أولاد شليح، عن عين التوتة بحوالي 10 كلم.

ـــ يعبر عدم تفطن الإدارة الاستعمارية لعملية التحضير للهجوم، عن التنسيق وتقاسم الأدوار الدقيقة بين المهاجمين، حيث تم اختيار ظلمة الليل للتجمع بالقرب من عين التوتة، وفي الثلث الخير منه تنفيذ الهجوم، مما يعني تحاشي الهجوم العشوائي، حيث كان الهدف هو القضاء على رموز الإدارة الاستعمارية، كهدف رئيسي، وهو ما تم بالفعل.

ـــ تكلمت التقارير وبعض الشهادات بأن المهاجمين على عين التوتة تراوح عددهم بين 500 و1500 مهاجم، الا أن جدول المتهمين لا يعكس هذا العدد، فالإدارة الاستعمارية لا يعنيها العدد الكبير في النهاية بقدر ما يعنيها الأشخاص الفاعلين والذين يمكن من خلال عقابهم أن تردع الآخرين، فضلا على أن الأعداد التي تواجدت في محاذاة القرية ليلة الهجوم، يمكن أن يكونوا من الذين وفروا التغطية او المساعدة اللوجستيكية، أو أولئك الذين جاءوا للفرجة أو الاستطلاع.

ما يهم السلطة الاستعمارية، هم المشاركين الفعليين في الاحداث، مع توسيع القائمة الى من تذهب إليهم الشبهة، إذ بعد الاعتقال والتعذيب والاستنطاق، تم إضافة أسماء عديدة، ممن كانوا مطلوبين عندها بالعودة الى الأرشيف الأمني، ليتحدد العدد فيما بعد، إذ يقارب 200 شخص، في كل المناطق التي كانت محل احداث وقلاقل في تراب البلدية المختلطة لعين التوتة.

ـــــ الاعداد التي تضمنتها قائمة الاتهام، يمكن أن تكون معقولة في أماكن ولكن في أماكن أخرى مبالغ فيها.

ـــــ المتهمين في الهجوم على برج الحاكم، وما خلفه من حرق للأرشيف والعبث بمحتويات الطابق الأرضي والأول وقتل الحاكم ورئيس دائرة باتنة، حدد بـ 36 شخص، نستثني منهم ثلاثة أشخاص تم إطلاق سراحهم، وتوفي شخص واحد، وعليه فقد تم متابعة 32 متهم في هذا الملف، فإذا أخذنا في عين الاعتبار افراد الاستطلاع، وكذا الذين جلبوا البنزين لإشعال البرج وتطويقه من كل الجهات على حلقتين أو ثلاثة لضمان دخول آمن لمنفذي عمليات التنفيذ المباشر، في حدود 10 الى 15 فرد، فإن العدد جد معقول ويمكن أن يكون صحيحا.

ـــ أما بشأن الهجوم على قرية عين التوتة، فإن عدد المتهمين بلغ 58 شخص، أطلق سراح 6 منهم وتوفي واحد، وعليه فقد تم متابعة 51 متهم في هذا الملف، يتضح من ذلك أن هؤلاء متابعون فيما أسمته السلطات الاستعمارية بأعمال الشغب والنهب والسرقة، التي تعرضت لها محلات اليهود وبني ميزاب، وكذا الاضرار التي لحقت بمحطة قطار عين التوتة، وهناك من هم متهمين في ملف البرج والقرية، عددهم اثنان، ويعتقد أن هؤلاء اقتحموا محلات الميزابيين للحصول على البنزين، والتحقوا بالبرج للمشاركة في عملية احراقه واتلاف محتوياته.

أما بشأن تمارة، وهي تبعد جنوبا عن عين التوتة بـ 8 كلم، فإن وضعها يختلف، حيث تكلمت التقارير عن مقتل حارس الغابة وحرق مسكنه، والعبث بمحتويات محطة القطار بها، تم توجيه التهمة بشأن هذه الأحداث الى 34 شخص، أطلق سراح ثلاثة منهم مع تسجيل وفاتين، بمعنى تمت متابعة 29 شخص، وهو عدد نراه مبالغ فيه، حيث أن مقتل حارس الغابة وحرق بيته لا يتطلب هذا العدد الكبير من الأشخاص، فالحاصل، أن أحداث تمارة تمت بعد اشعال برج عين التوتة، اذ تكلم بويني زياد[32] في شهادته بأن بن النوي وجماعته توجهوا بعد حرق البرج الى تمارة، وهو المسئولين عن قتل حارس الغابة وحرق بيته، ونعتقد بأن ذلك تم بوجود شخصين وهما، زديرة موسى بن علي باي وزغيني جلة بن مسعود، المتهمين في أحداث البرج وتمارة مع بعض، حيث رافقا بن النوي باعتبارهما يعرفان تفاصيل تمارة ومسكن حارس الغابة، فهم أبناء الجهة.

العدد المرتفع للمتهمين في قضية تمارة، يعود الى أن حارس الغابة كان طاغية ويضيق على السكان في أرزاقهم ومواشيهم، ومن ثم فإن زوجته تكون قد اتهمت عائلات بعينها، بأنها كانت على خلاف دائم مع زوجها، ونذكر هناك عائلة حمازة (Hamaza) التي كانت الأقرب الى مسكنه، وتعد الأولى من ناحية عدد المعتقلين في المنطقة، اذ تم اعتقال 13 شخص منها، تم إطلاق سراح اثنين ومتابعة 11 فرد من هذه العائلة، من بينهم امرأة تدعى حمازة زهرة بنت عمار، التي قضت 10 اشهر في زنزانة بسجن قسنطينة وتوفيت بعد عشرة أيام من عودتها، بينما زوجها همازة الساكر حكم عليه ب 25 سنة سجن قضى منها جزء في سجن قسنطينة وحول الى سجن الحراش أين توفي بعد اضرابه عن الطعام، كما جاء في شهادة ابنه يحي.[33]

ـــ بشأن المتهمين من مشتة الكنزرية، فإن عددهم 29 متهم، تم إطلاق سراح 5 منهم، وتمت متابعة 24 شخص، وهي لا تفيد بمشاركة هؤلاء في الهجوم على عين التوتة، بل تمت متابعتهم لأنهم ينتمون الى الزاوية الرحمانية، التي تبعد عن عين التوتة بحوالي 30 كلم، وهي الزاوية التي اتهمتها السلطة الاستعمارية بانها السبب في اصدار فتوى بمقاطعة الشباب المطلوب للتجنيد الاجباري والدفع بهم الى الفرار والاحتماء بالجبال، لقد اجتمعت جماعتا حيدوسة و اولاد عوف بكنزرية و تناول بوعافية احمد بن احمد المدعو بن يحا شيخ سابق لدوار مروانة (4 افريل 1900- 17 افريل 1906) الكلمة مخاطبا النقيب « كابون » رئيس مكتب شؤون الاهالي لدائرة قسنطينة: بامكانكم الزيادة في الضرائب، نقبل بأن تؤخذ أموالنا، لكن لا نسلم لكم ابناءنا، وهذا لم تنساه السلطات الاستعمارية.(أنظر الملحق رقم 13).

ـــــ أما بشأن ضيعة راينال (Raynal)، في دوار أولاد شليح فإن عدد المتهمين، فيها يبلغ 25 شخص، وبعد إطلاق سراح 7 منهم، تمت متابعة 18 متهم، ونعتقد أن العدد مبالغ فيه، فهي جاءت كذلك التصريحات التي ادلى بها المعمر المعني بالهجوم، والتي اشتملت على كل من يشك فيهم نتيجة خلافات سابقة، ورغبة في الانتقام منهم نتيجة العداء والكراهية التي يحملها لهم.

تحدثت التقارير بأن مشتتين فقط شاركتا في الهجوم على هذا المعمر، وهما، مشتة لبراقة وأولاد عين درين، التي يبعد موقعها عن عين التوتة بحوالي 7 كلم، اذ عندما شاهد الشباب ألسنة اللهب في برج عين التوتة، تولدت لديهم الشجاعة والحافز للانتقام من هذا المعمر القريب منهم، والذي أخذ أجود الأراضي التي كانت تحت تصرفهم قبل سنوات، وجرى التضييق عليهم، وهذا ما

يبرر عدم استعمالهم للسلاح، حيث ذهبت التقارير، إلى أن هجوم هؤلاء لم يأخذ طابع الثورة كما هو الشأن في عين التوتة، بل روبط أكثر بأعمال الاجرام والسرقة.

خامسا: أهم الدروس المستخلصة

لم يكن غريبا أن تلجأ السلطات الاستعمارية إلى سياسة الأرض المحروقة للانتقام من السكان العزل، ويمكن الوقوف عند أهم النقاط التي استوقفتنا ونحن نتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل.

ـــ لا تعترف الإدارة الاستعمارية كما جاء في مختلف التقارير وما توصل اليه المفتش العام ديبون (Depont) بأن ما حصل في نوفمبر 1916، ثورة، بل هو مجرد تمرد وعصيان وخروج عن القانون، بسبب مجموعة من المجرمين والعصاة وقطاع الطرق والمتمردين، تحركوا استجابة لنداءات وفتاوى شيوخ الزوايا في الداخل، وتحريض ودعاية من أطراف خارجية، كالألمان والأتراك. بينما الواقع يؤكد أن ذلك بفعل التضييق واللعب بأرواح الجزائرين الذين كانوا يقاتلون لحماية شرف فرنسا.[35]

ـ كانت ثورة عين التوتة جزء من الكل، معلوم أن التذمر والقلاقل كانت في كل منطقة الأوراس، بدليل الانتقام العريض للسلطات الاستعمارية، حيث لم يمس فقط سكان البلدية المختلطة عين التوتة، لقد عانت منطقة بلزمة الأمرين من العقاب والتنكيل،[34] قوافل من الشهداء والمعتقلين والمنفيين.[36]

ـــ العدد الكثير للتقارير التي قدمتها مختلف الجهات، الإدارية، الأمنية والاقتصادية، بشأن أحداث عين التوتة تعبر عن الألم والاهانة التي تعرضت لها السلطة الاستعمارية، التي كانت تتلقى نفس الاهانات على الجبهة مع الألمان في أوروبا، يعبر هذا الحجم عن الرغبة في معرفة الحقيقة التي حركت الأهالي بهذا الحجم وفي هذا التوقيت بالذات، لتفادي تكرار ذلك في المستقبل، هذه هي طبيعة الاستعمار الاستيطاني عبر التاريخ.

ـــ تضمنت التقارير ما يمكن اعتباره تناقض بين الإدارات، مثل ما حصل بين تقرير مفتش الصحة العسكري،[37] الذي انتقل الى مستشفى باتنة، وانتقد الأوضاع التي وجد فيها المعتقلين، بحيث يتناول الفرد 750 غرم من الخبز يوميا، وهو وضع غير إنساني.

فعندما رد عليه رئيس دائرة باتنة، كان رده عنيفا، وحمل مسؤولية والوفاة والضعف البدني للمعتقلين الى ما تعرضوا اليه من خناق وتضييق ومتابعات من قبل المعمرين في الجبال قبل إيصالهم الى باتنة، لا يجب أن ينظر

الى هذا التناقض كخلاف يفسد الود، بل هو اجتهاد من مختلف المصالح الاستعمارية لبذل مجهود أكثر لضمان الاستقرار والامن، ولا يدفع بالأهالي الى المعارضة والثورة في المستقبل.

ـــــ أكدت بعض الشخصيات المتعاونة مع الإدارة الاستعمارية، بأن وفائها وتمسكها بامتيازاتها دفعها الى الاضرار بمصالح أبناء قبيلتهم ومن ثم بشعبهم، كتب السيد زروني بلقاسم بن علي خوجة البلدية المختلطة عين التوتة، عن بلودين شيخ سقانة، بأنه كان من المحرضين على الثورة، يعتبر شيخ سقانة مقدم للزاوية الرحمانية، لديه تأثير كبير في وسط لخضر حلفاوة وحتى في بريكة، أدى فريضة الحج مرتين، ثري ويسير دوار سقانة وسفيان، وهو يفعل ما يريد، يخافه الناس كأنه إله، الجميع يعلم بأنه المحرض على الثورة، لقد سافر شيخ سقانة الى تركيا وألمانيا سنة قبل الحرب مع ناصري أحمد، هذا الشيخ له علاقات في تونس، وهو دائما يتلقى رسائل من هناك.[38]

في حين يرى أجيرون، بأن اتهام شيخ سقانة المقدم بلودين مبالغ فيه، وهي مجرد وشاية من أوربيين ومسلمين هناك، فعمره 51 سنة نفوذه الديني متواضع، تعرض لوشاية من قبل خوجة نقاوس، قبض عليه وأودع السجن، كان معروف بعدائه للباشا آغا ابن قانة، والذي قد يكون له يد في إتهامه في هذه الأحداث 1916.[39]

نفس الشيء يمكن قوله عن الشيخ الجديد لـ سقانة، حيث أشادت الإدارة الاستعمارية بدوره في القبض على بن علي محمد بن النوي، فهو الذي نصب له الكمين وتم القبض عليه مع رفقائه، حيث تم بعد ذلك اعدامهم في سوق عين التوتة، ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه معارضة الإدارة الاستعمارية. [40]

ـــــ تكلمت الإدارة الاستعمارية في تقاريرها عن الرأفة والإنسانية، عندما تعلق الأمر ببنت حاكم عين التوتة، عندما ارتمت على جثة والدها وتوسلت للمهاجمين بتركه وشأنه، ولكن لا تتعامل بذلك عندما قتل جنودها طفل في عامه الأول وهو في حضن عمته التي

ـــــ دلت قوائم المتهمين بعد الأحداث، التي شملت مواقع عديدة ليلة الهجوم عن وجود تنسيق في التوقيت الواحد وفي ليلة واحدة، وهو التنسيق الذي أقلق وأحرج السلطات الاستعمارية، التي لم تتمكن مخابراتها من اكتشاف هذا المخطط للتصدي له في الوقت المناسب.

ـــ اذا كان المقاومون في البلدية المختلطة عين التوتة سباقون لتنفيذ الهجوم ليلة 11 ـــ 12 نوفمبر، فإن بلدية مروانة ومنطقة بلزمة كانت تشتعل من غضب الأهالي قبل أيام من هذه الليلة، ففي يوم الثلاثاء 7 نوفمبر تغيب 204 من 571 شاب مقيد للتجنيد في دفعة 1917، وهو اليوم الذي تظاهر فيه مئات الثائرين بسلاحهم و احتلوا المرتفعات المحيطة بكورناي، و كلهم استعدادا للانقضاض على هذا المركز الاستيطاني، و يوم 11 نوفمبر 1916 و قبل ساعات من شن الهجوم على البرج الاداري لماك ماهون، أرسل رئيس دائرة باتنة « كاسينلي » برقية مشفرة الى الوالي، مضمونها:« المسجلون لدوار اولاد عوف ينضمون الى المقاومين الرافضين لبلزمة و يمتنعون عن الحضور(...) و القوات المطلوبة للقدوم الى بلزمة يجب ان تتدخل ايضا على مستوى مناطق تواجدهم».(41)

هذا ما يؤكد بأن عدم التفطن أوعدم انتباه السلطات الاستعمارية لتحضيرات الهجوم على عين التوتة ليلة 11ـــ12 نوفمبر، إنما يعود الى توجه انظارها الى ما يحدث من تحضيرات وتحركات المقاومين في بلدية بلزمة المختلطة، إذ كانت هي البؤرة الأساسية، والقوات المطلوبة كانت هدفها التوجه إلى مروانة وليس عين التوتة، وهو ما اكدته البرقية المشفرة السابقة الذكر أعلاه.

الخاتمة:

توصلنا في خاتمة هذه الورقة الى مجموعة من النتائج، أهمها:

ـــ لم تكن ثورة الاوراس 1916، وليدة هذه السنة فقط، بل هي نتيجة تفاعلات الساحة الداخلية، بما في ذلك التضييق على أرزاق الناس وفرض التجنيد الاجباري، وكذا الساحة الخارجية وما فرضته الحرب العالمية الأولى من تغيرات، اهانت الإمبراطورية الفرنسية، مما شجع السكان على استغلال الفرصة والثورات ضدها في مرحلة الضعف للتخلص من السيطرة الاستعمارية.

ـــ لم يكن التحضير لهذه الثورة متوازن منذ البداية، مقارنة بإمكانيات السلطة الاستعمارية، لعبت الزوايا والمشايخ دورا مهما في التشجيع على التمرد، والتقى ذلك مع إرادة الشباب في التمرد على قانون التجنيد الاجباري، وتم التحضير لليلة 12 ديسمبر بما توفر من إمكانيات، بعض البنادق والسيوف ...، ليتأكد فيما بعد أن نجاح الثورة يعتمد على الإيمان بها والإرادة والإمكانيات البشرية والمادية اللازمة، ولا تستطيع أي ثورة تحقيق النجاح ما لم تتحد كل هذه

العناصر الأساسية مع بعضها، ولا بأس إذا توفرت عناصر أخرى، كالدعم الخارجي.

لقد دل الهجوم على مقر الحاكم ليلة 12 نوفمبر 1916، هشاشة الإدارة الاستعمارية لو توفرت الإمكانيات عند المهاجمين، لقد زرعوا الرعب من خلال مقتل ثلاثة من رموز هذه الإدارة، واتضح بأن الإرادة يمكن أن تصنع الكثير، لو توفر قائدا لهذه الحركة واندماج كل مناطق الاوراس والتنسيق للعمل المشترك في ليلة واحدة، لقح حقق التنسيق بين اولاد عوف وممثلي بلزمة تهديدا كبيرا للسلطة الاستعمارية، ففي الوقت الذي كانت تنتظر هذه السلطة الهجوم في مروانة وإذا به يتم في عين التوتة.

ـــــ بينت أساليب الانتقام التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية، عن الحقد الكبير الذي تكنه للسكان، فبالغم من الظلم والتضييق الى درجة الموت، يمنع على السكان الأصليين التعبير عن ارادتهم في الحرية. ولذلك عبرت أساليب العقاب من قتل ونفيي وتغريم، عن الإرادة في منع مثل هذه الانتفاضات مستقبلا، وان أدى الأمر الى إبادة كل القرى والمداشر.

ـــــ لقد مثلت هذه الثورة محطة للطرفين، كانت للإدارة الاستعمارية فرصة لاستخراج الدروس والعبر لإحكام قبضتها أكثر، وكانت دافعا للجزائريين للعمل أكثر وبكل الصيغ، للاستفادة من الانتكاسات السابقة وتهيئة أسباب النجاح في المواعيد القادمة، مر بمحطات مؤلمة كمذابح 1945، لكن القدر ناداه في نفس الشهر من سنة 1954، يا فرنسا قد مضى وقت العتاب، وطويناه كما يطوى الكتاب، يا فرنسا انا ذا يوم الحساب، فاستعدي وخذي منا الجواب.

الملاحق:

نشير بأن الملاحق تحصلنا عليها بمساعدة الأستاذ الباحث عبد الحق بن زايد، من باريس، وننشرها بترخيص منه، وهي من أرشيف مدينة أكس اون بروفانس، سبتمبر- أكتوبر ــ نوفمبر 2020.

الملحق رقم 01:

يعد هذا الملحق عبارة عن تقرير إعلامي موجه للصحافة، لكن تم منعه من النشر، من توقيع، (Marius ader)، حول أحداث عين التوتة والاحداث المرتبطة بها.

...FR ANOM.3.216

.

-1-

SECURITE en ALGERIE

-_-_-

LES SOULEVEMENTS INDIGENES
dans la REGION de BATNA

-_-_-_-_-_-

CE QUE PENSE M. JULES CUTTOLI, DELEGUE FINANCIER ET CONSEILLER GENERAL de BATNA, de l'ATTENTAT DE MAC MAHON (Aïn-Touta) et des EVENEMENTS QUI l'ont PREPARE.

-_-_-_-_-_-

Les tragiques évènements qui ont ensanglanté, dans la nuit du 11 au 12 Novembre le village de Mac-Mahon (anciennement Aïn-Touta), dans le département de Constantine ont fait l'objet d'une communication officielle que nous avons publiée, ainsi que nos confrères, le 16 Novembre.

Il ne nous appartient pas de juger la tendance qui se manifeste dans la forme générale de ce communiqué. Quant aux faits eux-mêmes, il nous a paru qu'il y avait plus et mieux à dire au public, et en même temps, nous avons pensé qu'il était intéressant de rechercher les causes de ce qu'on appelle officiellement "cette agitation".

Nous nous sommes adressé à M. Jules Cuttoli, représentant dans plusieurs assemblées de la région où règne cette "agitation".

Nous savions qu'en maintes circonstances, et depuis longtemps, il avait prévu qu'un jour viendrait où les évènements se précipiteraient; nous savions qu'il avait souvent prévenu les autorités supérieures et et qu'il avait plusieurs fois jeté un cri d'alarme. Il était donc mieux placé que quiconque, et par l'autorité qui s'attache à sa double situation de délégué financier et de conseiller général de Batna, et par sa documentation sérieuse et sincère, pour nous renseigner.

M. Jules Cuttoli a mis un fort aimable empressement à nous ac-

---

مختصر لمحتوى الملحق رقم01.

بعنوان، تقرير اعلامي عن الأسباب الحقيقية لهذه الاحداث،
موجه للصحافة لكن منع من النشر،

لقد حذر مسؤولين سابقين عديدين من إمكانية اندلاع احداث، لأن ما جرى لم يأت من العدم، بل نتيجة مجموعة من العوامل متسلسلة أدت الى جريمة السرقة والنهب والقتل والحرق، وقبل ذلك لابد من التعرف على ما يسمى بقضية ماكماهون.

تعتبر مكماهون، مقرا للبلدية المختلطة عين التوتة، تبعد 34 كلم عن باتنة، و90 كلم عن بسكرة، و145 على قسنطينة، تقع على طريق سكة حديد قسنطينة ــ بسكرة، سكان هذه القرية 400 ساكن، من بينهم 130 اصولهم فرنسية، و16 يهودي متجنس، 6 أجانب، 248 من الأهالي، بما فيهم المزابيين.

مجموع سكان البلدية المختلطة يبلغ 34548 نسمة، من بينهم 368 أصولهم فرنسية، 16 يهود متجنسين، 7 أوربيين، و34066 من الأهاليـ تبلغ مساحة البلدية المختلطة 283682 هكتار.

الأهالي الذين هاجموا مكماهون ينتمون الى ثلاثة دواوير:

ـــ دوار لبريكات، سكانه 2303 نسمة، وهم المحيطين بعين التوتة،

ـــ دوار أولاد عوف 2859 نسمة.

ـــ دوار تيلاطو 2821 نسمة.

دوار أولاد عوف وتيلاطو، يحدان عين التوتة من الجنوب الغربي، ويبعدان عنها بحوالي 20كلم.

تطور الاحداث:

السبت 11 نوفمبر 1916، استقبل برج الحاكم ماكماهون، المجندين حسب الافواج، والملاحظ ان لا احد حظر من شباب أولاد عوف، وفي المساء تأكد بأن هؤلاء الشباب قرروا عدم الحضور، مما دفع رئيس دائرة باتنة الى المبيت في عين التوتة في البرج عند الحاكم.

لقد لوحظ في مساء 11 نوفمبر تجمع افراد من أولاد عوف، ووصلوا الى عين التوتة في حدود الثانية والنصف صباح من يوم الأحد 12 نوفمبر حدود عين التوتة، انضم إليهم سكان من دوار تيلاطو وبعض افراد من دوار لبريكات. كان غالبيتهم على الأحصنة تتبعهم بعض النسوة، توقفوا عند الواد الذي يفصلهم عن القرية، عددهم حوالي 1500 شخص، بدون قائد واضح.

في حدود الساعة الثالثة صباحا بدأ العدد يزداد، ووقع الهجوم. توجه جزء منهم إلى محلات المزابيين من أجل الحصول أولا على البترول، ودخلوا الى البرج عبر باب صغير جانبي، بينما تسلل مجرمون آخرون لتحضير وتنفيذ الباقي.

سمع الحاكم مارساي (.....) ضجيج فنهض، الا أنه تلقى ثلاث رصاصات سببت له جروح في فخذه، عندما استيقظ من في القصر وجدوا أنفسهم أمام المهاجمين والمشاغبين، تلقى رئيس دائرة باتنة السيد كاسنالي (.....)، ضربتين بالعصى في قفاه، وتركه القتلة ساقطا في الأرض. ثم وجهوا الى السيد مارساي طلقة من بندقية وعدة طعنات بخنجر.

السيد مارساي، كان مع إحدى بناته، وهي التي روت مجريات هذه الحادثة، حيث تقول بأنها رمت نفسها على ولدها وهي تبكي وتوسلت للمهاجمين بتركه، لكن المتوحشون كالكلاب المسعورة أطلقوا على الجثة طلقة أخرى، ليصيبوا ابنته في بطنها، مما أدى بوالدتها الى الدخول في حالة هستيريا وجنون. كل العصابة احتفلت امام الجثة، وينادون (الرومي الوسخ...الرومي الوسخ).

ــ لقد تم اشعال النار في 4 زوايا، بدء بإحراق سجلات الحالة المدنية واتلاف محتويات كل غرف البرج، في القرية تم نهب المحلات، باستثناء محلات العرب التي ظلت سالمة، كثير من نساء المعمرين هربن فوق السطوح من العلع والخوف. نساء الأهالي المرافقة لهم، وبعد التأكد من مقتل الحاكم ورئيس الدائرة باتنة، اعلن فرحتهن بالزغاريت.(youyou youyou، وأنهى المجرمون عدوانهم بسرقة المواشي.

حرص المهاجمون قبل الهجوم على قطع خيوط الهاتف، مما سبق عزلة للقرية عن محيطها، شمالا وجنوبا. كما خلفت الأحداث قتيلين آخرين، واحد هو مسؤول محطة قطار عين التوتة، وكذا افساد أرشيف المحطة، بينما نجت زوجته وابنه بمساعدة شخص من الأهالي. والثاني في تمارة التي تبعد جنوبا عن عين التوتة ب 8 كلم. ويتعلق الامر بحارس الغابة السيد تريزانو (Terrezano)، كما جرى اشعال منزله، وجرى تقاسم ما تم نهبه من محلات عين التوتة، حيث كانت غنيمة جميلة.

السيد ب (B)، وهو صاحب مطحنة في الوادي على بعد 2 كلم جنوب عين التوتة، يقول بأنه سمع جدل بين المهاجمين، حيث تبادلوا الحديث وجرى إطلاق النار من بنادق. تحرك أحد الأهالي للاتصال بشيخ دوار تيلاطو وذهب مسرعا لإحضار الزواف، لكن قطاع الطرق منعوه وهددوه اذا اصر على اكمال مهمته.

وبعدها تدخل 20 زواف، يتواجدون على بعد كيلومتر واحد عن عين التوتة،

تأجلت العملية الى ان وصل الصوت من عين التوتة، وبعد اشعال البرج وظهور ألسنة اللهب، بعد ان تمت الاغتيالات، خرج الزواف تدريجيا ودون مواجهة الاعداد الكبيرة من الأهالي. حيث كانوا يتواجدون في معسكر صغير يبعد كيلومتر واحد عن عين التوتة، بدا الزواف، وعددهم 20، في إطلاق طلقات تحذيرية تجاه المهاجمين الذين نهبوا القرية، حيث تم قتل 4 منهم.

التقييم:

لقد تم التحذير من قبل لكن بدون استجابة، الآن نحن أمام مقتل مسؤولين وجرح بنت الحاكم ودركي، لا بد من معرفة الحقائق.

منذ تفتيش أفريل 1915، المجلس الاعلى لقسنطينة نبه الى أهمية الأمن، وهذا بناء على عمليات عديدة نفذت من طرف المجرمين، والتي يعود بعضها الى 1914، حتى الأهالي عانوا من وضعية تدهور الامن وطالبوا بحماية أكثر، كما ان المعمرين لم يعودوا مطمأنين اطلاقا.

الوضع يتأزم أكثر

جويليا 1915، تمت مراسلة جيل كابتولي حاكم عين التوتة من طرف الأهالي والمستوطنين، لكن الجواب كان بأن المعمرين كثير ما يبالغون. كما نؤكد باننا اعتقدنا بان السيد مودوي (Mauduit) رئيس بلدية باتنة كان متشددا ومتهورا، ففي العديد من المرات أعلن عن خطورة الوضع.

ـــ ماي 1916، تدخل جديد للسيد كاتولي، ودائما نقول بان المعمرين يبالغون.

7 أكتوبر 1916، العمليات تؤكد بانها نتيجة المشاكل والقلاقل الموجودة في المنطقة منذ سنتين.

العقوبات والإجراءات:

تم تسجيل خلال 9 أيام قتلى في منطقة باتنة.

قرى واد حملة وواد الشعبة افرغت من سكانها بأمر من الحاكم. كل حراس الغابات ثم ادخالهم الى باتنة خوفا من قتلهم، الأمن لم يعد موجودا اليوم.

بعد عملية عين التوتة لم يعد الوضع كما كان في السابق. إذا رد الفعل يجبا أن يكون الآن قويا ومثاليا، وهذا في صالح التواجد الفرنسي في الجزائر.

في الكلمة التأبينية لـ حاكم عين التوتة مارساي، قال السيد جيل كيتولي (Jules Cuttoli)، لا بد من معرفة حقيقة الاحداث ومعرفة أسبابها، هذه الحقيقة لا بد من إعلانها. هذه هي السياسة الصحيحة، وليس سياسة النعامة التي كانت متبعة من قبل.

التوقيع

Marius Ader

الملحق رقم 02:

تقرير حاكم البلدية المختلطة عين التوتة، حول الدور الذي لعبه العديد من دواوير البلدية بشأن أحداث نوفمبر 1916 والإجراءات المطبقة بشأنها، مؤرخ في 28 مارس 1917

FR ANOM B.3.216..

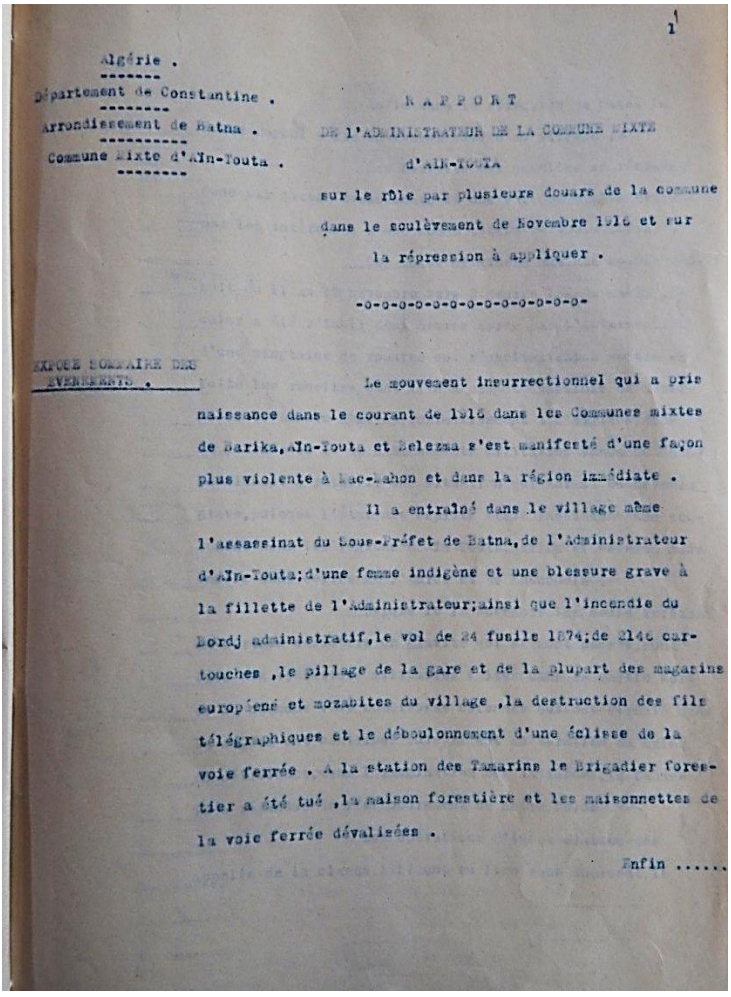

1

Algérie .
Département de Constantine .
Arrondissement de Batna .
Commune Mixte d'Aïn-Touta .

RAPPORT

DE l'ADMINISTRATEUR DE LA COMMUNE MIXTE d'AIN-TOUTA

sur le rôle par plusieurs douars de la commune dans le soulèvement de Novembre 1916 et sur la répression à appliquer .

-0-0-0-0-0-0-0-0-0-0-0-0-0-0-

EXPOSE SOMMAIRE DES EVENEMENTS .

Le mouvement insurrectionnel qui a pris naissance dans le courant de 1916 dans les Communes mixtes de Barika, Aïn-Touta et Belezma s'est manifesté d'une façon plus violente à Mac-Mahon et dans la région immédiate .

Il a entraîné dans le village même l'assassinat du Sous-Préfet de Batna, de l'Administrateur d'Aïn-Touta; d'une femme indigène et une blessure grave à la fillette de l'Administrateur; ainsi que l'incendie du Bordj administratif, le vol de 24 fusils 1874; de 2140 cartouches, le pillage de la gare et de la plupart des magasins européens et mozabites du village, la destruction des fils télégraphiques et le déboulonnement d'une éclisse de la voie ferrée . A la station des Tamarins le Brigadier forestier a été tué, la maison forestière et les maisonnettes de la voie ferrée dévalisées .

Enfin .....

ملخص لمحتوى الملحق رقم:02،

مختصر تقرير حاكم عين التوتة عن أحداث ليلة 11 ـــ 12 نوفمبر 1916، مؤرخ في 28 مارس 1917.

لقد كانت أحداث عين التوتة ليلة 11 ـــ 12 1916، أحداثا ضخمة وغير متوقعة من الأهالي (العرب)، في عين التوتة وبريكة وبلزمة، والتي تمت بطريقة عنيفة جدا، خاصة في عين التوتة، إنها أدت الى اغتيال رئيس دائرة باتنة وحاكم عين التوتة وامرأة من الأهالي، وتسببت في جروح خطيرة اصابت بنت الحاكم في بطنها عندما حاولت حماية والدها، وكذا حرق مقر الحاكم وسرقة 24 بندقية و1874 خرطوشة.

لقد تم اتلاف محطة القطار ومستودعات بني ميزاب وكذا خيوط الهاتف، وافساد سكة الحديد وقتل حارس الغابة وحرق منزله في تمارة، وفي اتجاه باتنة جرى الاعتداء على ضيعة رينال (Raynal) في عرش أولاد شليح. هذه العمليات الاجرامية تمت ليلة 11 ـــ 12 نوفمبر 1916، في حدود الساعة الثالثة والنصف صباحا، ليعود الهدوء بعد ساعتين بعد تدخل قوات الزواف، وهو ما دفع الى هروب المقاومين من الأهالي، دون التمكن من تحديد عددهم، إذ تفيد الشهادات بأن عددهم يتراوح بين 1500 و2000 مهاجم. وفي الصباح وصلت 12 فرقة من باتنة، لنكتشف الوضع الخطير جدا الذي وصلت اليه الأوضاع، لتبدأ عملية التحقيق في نواحي عين التوتة، بريكة، بلزمة وكذا في الأوراس وخنشلة.

اثبتت التحقيقات بان أحداث مكماهون (عين التوتة)، من صنع عصابات من الأهالي التابعة لدوار أولاد عوف، تيلاطو ولبريكات، بينما الاعتداء على ضيعة المعمر رينال (Raynal) تم من مشتتين، أولاد عين درين ولبراقة، من دوار أولاد شليح، وهي مجرد أعمال سرقة ونهب، لم تؤدي الى القتل.

كيف تمت اللعبة من طرف الدواوير المعنية؟

ـــ دوار أولاد عوف، ينتمي الى عرش أولاد سلطان، بمساحة تقدر بـ 1500 هكتار وبعدد سكان يبلغ 3800 نسمة، معروفون بمقاومتهم بقيادة عيسى بن سلطان، وأصله من أولاد عوف، قاوموا الرومان والأتراك، وثاروا ضد السيطرة الفرنسية سنة 1871 مع أولاد شليح. لقد هددوا الحاكم يوم11 نوفمبر 1916 عندما حاول اقناعهم بالمثول الى القانون، لكنهم حرضوا ابناءهم للفرار الى جبل رفاعة وعدم الامتثال الى السلطات الى غاية 18 ديسمبر 1916.

نظمت عملية عسكرية نشطة في 18 ديسمبر، مكنت من القبض على حوالي 50 شخص من الفارين، ومن بينهم رحماني محمد بن السعيد، وهو مقدم الزاوية الرحمانية، هذا الشخص المتدين هو المحرض على المقاومة، اذ مكن القبض عليه توقف كل الاحداث. هناك العديد من الشخصيات الدينية في المنطقة ساهمت في العصيان، من ذلك دباش عمار وبن علجية وكذا شيخ سقانة.

ـــ أما دوار تيلاطو، فهم خليط من البربر واليهود، وهي تشكيلة نتيجة الهروب من الاوراس في الحقبة الرومانية الى تيلاطو، منذ 1844 وهم يعيشون في سلام ولم يشاركوا في احداث 1871، اما ما تعلق بأحداث عين التوتة 1916، فليس لهم دور كبير ماعدا انحدار بن علي محمد بن النوي منهم، اذ يعد هو قاتل حاكم عين التوتة.

ـــ دوار بريكات، عدد سكانه 3327، نسمة، بمساحة تقدر بـ 8897 هكتار. ولأنهم الأقرب الى عين التوتة فإن عصابات سقانة، سفيان أولاد عوف وتيلاطو، لا بد لهم من المرور على لبريكات، فهم إذا على علم بكل شيء، فهم يعرفون جيدا مقرات عين التوتة، اذ تم القبض على فارسين منهم، لوشن مختار ولوشن حفصي، حيث توفيا في السجن، كما ان قضية تمارا تؤكد تورط لبريكات في هذه الأحداث.

ـــ أولاد شليح، هم تابعون للبلدية المختلطة عين التوتة، ولكن هم جزء من قبيلة اولاد بوعون، مع دواوير مروانة، أولاد مهنة، لقصر، واد الماء، أولاد محمد فروج، وزانة، وكل البلدية المختلطة بلزمة، تحدثت الدراسات بأن أولاد شليح يعودون الى الساقية الحمراء، وصلوا الى نقاوس بسبب ذكائهم، حيث أصبحوا بسرعة من زعماء المنطقة، بقضائهم على محمية نقاوس، حيث أعلنوا الاستقلال عن الاتراك، لكن بعد محاصرتهم من قبل محمية تركية فروا الى حيدوسة ناحية مروانة، واحتموا بجبال بلزمة.

عاش أولاد شليح في سلام مع فرنسا سنة 1944، بتوجيه من القاضي في باتنة، لكنهم خانوا هذه الثقة في أفريل 1871، عندما هاجموا وقتلوا 3 أطفال و12 عامل أوروبي وعدد من المعمرين ودمروا مقراتهم، كما شاركوا في احداث أخرى، لم يكن لأولاد شليح تأثير كبير سنة 1916. فهم اقل تأثير، لم يكونوا سببا في الاغتيالات، هاجموا ضيعة المعمر راينال، (Raynal)، من قبل مشتتين، عين درين ولبراقة، بحيث مثل 20 منهم امام المجلس الحربي، وعملهم هذا يرتبط بعملية صعلكة وسرقة اكثر ما هو تمرد وثورة.

ملاحظات عامة:

ـــ تعد أحداث 1871، في المنطقة مقدمة لأحداث 1916، ساهمت فيها الزاوية الرحمانية واحداث بريكة والمتمردين بقيادة بن النوي محمد بن علي وشيخ سقانة.

ـــ لقد كانت الوضعية الاقتصادية السيئة للدواوير من العوامل المهمة، مع ان الصعوبات الاقتصادية للأهالي ليست سيئة، لأن الغرامات المفروضة عليهم كانت تراعي حجم المحصول ولا تفرض جزافا.

ـــ لابد من التعامل بحسم مع دوار أولاد عوف، لبريكات وتيلاطو، أما مشتتي (عين درين ولبراقة) في أولاد شليح، فلا بد من سماع بعض الأشخاص الذين نثق فيهم وظلوا أوفياء لنا، اذ نحتفظ هنا على إعطاء أسمائهم،* وسنعلن عنهم في الوقت اللازم.

عين التوتة 28 مارس 1917.

الحاكم العام

---

* نعتقد بأن هذه الأصوات يقصد بها، قايد أولاد شليح دومنجي الصالح، الذي قدم خدمة كبيرة للسلطات، باعتباره هو الذي انتقل الى باتنة بجواده ليبلغ السلطات بأحداث عين التوتة في ظل صعوبة التنقل وقطع خيوط الهاتف، أما الشخص الثاني فهو مراردة أحمد بن محمد قايد تيلاطو توفي في 1937، وهو من أولاد شليح، كانت كلمته مسموعة عند السلطات، ولا يريد أي مكروه لأبناء قبيلته، خاصة وأن الخسائر لم تكن في مستوى الضرر بالمصالح الاستعمارية، بمعنى يمكن تجاوزها أو غض الطرف عنها، ولا يستبعد أنه المتدخل لرفع التهمة عن وقلال علي بن محمد، المتهم في الهجوم على ضيعة رينال، حيث أطلق سراحه ولم يتابع في هذه الاحداث، باعتباره صهره (أخ زوجته).

كما كان الال بشأن تدخل السيد زروني بلقاسم بن علي، خوجة عين التوتة، لإطلاق سراح قريبه السيد زروني علي بن بلقاسم، الذي اعتقل بتهمة المشاركة في الهجوم على قرية عين غالتوتةليلة 11 ـــ 12 نوفمبر.

الملحق رقم 03:

تقرير زروني بلقاسم بن علي، خوجة البلدية المختلطة عين التوتة. يقع في 4 صفحات.

FR ANOM 93202/1

Commune Mixte
d'Aïn-Touta .

C O P I E

de la déposition de M. ZEROUNI Belkacem ben Ali

Khodja de la commune Mixte .

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

Le Samedi à 14 heures commença la conscription indigène mais dès 11 heures et demie je m'étais occupé de placer les conscrits en ordre devant l'infirmerie indigène où se réunit la commission . Les conscrits de cinq douars Ouled-Chelih,Tahanent,El-Ksour,Briket et Djebel-Croun étaient présents avec leurs Kebars et leurs parents ;ils étaient très calmes .

S.I. la conscription eut lieu dans la plus grand calme seules quelques femmes pleurèrent en apprenant que leurs fils étaient bons pour le service . Je n'ai entendu aucun propos déplacé .

S.I.-Je n'ai vu aucun conscrit déchirer ses convocations d'ailleurs seuls ceux reconnus inaptes conservaient leurs convocations celles des autres étaient remises à la commission .

S.I.- La séance fut levée à 17 heures,je sortis avec la commission que j'ai accompagnée jusqu'au Bordj . Puis je revins chez moi où j'ai trouvé mon frère Zérouni Ahmed ben Ali Fellah à Séfiane venu de son douar ~~xxxxxxxxx~~ par le courrier de Barika vers midi moins le quart . Je ne l'avais pas encore vu;il venait chercher son fils Rouag qui était chez moi depuis un mois et demi environ . Nous nous sommes couchés de bonne heure car j'étais fatigué . A ce moment là je faisais le carême car j'avais été malade au moment du Ramadan et je n'étais pas allé au bureau pendant plus d'un mois,en Juillet 1916 ; vers trois heures du matin je me suis réveillé de moi-même et j'ai demandé à ma femme de me préparer à manger . Puis je suis sorti ~~x~~ dehors fai-

ملخص عن الملحق رقم:03،

تقرير السيد زروني بلقاسم بن علي ـــ خوجة البلدية المختلطة عين التوتة، بشأن أحداث عين التوتة ليلة 11 ـــ 12 نوفمبر 1916.

البلدية المختلط عين التوتة

تقرير السيد زروني بلقاسم بن علي ـــ خوجة البلدية المختلطة عين التوتة

بدأت لجنة التجنيد للأهالي عملها يوم السبت الساعة الثانية بعد الزوال، لكن منذ الساعة الحادية عشر بدأت عملية التنظيم أمام العيادة من أجل الفحص الطبي، حيث اجتمعت اللجنة الخاصة بـــ 5 دواوير (أولاد شليح، تهنات، لقصور، بريكات وجبل كرون)، حضروا مع ذويهم في هدوء تام.

كانت الأمور عادية، باستثناء بكاء بعض النسوة، (رافقن أبناءهن)، لم أرى أي مطلوب مزق الاستدعاء، رفعت الحصة او الجلسة في الساعة الخامسة مساء، خرجت فوجدت أمامي أخي زروني أحمد بن علي (فلاح في سفيان)، جاء يبحث عن ابنه (رواق)، الموجود عندي منذ شهر ونصف تقريبا،

توجهنا المنزل، واستسلمت الى النوم باكرا من شدة التعب، حيث كنت صائما، لأنني كنت مريض في شهر رمضان، ولم اذهب الى المكتب مدة شهر (جويليا 1916)، في حدود الساعة الثالثة صباحا نهضت وطلبت من زوجتي تحضير الأكل (السحور)، ثم خرجت من البيت، في هذه اللحظة سمعت ضجيج وكأنها رياح أو صوت قطار، ثم طلقات نار تبعت ذلك الضجيج، عدت الى البيت كي ألبس ثيابي، سمعت صرخات واعتقدت بأن الأهالي جاؤوا لمهاجمة القرية، خرج الجيران وطلبت منه البقاء في بيوتهم.

لم الاحظ عملية النهب، بقيت أمام بيتي وكنت خائف على النساء، من النهب والتحرش.

علمت قبل هذا، بأن شيخ سقانة قال مادام انهم لا يريدون ترك أبناءنا، فإننا سنهاجم ماكماهون (عين التوتة)، لقد استقبل شيخ سقانة مساء السبت (ليلة الهجوم) المجرمين وقطاع الطرق في القنطرة، والذين يأتون كل مساء الى سقانة، حيث أشرف على تقسيم الأفراد الى مجموعتين، الأولى تذهب الى بريكة والثانية كلفها بمهاجمة عين التوتة، شيخ سقانة هو مقدم الزاوية الرحمانية، له وصاية كبيرة وكلمة مسموعة عند لخضر حلفاوة، بل حتى في بريكة، ذهب إلى الحج مرتين، وهو غني ويدير دوار سقانة وسفيان ويعمل ما يريد، يخافه الناس وكأنه إله، الجميع يقول انه هو المحرض على الثورة.

شيخ سقانة ذهب الى تركيا وألمانيا سنة قبل الحرب رفقة ناصري احمد، وله علاقات في تونس، ويتلقى رسائل من تونس باستمرار.

توقيع

زروني بلقاسم بن علي

خوجة البلدية المختلطة عين التوتة

الملحق رقم 04:

تقرير بشأن بن علي محمد بن النوي، أعده حاكم عين التوتـــــــة

FR ANOM 93202/1.

Algérie .

Département de Constantine .

Arrondissement de Batna .

Commune Mixte d'Aïn-Touta .

N O T I C E

SUR LE BANDIT BENALI MOHAMMED

BEN NOUI .

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

BENALI Mohammed ben Noui, âgé de 33 ans est né à la mechta Metlili du douar Tilatou . Il est le fils de feu Noui ben Belkacem et de feue Messaouda bent Ahmed . Il est marié et a deux enfants. Il est d'origine berbère et en présente tout le type .-Blond yeux gris clair,grande taille Robuste .Son regard est perçant mais fuyant ;son visage est dur et décèle une énergie peu commune .

BENALI Mohammed a habité de 9 à 15 ans le village de N'Gaous avec son oncle Benali Abdallah ,aujourd'hui décédé,qui était cavalier de la commune mixte des Ouled-Soltane . Durant son séjour à N'Gaous il a fréquenté une école coranique dirigée par un nommé Si Ahmed de Barika . Dans son jeune âge il se faisait déjà remarquer par son mauvais esprit et on nous a raconté qu'à plusieurs reprises il s'était enfui dans le Metlili d'où son oncle le ramenait après une sévère correction . Il est un peu lettré en arabe .

A ...

مختصر عن الملحق رقم:04،

تقرير أعده حاكم عين التوتة بتاريخ 5 أفريل 1917، بشأن بن علي محمد بن النوي، المتهم بقتل حاكم عين التوتة ليلة الهجوم

FR ANOM 93202/1.

الجزائر

عمالة قسنطينة

ناحية باتنة

البلدية المختلطة عين التوتة

تقرير بشأن المجرم بن علي محمد بن النوي

بن علي محمد بن النوي، 33 سنة، ولد في مشتة متليلي دوار تيلاطو. بن بلقاسم ومسعودة بنت أحمد، متزوج وأب لولدين، ذو أصول بربرية، أبيض البشرة، صاحب عينين رمادي فاتح، قوي البنية، يملك نظرة ثاقبة ملامحه قاسية ومخيفة.

سكن بن علي محمد بن النوي من 9 الى 15 سنة، في قرية نقاوس رفقة عمه بن علي عبد الله، تمدرس أثناء تواجده في أنقاوس في مدرس قرآنية، مدارة من قبل سي أحمد البريكي، أين تحصل على مستوى في اللغة العربية. في سنة 1898 توفي عمه الذي كان يعيله، وهو صاحب 15 سنة، ليعود بعد ذلك إلى مشتة متليلي، أين عاش بشكل طبيعي الى غاية 1906، أين بلغ عنه شيخ دوار تيلاطو، وهو حاليا شيخ دوار تهنات، بلغ لـثلاث مرات مختلفة بأنه شارك في أعمال نهب وسرقة.

نتيجة هذه العمليات غادر بن علي محمد مشتة متليلي في 1913، وأصبح متنقلا بين باتنة وبريكة، رافق لوصيف محمد بن علي ولوصيف جبالله بن علي، وهما في مشتتة متليلي، لقد جرى التبليغ بأنهم سرقوا ناقل تمر بين القنطرة الى بريكة، وبعد هذه العملية، بدأ بن علي محمد بن النوي يحتمي بالجبل، وبدى من الصعب متابعة تحركاته، وهذا بمساعد الاخوين لوصيف، حيث استمروا في مهنة قطاع الطرق.

بين 1914 ــ 1915، نفذ العديد من الهجمات على الرعاة في القنطرة لسرقة مواشيهم، ومع نهاية 1915 وبداية 1916، وأطلق طلقات نارية ضد درك بريكة، بدأت مجموعته تكبر والتحق بها الفارون من التجنيد، من مناطق أولاد سحنون، سقانة وبريكة...، وأصبحوا يمتلكون ما يقارب 60 بندقية، وبذلك فهو أصبح يهدد الأمن العام فعلا.

العمليات تصاعدت بسرعة وأصبحت تدريجيا أكثر جرأة وخطورة، لتختتم بمشاركته في احداث 11 ـــ 12 نوفمبر 1916، حيث تأكد أن بن علي محمد بن النوي هو قاتل الحاكم بقسوة مفرطة.

لقد تم القبض عليه في في 9 فيفري الجاري، بعد نصب كمين محكم له، في أم العيفة، البلدية المختلطة بريك، من طرف لحسن بن بعطوش، الشيخ الجديد لـ سقانة، لقد قوبل القبض على بن علي محمد بارتياح كبير في المنطقة، فهو كان رئيس عصابة التي كانت ملتفة حوله. وبحكم القانون، حكمت محكمة الجنايات بباتنة على بن علي محمد واثنين آخرين معه بالإعدام، بتهمة القتل والسرقة الموصوفة. ونفذ فيه الحكم في سوق عين التوتة أمام الملأ.

توقيع

حاكم عين التوتة

5 أفريل 1917

الملحق رقم: 05

مختصر من تقرير بيس كيرا (Bis querra) طبيب برج عين التوتة بشأن الهجوم على برج ماكماهون ليلة 11 ــ 12 نوفمبر 1916

FR ANOM 93202/1 .

البلدية المختلطة عين التوتة

في حدود الساعة الرابعة صباحا من يوم 12 نوفمبر، سمعنا زغاريد النساء (you you) المرافقة للمهاجمين.

ـــ الرابع والربع بدأ فرار المجرمين بعد استنفاذ غضبهم.

ـــ بعد ربع ساعة قائد البرج يدق الباب علي، تابعه الزواف يحملون السيد كاسينالي (Cassinelli) وهو في حالة خطيرة، وضعت هذا الأخير على سريري الشخصي وقدمت له الإسعافات المستعجلة، ثم حملوا جثة مارساي (Marseille)، وجيء بابنة الحاكم المصابة في بطنها حيث قدمت لها الاسعافات الأولية.

عرفت فيما بعد بأن واحد من الأهالي وهو حارس سكة الحديد مصاب، توفي فيما بعد، في الوقت الذي حاولت نقله عبر القطار الى مستشفى باتنة.

لقد حذرت من القلاقل الموجودة قبل عشرة أيام من 11 نوفمبر، لكن لم تؤخذ تحذيراتي بجد.

ماكماهون في: 20 ديسمبر 1916

توقيع: طبيب البرج: بيس كيرا (Bis querra)

الملحق رقم 06:

رقم ملف محاكمة قادري عمار بن بلقاسم، وصورة عن قصاصة الجريدة. التي غطت اغياله في باتنة.

.A. Benzaïd, synthèse de divers documents d'archives_____

. coupure journal L'Echo d'Alger, édition n° 3348, 10e année, du jeudi 26 mai 1921.

ENTRE AU DEPOT LE 18.04.1917

1111 – KADRI Ammar ben Belgacem – douar Merouana – Intrigues contre l'autorité – écroué le 10.3.1917 – condamné le 19.4.1917 à 1 an de prison et 5 ans d'internement – Dossier n° 133 ; prévenu n° 647. Envoyé le 25.4.1917 à Aflou. Libéré le 31.12.1917.

ENTRES AU DEPOT LE 20.04.1917

Département de Constantine

BATNA

Un cadavre sous un ponceau. — Dans le courant de la soirée du 20, le bruit se répandait en ville qu'un cadavre venait d'être découvert sous un ponceau, près la ferme Brémaud, route du Ravin Bleu.

Dès que cette nouvelle fut connue des autorités, celles-ci se transportèrent sur les lieux et firent les constatations d'usage.

En effet, un corps humain, baignant dans de la vase, et dont les pieds dépassaient légèrement, était sous le ponceau ; dégagé, on put reconnaître que le cadavre était celui d'un indigène élégamment vêtu d'un burnous noir; à sa main gauche, une languette de soulier était serrée, ses pieds ne portaient qu'une chaussure et sa tête était dépourvue de chéchia.

Fouillé, on retrouva divers papiers, cartes de visite et on sut avoir affaire à un érudit indigène, Kadri Amar ben Belkacem, originaire du Belezma, fort connu dans les milieux musulmans pour ses idées avancées, et de la police, à la suite d'une mise en surveillance pour trafic d'armes.

Le docteur Mondelin a fait les constatations médico-légales ; le corps, fort bien constitué, ne présente aucune trace de blessues ; en un mot, rien ne pouvant dénoter le meurtre.

On est très surpris de voir le cadavre de Kadri sous un ponceau sans la moindre blessure car cet indigène ayant une structure d'athlète, il semble difficile d'admettre que lutte il y a eu. L'autopsie seule définira si Kadri est mort à la suite d'empoisonnement ou de mort naturelle.

Mais pourquoi ce cadavre sous un ponceau et dans la vase ? telle est l'énigme que s'efforcent d'éclaircir les autorités judiciaires.

ترجمة للملحق رقم،06.

الوثيقة أعلاه، تخص ملف قادري عمار بن بلقاسم، سجنه في 1917 واغتياله في 1921 بباتنة.

التهمة: التآمر ضد السلطة الاستعمارية

تم القبض عليه في: 10 مارس 1917، أدين بعام حبس و5 سنوات تحت الرقابة.

أرسل الى سجن أفلو سيرا على الاقدام في 25 أفريل 1917

أطلق سراحه في 31 ديسمبر 1917.

أغتيل في ماي 1921 بباتنة.

عمالة قسنطينة

باتنة

coupure journal L'Echo d'Alger, édition n° 3348, 10e année, du jeudi 26 mai 1921

جثة تحت مجرى مائي،

كنا في أمسية خمر، سمعنا بأن الشارع يتداول وجود جثة تحت ممر مائي قرب ضيعة بريمو (Brémaud)، طريق الواد الأزرق (Ravin blue)، بمجرد سماع السلطات بهذا الخبر انتقلت الى عين المكان للمعاينة، عرفت هناك بوجود جثة شخص في مجرى مائي غارقة في الوحل، تظهر أرجله من تحت المجرى.

بعد استخراجها، اتضح بأنها لشخص من الأهالي كان يرتدي برنوس أسود، قابض في يده اليسرى فردة حذاء، الأرجل بدون جوارب ورأسه غير مغطاة بـ شاشية، أفضى تفتيش ملابس الجثة الى وجود وثائق مختلفة، من بينها بطاقات الزيارة (cartes de visite)، لتؤكد بأنها لشخص معروف في أوساط الأهالي، إنه قادري عمار بن بلقاسم، أصله من بلزمة، وهو معروف بقوة أفكاره المتقدمة، ومعروف لدى الشرطة بعد المراقبة المستمرة بممارساته المرتبطة بتهريب الأسلحة.

الطبيب الشرعي موندیلا (Mondelin)، عاين الجثة، وتوصل الى عدم وجود أي آثار لجروح، فالجثة في وضعية سليمة، بكلمة واحدة، لا شيء يشير الى عملية القتل.

لقد تفاجأنا بوجود جثة قادري تحت ممر مائي بدون أدنى آثار لجروح، علما بأن هذا الشخص قوي البنية، يبدو من الصعب الإقرار بوجود خصام، ويبقى تشريح الجثة هو الكفيل وحده ليبين بأن، هل قادري توفي نتيجة تسمم أم هي وفاة طبيعية؟

ولكن لماذا هذه الجثة تحت ممر مائي وفي الوحل؟ هذا اللغز ستسعى السلطات القضائية لتوضيحه.

الملحق رقم 07:

انتفاضة 1916، قوافل الموت ناحية مروانة.

A. Benzaïd, diverses source d'archives

من بين المنتفضين ال 683 لدائرة باتنة المدانين من قبل اللجنة التاديبية العسكرية، هناك 316 ينحدرون من بلدية بلزمة المختلطة، تم اقتيادهم نحو سجون ومعتقلات: تعظميت، تقرت، افلو، سرسو، سعيدة، فرندة، القنطرة، على 25 دفعة - قافلة - على امتداد الفترة الممتدة بين 20 ديسمبر 1916 الى 25 نوفمبر 1917.

منتفضو بلزمة يغادرون باتنة (يحولون) في التواريخ التالية (الدفعات المهمة)

- في 31 ديسمبر 1916، 13 شخص محكوما عليه باتجاه تعظميت،

ـ في 14 جانفي 1917،53 محكوم عليه من دوار مروانة حيدوسة - يشكلون كامل الدفعة على رأسهم المقدم معاش عمار بن علي، أحد القادة الرئيسين للانتفاضة، التنقل إلى تعظميت تم مشيا على الاقدام.

ـ 18 جانفي 1917، 53 محكوم عليه من دواري اولاد فاطمة ومركوندة، يشكلون كامل الدفعة باتجاه تعظميت.

ـــ 25 أفريل 1917، 29 محكوم عليهم من مجموع 50 المشكلين للدفعة ينحدرون من دواري حيدوسة ومركوندة باتجاه آفلو، والتنقل سيرا على الأقدام. يتواجد من بينهم (قادري عمار بن بلقاسم، وهو السادس في القائمة).

ـــ 07 ماي 1917 ،11 محكوم عليهم من مجموع 36 المشكلين للدفعة من دواوير حيدوسة و وادي الماء و مركوندة باتجاه تقرت.

ـــ 27 ماي 1917، 32 محكوم عليهم من دوار مركوندة باتجاه تقرت.

ـــ 07 جوان 1917، 63 محكوم عليهم من دوار وادي الماء باتجاه تقرت،

ـــ 23 جويلية 1917، 14محكوم عليهم ينتمون لمختلف دواوير بلزمة باتجاه القنطرة،

ـــ 25 نوفمبر 1917، 32 محكوم عليهم من مختلف دواوير بلزمة باتجاه تقرت،

قائمة المعتقلين المتوفين في سجن تعظميت: (62 من بينهم 02 توفيا في الطريق نحو المعتقل ببوغار من مجموع 119 المقتادين الى السجن)، موزعين حسب الدواوير كما يلي

دوار مروانة (حيدوسة):

جفال جفال بن محمد، فروجي احمد بن مسعود، فروجي الصالح بن مسعود، عبوبو الصالح بن محمد، حفصي لخضر بن الصالح، عباس بلقاسم بن احمد، بوعمرة الحاج براهيم بن احمد، ملاح مصطفى بن احمد، يوسفي عمر بن محمد، حداد محمد بن نزار، حداد شليحي بن مسعود، حداد سعد بن السعيد، حداد نزار بن محمد، فادن علي بن عيسى، عاشور عمار بن خليفة، قوجيل شاكر بن محمد، لونيس احمد بن بلقاسم، لونيس عمار بن بلقاسم، لونيس مسعود بن بلقاسم، لونيس امحمد بن بلقاسم، لونيس محمد بن سلطان، سعيدي علي بن عزوز، سعيدي شليحي بن عبد الله، بن ناصر مسعود بن سليمان، بوعافية بلقاسم بن احمد، معاش احمد بن الصالح، معاش عمار بن علي.

دوار أولاد فاطمة:

ماجور عولمي بن مرزوق، بلعيد محمد بن بورحلة، مخلوف الطاهر بن محمد، سلطاني محمد بن محمد، سلطاني الصديق بن محمد، نزار موسى بن احمد، نزار حمو بن احمد،(بوغار)، بويغني مزعاش بن احمد، لحلاح مسعود بن احمد، لحلاح جموعي بن بلقاسم، بوساحة بوساحة بن لخضر، طراش جموعي بن لخضر، طراش، حمو بن السعيد، اشتاري بلقاسم بن محمد، اشتاري بلقاسم بن محمد (بوغار)، اشتاري منصور بن محمد، اشتاري، محمد بن احمد، اشتاري احمد بن محمد، فريك عيسى بن محمد، لمزاز عمر بن السعيد، فروج محمد بن علي، شطوح عبد الله بن احمد، عابد لخضر بن علي، لعباسي علي بن الصديق، لعباسي احمد بن الصديق، شيشون بلقاسم بن علي، سيواني مسعود بن محمد، جنان عمر بن بشير، عجينة موسى بن عيسى، العربي ساعد بن الصالح، لمهل عمر بن محمد، علاقة احمد بن علي،

دوار مركوندة:

مليزي عبد الله المدعو بلقاسم بن حمو، حريقة الصالح بن التونسي،

دوار شيدي: سلطاني الطاهر بن سليمان،

دوار اولاد مهنة: بن حصير السعيد بن الطاهر،

قائمة المعتقلين المتوفين في سجن تقرت (08 من 152):

دوار وادي الماء:

خلفة حمو بن خلفة، خلفي حمو بن مسعود، صوالة براهيم بن محمد، رحال محمد بن عمر علي بن سليمان،

دوار مركوندة: خالدي محمد بن عراب،

دوار اولاد فاطمة: بونوارة لخضر بن محمد،

دوار تالخمت: عتيش الطاهر بن سليمان،

المتوفون في سرسو وافلو والقنطرة: لا أحد من بلزمة.

من الصدف ومن باب التوضيح، وردت برقية يُعلن بموجبها عن وفاة بسجن تعظميت للمغفور له بن ناصر مسعود بن سليمان في 21 ديسمبر 1917، وهو تاريخ نهاية عقوبته للخروج من السجن.

الصورة ادناه لجزء من مقبرة تعظميت، أين وُريت أجساد المعتقلين المنحدرين من دائرة باتنة وقتها والتي سميت ولا زالت كذلك من طرف سكان تعظميت بـ: مقبرة الشاوية، المنتفضون المتوفون في باتنة ومعتقل مروانة وسيدي عيسى وفي ساحات القتال خلال الحرب العالمية الاولى سيذكرون لاحقا، عن صفحة الفيسبوك للأستاذ بن زايد عبد الحق، بعد ترخيص منه، وهو مشكور على هذا التعاون.

النص الاصلي للملحق رقم 07

(قوافل الموت)

A. Benzaïd, diverses source d'archives

DEVOIR DE MEMOIRE - NON A L'OUBLI - INSURRECTION DE 1916 - LES CONVOIS DE LA MORT

Parmi les insurgés de l'arrondissement de Batna condamnés par la Commission disciplinaire, 683 dont 316 originaires de la commune mixte de Belezma ont été dirigés sur Tadmit, Touggourt, Aflou, Sersou, Saïda, Frenda ou El-Kantara par 25 convois échelonnés entre le 20 décembre1916 et le 25 novembre 1917.

Ceux du Belezma quittèrent Batna aux dates suivantes (convois les plus importants) :

- 31.12.1916 : 13 condamnés à destination de Tadmit.
- 14.01.1917 : 53 insurgés du douar Merouana (Haïdoussa) formant l'ensemble du convoi ; à leur tête le mokaddem Maâche Ammar ben Ali, l'un des principaux promoteurs de l'insurrection. Le trajet de Batna à Tadmit a été effectué à pied.
- 18.01.1917 : 53 insurgés des douars Ouled-Fatma et Markounda (totalité du convoi) à destination de Tadmit.
- 25.04.1917 : 29 insurgés - sur 50 formant le convoi - originaires des douars Merouana (Haïdoussa) et Markounda dirigés sur Aflou. Le trajet Batna-Aflou effectué à pied.
- 07.05.1917 : 11 insurgés sur les 36 du convoi, originaires des douars Merouana, Markounda et Oued-el-Ma, dirigés sur Touggourt.
- 27.05.1917 : 9 insurgés sur 34 d'un convoi à destination de Touggourt.
- 03.06.1917 : 32 insurgés du douar Markounda dirigés sur Touggourt.
- 07.06.1917 : 63 insurgés du douar Oued-el-Ma à destination de Touggourt.
- 23.07.1917 : 14 insurgés appartenant à divers douars dirigés sur El-Kantara.
- 25.11.1917 : 32 insurgés originaires de divers douars à destination de Touggourt.

LISTE DES DETENUS DECEDES A TADMIT (62 dont 2 en cours de route, à Boghari, sur les 119 envoyés au pénitencier) :

Douar Merouana :

DJEFFAL Djeffal ben Mohamed, FERROUDJI Ahmed ben Messaoud, FERROUDJI Salah ben Messaoud, ABOUBOU Salah ben Mohamed, HAFSI Lakhdar ben Salah, ABBAS Belkacem ben Ahmed, BOUAMRA Hadj-Brahim ben Ahmed, MELLAH Mostefa ben Ahmed, YOUSFI Amor ben Mohamed, HADDAD Mohamed ben Nezzar, HADDAD Chelihi ben Messaoud, HADDAD Saâd ben Saïd, HADDAD Nezzar ben Mohamed, FADENE Ali ben Aïssa, ACHOUR Ammar ben Khelifa, GOUDJIL Chaker ben Mohamed, LOUNIS Ahmed ben Belkacem, LOUNIS Ammar ben Belkacem, LOUNIS Messaoud ben Belkacem, LOUNIS M'hammed ben Belkacem, LOUNIS Mohamed ben Soltane, SAÏDI Ali ben Azzouz, SAÏDI Chelihi ben Abdallah, BENACER Messaoud ben Slimane, BOUAFIA Belkacem ben Ahmed, MAÂCHE Ahmed ben Salah, MAÂCHE Ammar ben Ali.

Douar Ouled-Fatma :

MADJOUR Aoulmi ben Merzoug, BELAÏD Mohamed ben Bourahla, MAKHLOUF Tahar ben Mohamed, SOLTANI Mohamed ben Mohamed, SOLTANI Seddik ben Mohamed, NEZZAR Moussa ben Ahmed, NEZZAR Hamou ben Ahmed (à Boghari), BOUYAGHNI Mezaâche ben Ahmed, LAHLAH Messaoud ben Ahmed, LAHLAH Djemouaï ben Belkacem, BOUSSAHA Boussaha ben Lakhdar, TARACHE Djemouaï ben Lakhdar, TARACHE Hammou ben Saïd, ACHTARI Belkacem ben Mohamed (à Boghari), ACHTARI Mansour ben Mohamed, ACHTARI Mohamed ben Ahmed, ACHTARI Ahmed ben Mohamed, FRIK Aïssa ben Mohamed, LEMZAZ Amor ben Saïd, FERROUDJ Mohamed ben Ali, CHETTOUH Abdallah ben Ahmed, ABED Lakhdar ben Ali, LABBACI Ali ben Seddik, LABBACI Ahmed ben Seddik, CHICHOUNE Belkacem ben Ali, SIOUANI Messaoud ben Mohamed, DJENANE Amor ben Bachir, ADJINA Moussa ben Aïssa, LARBI Saâd ben Salah, LAMHEL Amor ben Mohamed, ALLAGA Ahmed ben Ali.

Douar Markounda :

MELIZI Abdallah dit Belkacem ben Hammou, HARIGA Salah ben Tounsi.
Douar Cheddi :
SOLTANI Tahar ben Slimane.
Douar Ouled-Mehenna :
BENHASSIR Saïd ben Tahar.
LISTE DES DETENUS DECEDES A TOUGGOURT (8 sur 152) :
Douar Oued-el-Ma :
KHALFA Hamou ben Khalfa, KHALFI Hamou ben Messaoud, SOUALA Brahim ben Mohamed, RAHAL Mohamed ben Nacer, BENAMOR Ali ben Slimane.
Douar Markounda :
KHALDI Mohamed ben Arab.
Douar Ouled-Fatma :
BOUNOUARA Lakhdar ben Mohamed.
Douar Telkhemt :
ATTICHE Tahar ben Slimane
DECEDES AU SERSOU, A AFLOU, A EL-KANTARA : NEANT.
Parmi les illustrations un télégramme annonçant le décès à Tadmit de M. BENACER Messaoud ben Slimane survenu le 21 décembre 1917, date supposée de sa libération. La photo est celle de la partie du cimetière de Tadmit où sont enterrés les détenus originaires de l'arrondissement de Batna et ainsi nommée " Cimetière des Chaouïas ".
DECEDES A BATNA, AU CAMP DE CORNEILLE SIDI-AÏSSA ET SUR LES CHAMPS DE BATAILLE DE LA GRANDE GUERRE (A SUIVRE).

الملحق رقم 08:

تقرير أصدره حاكم عين التوتة بشأن القتلى والجرحى ابان احداث عين التوتة، مؤرخ في 7 جانفي 1917. FR ANOM 93202/1

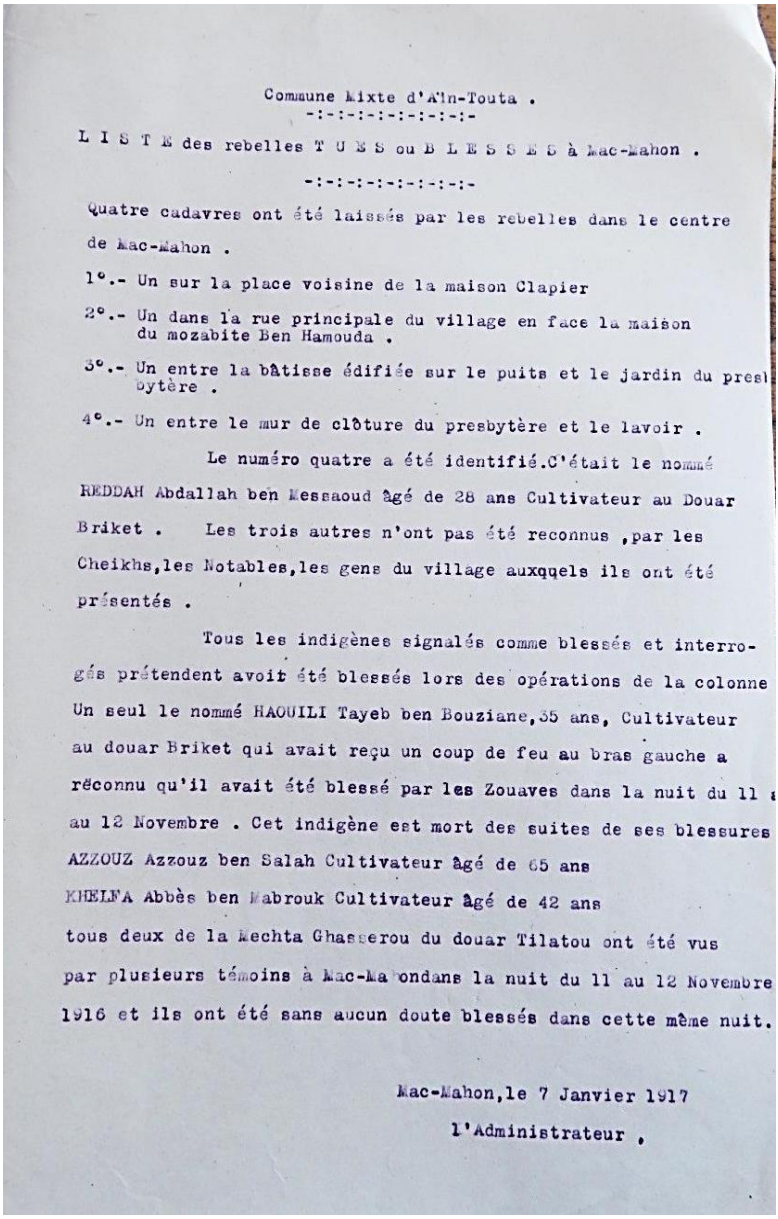

Commune Mixte d'Aïn-Touta .
-:-:-:-:-:-:-:-:-

L I S T E des rebelles T U E S ou B L E S S E S à Mac-Mahon .

-:-:-:-:-:-:-:-:-

Quatre cadavres ont été laissés par les rebelles dans le centre de Mac-Mahon .

1°.- Un sur la place voisine de la maison Clapier

2°.- Un dans la rue principale du village en face la maison du mozabite Ben Hamouda .

3°.- Un entre la bâtisse édifiée sur le puits et le jardin du presbytère .

4°.- Un entre le mur de clôture du presbytère et le lavoir .

Le numéro quatre a été identifié.C'était le nommé REDDAH Abdallah ben Messaoud âgé de 28 ans Cultivateur au Douar Briket . Les trois autres n'ont pas été reconnus ,par les Cheikhs,les Notables,les gens du village auxqqels ils ont été présentés .

Tous les indigènes signalés comme blessés et interrogés prétendent avoir été blessés lors des opérations de la colonne Un seul le nommé HAOUILI Tayeb ben Bouziane,55 ans, Cultivateur au douar Briket qui avait reçu un coup de feu au bras gauche a réconnu qu'il avait été blessé par les Zouaves dans la nuit du 11 au 12 Novembre . Cet indigène est mort des suites de ses blessures

AZZOUZ Azzouz ben Salah Cultivateur âgé de 65 ans

KHELFA Abbès ben Mabrouk Cultivateur âgé de 42 ans

tous deux de la Mechta Ghasserou du douar Tilatou ont été vus par plusieurs témoins à Mac-Mahondans la nuit du 11 au 12 Novembre 1916 et ils ont été sans aucun doute blessés dans cette même nuit.

Mac-Mahon,le 7 Janvier 1917

l'Administrateur ,

محتوى الملحق 08:

الخاص بالتقرير الذي أصدره حاكم عين التوتة وأرسله إلى المفتش العام للبلديات المختلطة السيد أوكطاف دي بون (Octave Depont) بتاريخ 15 جوان 1917، بشأن القتلى والجرحى أثناء العمليات العسكرية التي تمت في الدواوير أدناه.

دوار تيلاطو

الاهالي القتلى:

العايب احمد بن بلقاسم، فلاح 40 سنة

زيد اعمر بن عمار، فلاح 35 سنة

زيد اعمر بن احمد، فلاح 30 سنة

زيد يمينة بنت موسى، بدون مهنة 18 سنة، قتلت يوم 18 نوفمبر 1916 من طرف مستوطن.

مشتي يمينة بنت علي، بدون مهنة 28 سنة، قتلت يوم 28 نوفمبر 1916 من طرف مستوطن.

بن عمار بلقاسم بن مسعود، فلاح 70 سنة، قتل يوم 18 نوفمبر 1916 من طرف مستوطن.

الأهالي الجرحى

صالح بن عبد الله، فلاح 28 سنة، أصله من دوار بيطام (بريكة).

بن عمران تركي بن احمد، فلاح 28 سنة.

بن عمران عمار بن علي، فلاح 27 سنة.

أكدار لخضر بن عمار، فلاح 18 سنة.

زيد فاطمة بنت لخضر، بدون مهنة 28 سنة.

عبد الرزاق بلقاسم، فلاح 60 سنة.

سلطان ساسي، فلاح 58 سنة.

مشتة متليلي

الأهالي القتلى

جاب الله مرزوق بن عبد الله فلاح قتل من طرف معمر يوم 18 نوفمبر 1916

زغيني منصر بن زغيني فلاح 75 سنة

حشاش راقدي بن مسعود فلاح 70 سنة

حشاش عبد القادر بن محمد فلاح 70 سنة

توبي العيد بن العيفة فلاح 26 سنة

الأهالي الجرحى

بن علي عمار بن سعدي، فلاح 26 سنة.

بيش عيسى بن عمار، فلاح 21 سنة.

تهامي عيسى بن الصالح، فلاح 48 سنة.

مشتة .....

الأهالي القتلى

شاغي بشير بن محمد، فلاح 35 سنة

عقاري جلاح بن عثمان، فلاح 35 سنة قتل في 19 نوفمبر 1916 من طرف مستوطن.

جويري العربي بن محمد، فلاح 25 سنة.

مختار بن حدة (مجهول الاب) راع 14 سنة.

حمودي الصادق بن رابح فلاح 45 سنة.

حمودي محمد بن لعجل فلاح 25 سنة.

شناف شماني ابن ؟ فلاح 63 سنة.

دوار أولاد عوف

مشتة الخنزية

الأهالي القتلى

رحماني براهيم بن عبد الله، فلاح 46 سنة.

بن عمومة عبد الله بن أحمد فلاح 47 سنة.

بن عمومة أمحمد بن سي أحمد، فلاح 50 سنة.

شلاغمة علاوة بن محمد، فلاح 38 سنة.

شلاغمة بلقاسم بن محمد، فلاح 53 سنة.

بن كرامة اعمر بن سعيد، فلاح 48 سنة.

.....فلاح 60 سنة.

.....فلاح 65 سنة.

.....فلاح 58 سنة.

الأهالي الجرحى

بن عمومة محمد بن علي، فلاح 37 سنة.

شلاغمة الصالح بن بلقاسم، فلاح 45 سنة.

خرشوش بريك بن احمد، فلاح 42 سنة.

برحال احمد بن السعيد، فلاح 53 سنة.

بن عمومة بلقاسم بن احمد، فلاح 51 سنة.

هبول عمار بن الصديق، فلاح 45 سنة.

ملاحظة: هؤلاء جميعا قتلوا أو جرحوا بين 22 ـــ 28 ديسمبر 1916، تاريخ العمليات العسكرية في الخنزرية.

مشتة ثامزا نغيث

الأهالي الجرحى

عقاقبة عمار بن محمد فلاح 22سنة

وادفل اعمر بن احمد فلاح (...سنة)

زالة بن علي فلاح 30 سنة

مشتة صطاحي

الأهالي الجرحى

بوحساية السعيد بن احمد، فلاح 21 سنة

فرحي السعيد بن السعيد، فلاح 24 سنة

مشتة تيسيت

الأهالي الجرحى

حركاتي محمد بن علي، فلاح 25 سنة

ملاحظة: عقاقبة عمار ممكن انه أصيب بجروح في مشتة تيلاطو، حيث تواجد وقت مرور المستوطنين يومي 18و19 نوفمبر.

بوحساية العيد

فرحي السعيد

حركاتي محمد

ممكن جرحوا في نفس الظروف، حيث تواجدوا في دوار تيلاطو، وممكن جرحوا في عين التوتة ليلة 11ـــ 12 نوفمبر 1916

الوثيقة المرفقة هي الصفحة الاخيرة من رسالة موجهة

لاوكطاف دي بون (Octave Depont)

من طرف حاكم عين التوتة مؤرخة في 15 جوان 1917

الملحق رقم: 09،

قائمة المتهمين من الاهالي الذين شاركوا في مختلف القضايا المعروفة باسم (الاضطرابات التمردية) في البلدية المختلطة ـــ عين التوتة

FR ANOM 93202/1 : .

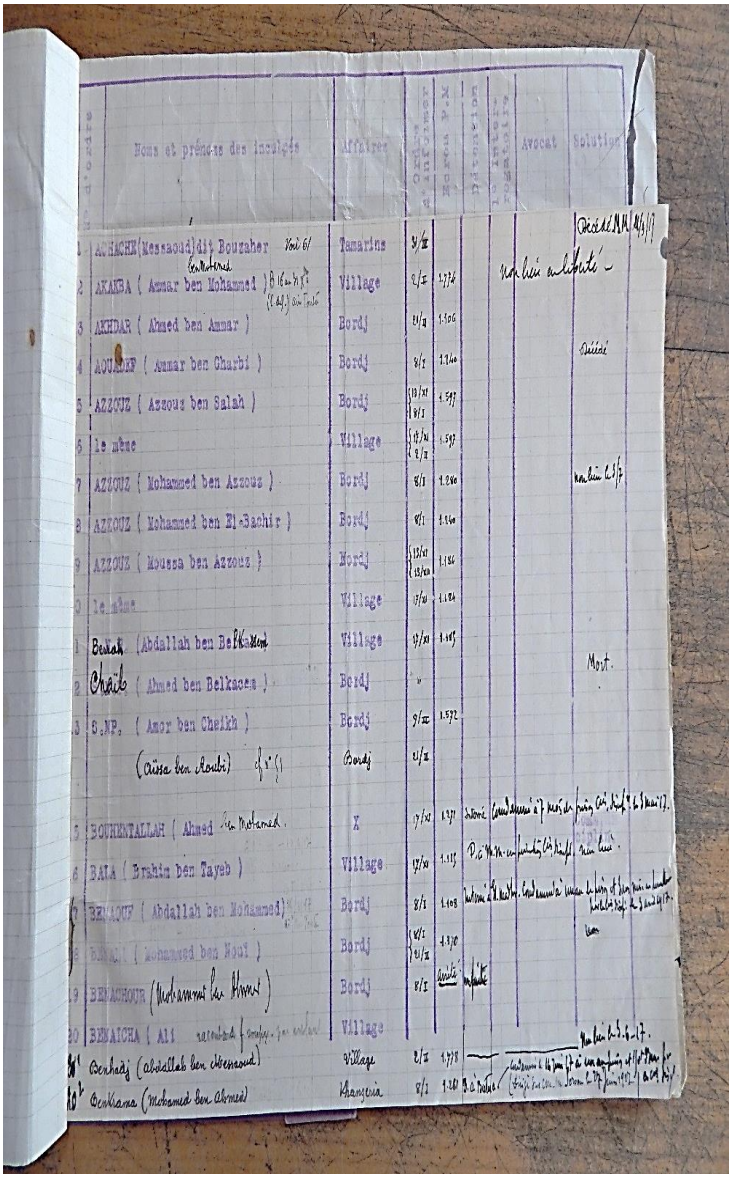

تابع الملحق رقم: 09،

قائمة المتهمين من الاهالي الذين شاركوا في مختلف القضايا

المعروفة باسم (الاضطرابات التمردية).

مجلس الحرب

ناحية قسنطينة

البلدية المختلطة ــ عين التوتة

قائمة المتهمين من الاهالي الذين شاركوا في مختلف القضايا المعروفة باسم (الاضطرابات التمردية)

الرقم	اسم ولقب المتهم	القضية المتهم فيها	ملاحظة
1	عشاش مسعود. المدعو بوزاهر	تمارة	
2	عقاقبة عمار بن محمد	القرية	
3	لخضار احمد بن عمار	البرج	
4	اوادف عمار بن شربي	البرج	
5	عزوز عزوز بن الصالح	البرج	
6	نفس الشخص	القرية	
7	عزوز محمد بن عزوز	البرج	
8	عزوز محمد بن البشير	البرج	
9	عزوز موسى بن عزوز	البرج + القرية	
10	براح عبد الله بن بلقاسم	القرية	
11	شايب احمد بن بلقاسم	البرج	
12	عديم اللقب، عمر بن الشيخ	البرج	
13	عيسى بن الروبي	البرج	
14	بوهنتالة احمد بن محمد	X	
15	بالة براهيم بن الطيب	القرية	
16	بن عوف عبد الله بن محمد	البرج	
17	بن علي محمد بن النوي	البرج	
18	بن عاشور محمد بن احمد	البرج	
19	بن عائشة علي	القرية	
20	بن الحاج عبد الله بن مسعود	القرية	
21	بن كرامة محمد بن احمد	خنزرية	
22	بن عيس سعد بن براهيم	BBA	
23	بن عمومة السعيد بن علي	كنزرية	
24	بن عمومة محمد بن احمد	كنزرية	
25	بن عمومة بلقاسم بن احمد	كنزرية	قناص
26	بلقاضي محمد بن عبد الله	ضيعة رينال	
27	بلقاضي محمد بن كوتار	ضيعة رينال	
28	بلقاضي صالح بن الظاهر	ضيعة رينال	
29	بلقاضي الصديق بن بلقاسم	ضيعة رينال	

30	بلقاضي الزروق بن بلقاسم	ضيعة رينال	
31	بلوصيف علي بن لوصيف	تمارة	
32	بن ام السعد احمد بن السعيد	كنزرية	
33	بن ام السعد احمد بن مصباح	كنزرية	
34	بن ام السعد عمار بن علي	كنزرية	
35	بن ام السعد محمد بن بلقاسم	كنزرية	
36	بن ام السعد بن الطاهر بن بلقاسم	كنزرية	
37	بن لبصير محمد بن علي	القرية	
38	بن محمد بن علي بن بهلول	البرج	
39	بن يحي حمو بن علي	القرية	
40	بن يحي الطاهر بن احمد	ضيعة رينال	
41	بن سشاحي احمد بن الطيب	البرج	
42	بودربال	القرية	
43	بوعكاز(صديق بن يحي رقم38)	ضيعة رينال	
44	بن السعدي احمد بن خلة	ضيعة رينال	
45	براح عبد الله بن بلقاسم	البرج+القرية	
46	براج علي بن بلقاسم	القرية	
47	بوهالي علي بن احمد	ضيعة رينال	أطلق سراحه
48	بوعون علي بن احمد	البرج	أطلق سراحه
49	بوجلال عبد..بن طالب	القرية	
50	بوجلال علي بن محمد	القرية	
51	بوجلال الطيب بن عبد الله	القرية	
52	بوجلال الصالح بن مسعود	القرية	
53	بومجان مسعود بن عبد...	تمارة	
54	بوزيدي عيسى بن الروي	القرية	
55	بوزيدي عمر بن لمبارك	ضيعة رينال	
56	بوزيدي عبد الله بن بلقاسم	ضيعة رينال	أطلق سراحه
57	بوزيدي بشير بن مخلوف	ضيعة رينال	
58	بوزيدي بلقاسم بن بولخراص	ضيعة رينال	
59	بوزيدي محمد بن بلقاسم	ضيعة رينال	أطلق سراحه
60	بوزيدي مسعود بن محمد	ضيعة رينال	أطلق سراحه
61	بوترعة احمد بن دوشني	القرية	أطلق سراحه
62	بوتلاعة محمد بن علي	القرية	أطلق سراحه
63	بوترعة فاطمه بنت سوهالي	القرية	
64	بوزاهر مسعود يدعى عشاش (العشي)	تمارة	
65	براهيم بن رحمان	البرج	
66	بوحساية السعيد بن محمد	القرية	
67	بوزيدي بن الطاهر	البرج	
68	شباح الطيب بن محمد بن شباح	البرج	
69	شلاغمة احمد بن بلقاسم	كنزرية	

70	شلاغمة عمر بن بلقاسم	كنزرية	
71	شلاغمة مسعود بن احمد	كنزرية	
72	شلاغمة السعيد بن علي	كنزرية	
73	شايب احمد بن بلقاسم	البرج	
74	جباالله احمد بن لخضر	البرج	
75	جبابلية محمد بن مداني	ضيعة رينار	
76	جبابلية محمد بن عيسى	القرية	
77	...يدعى بن النوي	القرية	
78	دلاندة مسعود بن احمد	البرج	
79	دلاندة سعيد بن محمد	البربج	
80	دخينات عمار بن محمد	تمارة	أطلق سراحه
81	دخينات احمد بن محمد	تمارة	
82	دخينات محمد بن مبارك	تمارة	أطلق سراحه
83	دربال مسعود بن محمد	.....	أطلق سراحه
84	دربال محمد بن زدان	.....	أطلق سراحه
85	فتاح يحي بن علي	قرية	
86	فضالي عمار بن محمد	ضيعة رينال	أطلق سراحه
87	فراحي السعيد بن السعيد	قرية	أطلق سراحه
88	غواص علاوة بن الطاهر	ضيعة	أطلق سراحه
89	هاشمي عبد العزيز	قرية	
90	عديم اللقب حاج سبن ساعد بن دريدي	البرج + تمارة	
91	هبول علي بن الصديق	كنزرية	أطلق سراحه
92	حداد لخضر بن ساكر	BBA	
93	حداد احمد بن علي	القرية	أطلق سراحه
94	حمادو موسى	البرج	توفي
95	حمود الصديق بن قيصة	القرية	توفي
96	حمازة علي بن مسعود	تمارة	توفي
97	حمازة علي بن بلقاسم	تمارة	توفي
98	حمازة شيدي بن مانة	تمارة	
99	حمازة مسعود بن ساكر	تمارة	
100	حمازة مسعود بن بلك	تمارة	
101	حمازة محمد بن ساكر	تمارة	
112	حمازة السعيد بن معمر	تمارة	أطلق سراحه
103	حمازة الساكر بن عزيز	تمارة	
104	حمازة الصالح بن الحواس	تمارة	
105	حمازة مصباح بن ساكر	تمارة	
106	حمازة زيتوني بن الحواس	تمارة	
107	حمازة زهرة بنت عمار	تمارة	
108	حمازة معمر بن بلقاسم	تمارة	أطلق سراحه
109	حركاتي محمد بن علي	القرية	أطلق سراحه
110	هلال الطيب بن احمد	ضيعة رينال	

111	حزماني احمد بن بلقاسم	البرج	أطلق سراحه
112	فدوري النوي بن مسعود	تمارة	
113	كرار بوعكاز بن لعبيدي	ضيعة رينال	أطلق سراحه
114	خلالفة لمبارك بن خليفي	تمارة	
115	خليفة لمبارك بن احمد، يدعى الرمشي	تمارة +Mais. ottavi	
116	خليفة محمد بن احمد	Mais. ottavi	توفي
117	خزار علي بن شعبان	ضيعة رينال	
118	قريشات عمار بن احمد	القرية	أصله من سفيان
119	خزار عمار بن الصالح	ضيعة رينال	
120	خزار احمد بن عبد الله	ضيعة رينال	أطلق سراحه
121	خزار عبد الرحمان بن عبد الله	ضيعة رينال	أطلق سراحه
122	خزار العيد بن عبد الله	ضيعة رينال	أطلق سراحه
123	خزار محمد الطاهر بن عبد الرحمان	ضيعة رينال	
124	كيحل براهيم بن محمد	البرج+القرية	
125	خلفة عباس بن مبروك	القرية	
126	لبريكي عبد القادر	القرية	
127	لبريكي محمد بن علي	القرية	
128	لبشق الطبي بن احمد	ضيعة رينال	
129	لكبير عبد الله بن محمد	القرية	
130	لوشن مسعود بن مبروك	القرية	
131	لوشن الظاهر	القرية	
132	لوصيف جباالله بن علي	القرية	
133	لوصيف بن محمد بم علي	حيازة سلاح	
134	لبريكي لخضر بن مسعود	القرية	
135	سي محمد يدعى بلودي (حاج مسعود)	القرية	
136	معمري مسعود بن علية	ضيعة رينال	
137	معمري السعدي بن محمد	ضيعة رينال	
138	مداني بن الوافي	القرية	أصله من سفيان ـــ بريكة
139	معتوفي عمار بن محمد	البربج	
140	مهدي احمد بن مهدي	تمارة	
141	مهدي بن شاع بن مسعود	تمارة	
142	مهدي حطابين مسعود	تمارة	
143	بركي عبد الله بن لخضر	كنزرية	
144	مليزي محمد بارك بن امبارك	القرية	
145	منصر علي بن عمار	القرية	
146	منصر عيسى بن عمار	القرية	
147	مرزقة محمد بن لخضر	القرية	
148	مهدي عمار بن مهدي	تمارة	
149	رداح مسعود بن عمر	القرية	

150	محمد بن علي بن زيان	القرية	
151	ناصر براهيم بن رحمون	القرية	
152	نصيب الوردي بن محمد	تمـارة + Mais. ottavi	
153	النوي احمد بن لخضر	القرية	
154	وناسي احمد لحقر	القرية	
155	وقلال علي بن محمد	ضيعة رينال	أطلق سراحه
157	ام السعد محمد بن بلقاسم	كنزرية	
158	عثمان منصر بن احمد	القرية	
159	رحماني الصالح بن احمد	كنزرية	أطلق سراحه
160	مقدم الرحماني (محمد بن العيد)	كنزرية	
161	رحماني محمد بن عبد الله	كنزرية	
162	رحماني محمد بن محمد	كنزرية	
163	رحماني محمد بن براهيم	كنزرية	
164	رحماني محمد بن عبد الرحمن	كنزرية	أطلق سراحه
165	رحماني الصالح بن براهيم	كنزرية	
166	رحلاني محمد بن بوقرة	كنزرية	
167	رحال محمد بن عمار	كنزرية	أطلق سراحه
168	رحال محمد بن عمار	كنزرية	أطلق سراحه
169	رمضاني خرف الله بن عبد السلام	البرج	أطلق سراحه
171	روابح الطاهر بن العيد	تمارة	
172	روابح بلقاسم بن العيد	تمارة	
173	روابح العيد بن خوني	تمارة	
174	روابح محمد بن بلقاسم	تمارة	
175	روابح مسعود بن محمد	تمارة	
176	روان بحير بن فرحات	BBA	
177	رحيم احمد بن لخضر	القرية	
178	رقاد بودربالة	القرية	
179	ردة العمري بن مسعود	القرية	
180	ردة محمد بن مسعود	القرية	
181	ردة بشير بن عمر	القرية	
182	رحال بلقاسم بن الشيتر	كنزرية	
183	زديرة موسى بن علي باي	تمارة +البرج	
184	سليحي مبارك بن سليحي	البرج	
185	سليحي محمد بن اسليحي	البرج	
187	دلاندة السعيد بن كسرة	القرية	
189	الطيب بن عبد الله	القرية	
190	تمرابط عمر بن علي	كنزرية	
191	تمرابط محمد بن الطيب	كنزرية	
192	زغيني جلة بن مسعود	البرج + تمارة	
193	زروني بلقاسم بن علي	القرية	أطلق سراحه

194	رقاع علي بن التركي	القرية	
195	رقاع الطيب بن التركي	القرية	

نسخ من هذه القائمة ترسل الى:

1 ــ البلدية المختلط ــ بريكة

2ــ البلدية المختلطة ماكماهون (عين التوتة)،

3 ـــ مجلس الحرب باتنة،

4 ــ مجلس الحرب قسنطينة،

5 ــ ناحية قسنطينة،

6 ــ درك القنطرة،

7 ـــ درك نقاوس،

8 ــ العدالة بباتنة،

9 ــ السجن العسكري قسنطينة،

10 ـــ مصالح الاستعلامات باتنة،

11 ـــ رئيس دائرة باتنة،

12 ــ الأمن العام باتنة.

الملحق رقم 10:

التجنيد الاجباري، وتضحيات أبناء الأوراس في الحرب العالمية الأولى.

A. Benzaïd, synthèse divers documents d'archives

Devoir De Memoire – Non A L'oubli – Insurrection De 1916
Morts De La Commune Mixte De Belezma Pendant La 1ere Guerre Mondiale
Aouadj Helal Et Ses Compagnons D'armes Et D'infortune :

Aouadj Helal est le premier soldat originaire du Belezma mort pendant la Grande Guerre, le 22 août 1914, près du village d'Oret, en Belgique. Le lendemain 23, ce sont sept de ses compagnons du 3e régiment de marche de tirailleurs qui tombent sous la mitraille allemande. La liste s'allonge ensuite au fur et à mesure des batailles. Et même si la guerre s'arrête le 11 novembre 1918, d'autres soldats décèdent plus tard suite à leurs blessures ou à des maladies contractées en service. Le dernier soldat de Belezma, BEKHAKHECHA Saïd, est tué en combattant les Bolchéviques, à Maboulayik, en Russie méridionale, le 5 avril 1919.

Engagés volontaires, conscrits réguliers, conscrits inscrits d'office ou insoumis arrêtés et incorporés de force, ils sont 175 jeunes du Belezma à mourir sur les champs de bataille, en mer Méditerranée ou dans les hôpitaux. Parmi eux se trouvent 25 jeunes des 150 insoumis de la classe 1917 incorporés immédiatement après leur comparution devant la Commission disciplinaire.

Sur ces 175 morts, 136 seulement ont obtenu la mention « Mort pour la France ». 52 ont eu leurs noms gravés sur la plaque commémorative du monument aux morts de Corneille (dont un répété, donnant un total de 53), 5 sur celui de Constantine et 4 sur celui de Batna.

A. INSOUMIS DE LA CLASSE 1917 :

1. ADJINA Ahmed ben Lakhdar
2. ALLOUACHE Mohamed ben Ali
3. AMMARI Amer ben Brahim – MaM de Corneille
4. BADIS Cherif ben Messaoud
5. BELARIF Mohamed ben Ali
6. BENSAAD Amghar ben Salah – MaM de Corneille
7. BENSALEM Nouï ben Slimane
8. BETTAYEB Salah dit Derradji ben Bouchenafa – MaM de Corneille et MaM de Constantine
9. BOUABDALLAH Lahlimi ben Hammou
10. BOUHALA Messaoud ben Mohamed – MaM de Corneille
11. BOUHENNAF Amar ben Chenouf
12. BOULARIF Mohamed ben Ammar – MaM de Corneille
13. BOUSAÏD Saôu ben Saïd
14. BOUZIDI Messaoud ben Rezki
15. CHIBANI Mohamed ben Slimane – MaM de Corneille et MaM de Batna
16. DAMOUCHE Mohamed ben Ammar
17. FODIL Ahmed ben Amor
18. GUERFI Belgacem ben Messaoud
19. HEFIANE Ameur ben Ammar – MaM de Corneille (HETLANE, par erreur)
20. KHENCHALI Badaoui ben Ahmed
21. LARARI Ali ben Ameur – MaM de Corneille
22. LASFER Ahmed ben Amor
23. TOUIL Ahmed ben Abdallah – MaM de Corneille
24. YAïCH (ICHE) Abdallah
25. ZEMOURA Meziane ben Belkacem

B. ENGAGES VOLONTAIRES ET CONSCRITS REGULIERS :
26. ABACHI Rabah ben Khelef
27. ABBAS Mebrouk ben Hamenna
28. ABDOU Mohamed – MaM de Batna
29. ABIDRI Tayeb ben Mohamed
30. ACED Mohamed ben Abderrahmane
31. ADJEDJ Slimane ben Lahcene
32. ADJINA Mekki ben Belkhir
33. ADJOUDJ Salah ben Moussa
34. AGOUN Aïssa ben Mohamed
35. AÏDOUNI Salah ben Ziane
36. AMMAR Mebrouk ben Mohamed-Tahar – MaM de Corneille « MABROUK, par erreur »
37. AMRANE Yahia ben Mohamed
38. AOUCHECHE Mohamed ben Hamou
39. AOUADJ HELAL – MaM de Corneille « AOUDJ »
40. AOUF Abdallah ben Ahmed – MaM de Corneille
41. AOUICHE Mohamed ben Larbi
42. ARIF Salah ben Hamenna – MaM de Corneille
43. ASKER Mohamed ben Salah
44. ATTÏA Saïd ben Seddik
45. AZAR Amor
46. AZZAZ Salah ben Mohamed
47. AZZOUZ Ahmed ben Derradji – MaM de Corneille « AZZOU»
48. BADI Saïd ben Salah
49. BADJIR Touhami – MaM de Corneille
50. BAÏTICHE Boularès ben Hadj – MaM de Batna
51. BAKAKCHA Saïd ben Abdallah
52. BELAÏD Mohamed
53. BELAÏD Saïd ben Kassa
54. BELAOUICHE Belkacem ben Mebarek
55. BELMAMOUNE Belkacem ben Hammou – MaM de Corneille
56. BENABDELAZIZ Ahmed ben Ali
57. BENAHMED Barkat (ou Barkat … ben Ahmed?)
58. BENAHMED Slimane ben Ahmed
59. BENAÏSSA Ali ben Saâdi
60. BENAMARA Amara ben Salem
61. BENGUERBAÂ Bachir dit Hammou ben Ali – MaM de Corneille
62. BENHOULA Mebarek ben Tayeb
63. BENKARREF Ahmed ben Hadj
64. BENMEBROUK Allaoua ben Mohamed
65. BENSBAÂ Messaoud ben Ammar – MaM de Constantine
66. BENSERREDJ Slimane ben Tourki
67. BERKANE Mohamed ben Saâdi – MaM de Corneille
68. BEROUAL Ammar ben Arbi
69. BEROUAL Hammou ben Mostefa
70. BICHA Ali ben Bezzouh
71. BITAM Belkacem ben Mohamed
72. BITAM Mohamed ben Ahmed
73. BOUABDALLAH Ali ben Bouabdallah
74. BOUAFIA Messaoud ben Salah
75. BOUALEM Abderrahmane ben Merzoug – MaM de Corneille
76. BOUALI Mohamed ben Mohamed-Seghir – MaM de Corneille

77. BOUAOUN Ammar ben Laâbidi – MaM de Corneille
78. BOUAZIZ Abderrahmane ben Saâd
79. BOUBECHICHE Hammou ben Merzoug
80. BOUDJELLAL Ali ben Mohamed
81. BOUHAZILA Saïd ben Saïd
82. BOUKEDJA Mosbah ben Ahmed
83. BOUKETIR Hammou – MaM de Corneille
84. BOUMEKHILA Hammou ben Moussa
85. BOURAS Saïd ben Ahmed – MaM de Corneille ; MaM de Constantine : BOURAS Saïd ben Hamenna
86. BOURAS Salah ben Ahmed – MaM de Corneille
87. BOURENNANE Amor ben Bourennane – MaM de Corneille
88. BOUSSAÏD Moussa
89. BOUTALEB Belkacem ben Ahmed
90. BOUTRA Tahar ben Messaoud
91. BOUZID Mahmoud
92. BRANIS Salah ben Ali
93. CHAÂBANE Smaïl ben Mohamed
94. CHAOUCH Moussa dit Belkacem ben Hamada
95. CHENNOUFI Ammar ben Mohamed-Seghir
96. CHETTOUH Mohamed ben Saïd – MaM de Corneille
97. DEHIMI Aïssa ben Moussa
98. DJERADI Hamenna – MaM de Corneille
99. DOUADI Mohamed ben Saïd
100. DRIDI Abdallah ben Amara (ou Ameur)
101. DRIS Mohamed ben Bergad
102. FERCHICHE Ahmed ben Hadj
103. GAOUDA Mohamed ben Sembal
104. GHEDJATI Moussa ben Hammou
105. GUEBLA Amor ben Mebarek
106. GUENDOUZ Ahmed ben Lakhdar
107. GUENDOUZ Mezeghiche
108. GUIDAN Cherif
109. HACEM Ahmed ben Boudjemaâ
110. HADDAD Aïssa ben Saïd
111. HADJIDJ Slimane ben Salah – MaM de Corneille
112. HAMMADI Abdesselam – MaM de Corneille
113. HAMON ben Salah – MaM de Corneille « HAMOUN »
114. HANNACHI Salah ben Mohamed
115. HANNICHE Redjem ben Abbès – MaM de Corneille
116. HAOUACHE Moussa ben Ahmed – MaM de Constantine
117. HOUGAR Aïssa ben Mebarek – MaM de Corneille
118. IBRIR Ikhlef dit Brahim
119. IDIR Ahmed ben Arezki
120. KADDOUR Allaoua ben Ammar
121. KENFER ben Hamou
122. KERMICHE Bouhadja ben Amor
123. KHALDI Belkacem – MaM de Corneille
124. KHALFI Hamou ben Hamou
125. KHEDDA Ali ben Ammar
126. KHELIFA Cherif ben Aïssa – MaM de Corneille
127. KHELLAF Aïssa ben Hammou

128. KHELIFI Mohamed ben Tayeb – MaM de Corneille
129. KHENFOUSSI Seddik ben Hammou
130. LAÂCHI Djemaï ben Mohamed – MaM de Corneille « répété : DJEMOUÏ Laâchi »
131. LAHOUEL Ali ben Saïd
132. LAÏDLI Ammar ben Mohamed – MaM de Corneille
133. LALMI Ammar ben Ahmed
134. LAMRI Baïtiche ben Ahmed – MaM de Corneille
135. LAMRI Salah
136. LAOUAR Ahmed ben Ammar – MaM de Corneille
137. LHADJ Messaoud ben Aïssa
138. MADACI Ammar ben Khalifa
139. MAHMOUDI Mohamed – MaM de Corneille
140. MAKHLOUF Ali ben Belkacem – MaM de Corneille
141. MANSOUR Belkacem ben Maâmar – MaM de Corneille
142. MAÂTAR Brahim ben Rabah
143. MAÂNCER Ameur ben Mohamed – MaM de Corneille « MANSOUR Amor »
144. MEBARKI Hammou ben Salah
145. MECHERI Mohamed ben Slimane
146. MEKIDECHE Hamenna ben Mohamed – MaM de Corneille
147. MELLAL Aïssa
148. MENASSER Boudjemaâ ben Belkhir
149. MENZER Ali ben Derradji
150. MEROUANI Aïssa ben Hammou
151. MERRAD Mohamed – MaM de Corneille
152. MERZOUGUI Hamenna ben Ali – MaM de Batna
153. MESSAÂDIA Mohamed ben Yahia
154. MESSOUS Makhlouf
155. NAÏLI Aïssa ben Abid
156. NASRI Seghir ben Abdallah
157. NEKAÂ Mohamed-Salah ben Boussaïd
158. NEMER Mohamed – MaM de Corneille
159. NEZZAR Salah ben Saïd
160. NOUI Othman
161. OULTACHE Mohamed ben Mohamed – MaM de Corneille
162. REGUIG Ahmed ben Arrès
163. SAÂDOUN Saïd ben Saâdoun
164. SEBAÂ Tayeb ben Guella
165. SEDDIK-AMEUR Mohamed ben Douadi
166. SEDIRA Lakhdar ben Ammar
167. SEMSAR Allaoua ben Slimane – MaM de Corneille
168. SIDI-ALI Lakhdar ben Salah
169. SMAÏL Daoudi ben Aïssa (ou DAOUDI Smaïl ben Aïssa)
170. SOLTANI Saïd ben Mohamed
171. TEKHNOUNI Larbi ben Hammou
172. TOUIL Hammouda ben Ammar
173. YAÏCH Saôu ben Ferhat – MaM de Corneille
174. ZEGHBANE Ammar ben Aïssa – MaM de Corneille « ZEGLANA»
175. ZERROUKI Tahar ben Belgacem – MaM de Corneille

الملحق رقم: 11،

قرارات لجنة التأديب والقوافل في منطقة الاوراس.

الملحق من تصميم الأستاذ، عبد الحق بن زايد، وأنشر مراسلته لي كما هي،

بتاريخ 19 سبتمبر 2020.

السلام عليكم

هذا عمل شخصي راعيت خلال انجازه المعايير الصارمة، ارجو في حالة استغلاله احترام مبدأ الملكية الثقافية لأنه كلفني جهدا كبيرا ومصاريف باهضه، اقتفيت أثر كل شخص من تاريخ اعتقاله الى تاريخ إطلاق سراحه أو وفاته، ليست كل الأحكام لها علاقة بالثورة.

توضيح لفهم محتوى الجداول أدناه:

1. Décisions de la Commission disciplinaire, tableau synthétique

Catégories des délits :

A : faute grave dans le service administratif

B : acte d'hostilité, d'intrigues, rébellion, refus d'obéissance ordre militaire, refus de renseigner la troupe, incitation à l'abstention, intrigue et désobéissance, excitation à la rébellion, propos anti-français

C : refus d'un ordre administratif, insoumission, désertion, (inscription d'office)

D : détention d'armes, poudre ou munitions, vente ou contrebande armes

E : vol, vol par recel, tentative de vol, escroquerie, faux-poids, bechara, abus de confiance

F : coups et blessures, rixe

G : circulation sans permis

H : tentative de corruption

K : chasse en temps prohibé, pacage à main armée

L : homicide involontaire

M : voyage à l'étranger sans passeport

2. Convois :

AEK : Aïn-el-Ksar

A.M. : Aïn-M'lila

A.T. : Aïn-Touta

AUR : Aurès

BLZ : Belezma

BRK : Barika

KH : Khenchela

TEB : Tebessa

الجدول 01 تابع للملحق رقم: 10

N° dossier	Date	Commune	Nbre de Prévenus	Catég. Délits	Décisions	Destination initiale	Observation
1	14.12.1916	Barika	25	C	1 an = 20 acquittés = 5	Tadmit = 4 incorporés = 16	
2		Barika	3	C	1 an = 3	incorporés = 3	
3		Barika	2	C	1 an = 2	incorporés = 2	
4	28.12.1916	Aïn-Touta	1	A	annulé		**LOUCHENE Rahmani ben Mohamed** ex-cheikh douar Briket demande internement de 5 ans voir dossier n° 69
5		Aïn-Touta	2	C	1 an = 2	Tadmit = 1 incorporé = 1	
6		Aïn-Touta	1	A	annulé		**BOUHENTALA Mohamed ben Ahmed** ex-cheikh douar Ouled-Aouf demande internement de 10 ans décédé en prison le 25.01.1917
7		Barika	7	C	1 an = 6 acquitté = 1	incorporés = 6	
8		Aïn-Touta	12	B	1 an = 12	Tadmit = 11 décédé = 1	
9		Aïn-Touta	1	D	1 an = 1	Tadmit = 1	
10		Aïn-Touta	9	D	1 an = 9	Tadmit = 9	
11		Aïn-Touta	3	C	1 an = 2 acquitté = 1	incorporés = 2	
12		Aïn-Touta	2	C	1 an = 1 acquitté = 1	incorporé = 1	
13		Aïn-Touta	4	C	1 an = 4	incorporés = 4	
14		Aïn-Touta	22	C	1 an = 22	incorporés = 15 Tadmit = 7	
15		Aïn-Touta	18	C	1 an = 18	incorporés = 11 Tadmit = 7	
16		Belezma	7	C	1 an = 7	incorporés = 7	
17		Belezma	12	C	1 an = 12	incorporés = 11 Tadmit = 1	
18		Belezma	4	C	1 an = 4	incorporés = 4	
19		Belezma	8	C	1 an = 8	incorporés = 4 Tadmit = 4	
20		Belezma	4	C	1 an = 4	incorporés = 4	
21		Belezma	1	C	1 an = 1	Tadmit = 1	
22		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
23		Belezma	2	C	1 an = 2	Tadmit = 2	
24		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
25		Belezma	2	C	1 an = 2	incorporé = 1 Tadmit = 1	
26		Belezma	10	C	1 an = 8 acquittés = 2	incorporés = 5 Tadmit = 2 hospitalisé = 1	hospitalisé = décédé
27		Belezma	18	C	1 an = 17 hospitalisé = 1	incorporés = 15 Tadmit = 1 décédé = 1	décédés = 2 (1 hospitalisé et 1 condamné)
28		Belezma	21	C	1 an = 21	incorporés = 21	
29		Belezma	14	C	1 an = 14	incorporés = 14	
30		Belezma	3	C	1 an = 3	incorporés = 3	

31		Belezma	10	C	1 an = 10	incorporés = 10	
32		Belezma	21	C	1 an = 20 hospitalisé = 1	incorporés = 19 Tadmit = 1	hospitalisé : voir dossier n° 221
33	04.01.1917	Belezma	7	C	1 an = 5 acquittés = 2	incorporés = 5	
34		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
35		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
36		Belezma	4	C	1 an = 4	incorporés = 4	
37		Belezma	2	C	1 an = 2	incorporés = 2	
38		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
39		Belezma	2	C	1 an = 2	incorporés = 2	
40		Belezma	3	C	1 an = 3	incorporés = 3	
41		Barika	4	C	1 an = 4	incorporé = 4	
42		Aïn-Touta	2	B	1 an = 2	Tadmit = 2	demande internement de 5 ans = 2 mise en surveillance de 2 ans = 2
43		Aïn-Touta	1	D	1 mois = 1	libéré	
44		Aïn-Touta	2	B D = 1 B = 1	6 mois = 1 6 mois = 1	décédé = 1 Tadmit = 1	
45		Aïn-Touta	1	F	3 mois = 1	Tadmit = 1	
46		Barika	5	B	1 an = 5	Tadmit = 5	demande internement de 5 ans = 2 mise en surveillance de 2 ans = 2
47		Barika	3	E	1 an = 3	Tadmit = 3	
48		Aïn-Touta	4	D = 1 B G = 3	3 mois = 1 1 mois = 3	Tadmit = 1 libérés = 2 décédé = 1	
49	11.01.1917	Belezma	6	B	1 an = 6	Tadmit = 6	
50		Belezma	17	B	1 an = 17	Tadmit = 17	parmi les prévenus, **mokaddem MAÂCHE Ammar ben Ali,** mechta Haïdoussa
51		Belezma	5	B	1 an = 5	Tadmit = 3 Aflou = 1 décédé = 1	
52		Belezma	3	B	1 an = 3	Tadmit = 3	
53		Belezma	8	B	1 an = 8	Tadmit = 8	
54		Belezma	7	B	1 an = 7	Tadmit = 7	
55		Belezma	15	B	1 an = 15	Tadmit = 15	
56		Belezma	41	B	1 an = 41	Tadmit = 41	
57		Belezma	6	B	1 an = 6	Tadmit = 6	
58		Aïn-Touta	1	A	annulé		**BENYOUSSEF Smail ben Hamou,** ex-cheikh douar Tilatou voir dossier n° 70
59	19.01.1917	Belezma	79	B	1 an et 1000 fr = 1 1 an = 74 acquittés = 2 hospitalisés = 2	Aflou = 19 Touggourt = 8 Corneille = 27 El-Madher = 1 évadé = 1 décédés = 19	décédés = 21 (19 condamnés et les 2 hospitalisés) évadé = arrêté
60		Belezma	32	B	1 an = 32	Touggourt = 3 Aflou = 8 Corneille = 12 El-Madher = 1 décédés = 8	
61		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
62		Belezma	2	C	1 an = 2	incorporés = 2	
63		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	

64		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
65		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
66		Belezma	3	C	1 an = 3	incorporés = 3	
67		Aïn-Touta	26	C	1 an = 18 acquittés = 6 hospitalisés = 2	incorporés = 18	hospitalisé 1 : voir dossier n° 103 hospitalisé 2 : voir dossier n° 130
68		Aïn-Touta	1	D	6 mois et 500 fr = 1	Touggourt = 1	
69	15.02.1917	Aïn-Touta	1	A	6 mois = 1	Tadmit = 1	voir dossier n° 4
70		Aïn-Touta	1	A	1 an = 1	Frenda = 1	**transformé en 2 ans de mise en surveillance à Frenda** voir dossier n° 58
71	08.03.1917	Barika	1	D	100 fr = 1	libéré	
72		Khenchela	1	D	100 fr = 1	libéré	
73		Khenchela	1	D	50 fr = 1	libéré	
74		Khenchela	1	D	100 fr = 1	libéré	
75		Khenchela	2	C	6 mois = 1 3 mois = 1	incorporés = 2	
76		Khenchela	2	C	3 mois = 2	incorporés = 2	
77		Aïn-Touta	1	C	3 mois = 1	incorporé = 1	
78		Aïn-M'lila	1	B	1 an = 1	Touggourt = 1	**mise en surveillance de 2 ans**
79		Aïn-M'lila	1	B	1 an = 1	Touggourt = 1	
80		Aïn-Touta	1	D	1 an = 1	Touggourt = 1	
81		Aïn-Touta	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
82		Khenchela	1	D	3 mois = 1	Aïn-M'lila = 1	
83		Khenchela	1	D	1 an = 1	Touggourt = 1	
84		Aurès	1	D	1 an et 100 fr = 1	Touggourt = 1	
85		Barika	1	D	6 mois et 100 fr = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
86	15.03.1917	Barika	1	B	1 an et 1000 fr = 1	Conseil de guerre = 1	**MOHAMMEDI El-Hadj Mohamed ben Hadj-Messaoud** **connu sous le nom de BELOUDINI** ex-cheikh douars Sefiane et Seggana **mise en surveillance de 10 ans à Saïda**
87		Aïn-Touta	1	B	1 an = 1	Aflou = 1	**mise en surveillance de 2 ans**
88		Aïn-Touta	2	B D = 1 B = 1	1 an = 1 6 mois et 50 fr = 1	Aïn-M'lila = 2	
89	29.03.1917	Aïn-Touta	1	C	acquitté = 1		
90		Aïn-Touta	1	D	6 mois = 1	Aflou = 1	
91		Barika	5	E	1 an = 1 1 mois = 3 2 mois = 1	Aflou = 1 libérés = 4	
92		Barika	4	B	1 an = 4	Touggourt = 2 Aïn-el-Ksar = 2	**mise en surveillance de 2 ans = 4**
93		Aïn-Touta	1	C	8 mois = 1	incorporé = 1	
94		Aïn-Touta	1	D	1 an = 1	Aflou = 1	
95		Aïn-Touta	1	C	8 mois = 1	incorporé = 1	
96		Aïn-el-Ksar	1	C	8 mois = 1	incorporé = 1	
97		Aïn-Touta	1	C	6 mois = 1	Aflou = 1	
98		Barika	1	C	8 mois = 1	incorporé = 1	
99	03.04.1917	Barika	1	B	6 mois = 1	Aïn-M'lila = 1	

100		Barika	6	B	1 an et 1000 fr = 1 1 an et 500 fr = 1 1 an et 100 fr = 1 1 an = 3	Aflou = 1 Aïn-el-Ksar = 2 Touggourt = 1 Aflou = 2	mise en surveillance de 6 ans = 6
101		Aïn-Touta	1	B	6 mois et 1000 fr = 1	Aflou = 1	BENALDJÏA Abderrahmane ben Mohamed
102		Aïn-Touta Ain- M'lila	1 1	A	1 an = 2	Aïn-el-Ksar = 1 Aflou = 1	mise en surveillance de 3 ans = 2
103		Aïn-Touta	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
104		Aïn-Touta	10	C	1 an = 7 acquittés = 3	incorporés = 7	
105		Aïn-Touta	2	E	6 mois et 200 fr = 1 6 mois = 1	Aflou = 2	
106		Aïn-Touta	2	E	6 mois = 2	Touggourt = 1 Aflou = 1	
107		Aïn-Touta	1	D	6 mois = 1	Touggourt = 1	
108		Aïn-el-Ksar	1	D	8 jours et 200 fr = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
109		Aïn-el-Ksar	1	D	8 jours et 100 fr = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
110		Aïn-el-Ksar	1	D	8 jours et 100 fr = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
111		Aïn-el-Ksar	1	D	200 fr = 1		
112	19.04.1917	Belezma	2	B	3 mois et 1/2 et 250 fr = 2	libérés = 2	
113		Aïn-el-Ksar	1	D	25 fr = 1		
114		Barika	1	C	15 jours = 1	incorporé = 1	
115		Aïn-Touta	1	E	100 fr = 1		
116		Aïn-Touta	1	D	6 mois et 200 fr =1	Aflou = 1	
117		Aïn-Touta	1	D	3 mois = 1	libéré = 1	
118		Barika	1	D	3 mois et 200 fr = 1	Aflou = 1	
119		Barika	1	C	15 jours = 1	incorporé = 1	
120		Barika	1	D	3 mois = 1	Aflou = 1	
121		Aïn-M'lila	1	C	1 an = 1	Parquet = 1	
122		Aïn-M'lila	3	E	6 mois et 100 fr = 1 6 mois = 2	Aflou = 3	
123		Aurès	2	E	1 an et 100 fr et 130 fr de d.i. = 2	Touggourt = 2	
124		Aurès	3	C	2 mois = 3	incorporés = 3	
125		Aïn-M'lila	1	F	2 mois = 1	libéré = 1	
126		Aïn-M'lila	1	F	1 mois et 50 fr = 1	libéré = 1	
127		Aïn-el-Ksar	1	D	15 jours et 50 fr = 1	libéré = 1	
128		Aïn-M'lila	1	E	6 mois et 50 fr = 1	Aflou = 1	
129		Aïn-M'lila	1	E	3 mois et 200 fr = 1	libéré = 1	
130		Aïn-Touta	1	C	3 mois = 1	libéré = 1	
131		Aïn-M'lila	1	D	3 mois = 1	Aflou = 1	
132		Khenchela	5	C	3 mois = 4 2 mois = 1	incorporés = 4 libéré = 1	
133		Belezma	1	B	1 an = 1	Aflou = 1	mise en surveillance de 5 ans
134	26.04.1917	Aïn-M'lila	5	B	1 an et 150 fr = 3 1 an = 1 6 mois = 1	Touggourt = 5	attaque de la Gendarmerie d'Aïn-el-Fakroun mise en surveillance de 2 ans = 3 3 prévenus condamnés une seconde fois pour évasion ; voir dossiers n° 155 et n° 214

135		Aïn-el-Ksar	4	B D K	1 an et 200 fr = 1 1 an et 150 fr = 2 1 an et 100 fr = 1	Touggourt = 4	
136		Aïn-el-Ksar	1	F	15 jours = 1	libéré = 1	
137		Aïn-Touta	4	B	1 an = 4	Touggourt = 4	
138		Aïn-Touta	4	B	1 an = 1 6 mois = 2 acquitté = 1	Touggourt = 1 libérés = 2	
139		Aïn-Touta	2	B	1 an et 300 fr = 1 1 an et 200 fr = 1	Touggourt = 2	
140		Aïn-M'lila	2	E	6 mois et 1000 fr = 1 6 mois = 1	Touggourt = 2	
141		Aïn-M'lila	2	E	4 mois = 2	Touggourt = 2	
142		Aïn-M'lila	1	E	1 an et 200 fr = 1	Touggourt = 1	condamné une seconde fois pour évasion ; voir dossier n° 214
143	03.05.1917	Aïn-Touta	1	B	7 mois = 1	Touggourt = 1	
144		Aïn-Touta	2	B	1 an = 2	Touggourt = 2	
145		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
146		Belezma	2	D = 1 H = 1	5 mois = 1 8 mois = 1	Corneille = 2	
147		Aïn-M'lila	1	B	1 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
148		Belezma	2	C	1 an = 1 hospitalisé = 1	incorporé = 1	hospitalisé , voir dossier n° 308 : acquitté
149		Aïn-Touta	1	D	25 fr = 1	libéré = 1	
150		Belezma	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
151		Belezma	2	D	200 fr = 2	libérés = 2	
152	10.05.1917	Aïn-M'lila	5	B	1 an et 500 fr = 1 6 mois et 300 fr = 1 6 mois = 2 3 mois et 500 fr = 1	Touggourt = 4 Aïn-M'lila = 1	**mise en surveillance de 5 ans = 1**
153		Aïn-M'lila	16	B	6 mois et 200 fr = 1 6 mois et 100 fr = 3 6 mois = 1 3 mois et 250 fr = 2 3 mois et 200 fr = 3 3 mois et 150 fr = 1 3 mois et 100 fr = 1 3 mois = 2 acquitté = 1 absent = 1	Touggourt = 3 Aurès = 2 Aïn-M'lila = 9	
154		Aïn-M'lila	4	B	1 an et 500 fr = 1 1 an et 100 fr = 2 1 an et 50 fr = 1	Touggourt = 4	**mise en surveillance de 2 ans = 1**
155		Aïn-M'lila	1	B	3 mois = 1	Touggourt = 1	évasion ; voir dossier n°134
156		Aïn-M'lila	6	E	3 mois et 500 fr = 1 3 mois et 100 fr = 2 3 mois = 3	Aïn-M'lila = 6	
157		Aïn-M'lila	27	B	1 an et 200 fr = 2 1 an et 100 fr = 1 1 an = 2 3 mois et 500 fr = 1 3 mois et 250 fr = 2 3 mois et 200 fr = 5 3 mois et 100 fr = 4 3 mois et 50 fr = 1 3 mois = 9	Touggourt = 5 Aïn-M'lila = 22	**attaque à main armée village d'Aïn-Kercha**

158	24.05.1917	Barika	3	B	1 an et 300 fr = 1 1 an et 200 fr = 1 1 an et 150 fr = 1	Touggourt = 3	mise en surveillance de 3 ans = 1 mise en surveillance de 2 ans = 2
159		Barika	5	B	1 an et 100 fr = 3 1 an = 1 hospitalisé = 1	Touggourt = 4	hospitalisé = décédé
160		Barika	1	B	1 an = 1	Touggourt = 1	mise en surveillance de 2 ans
161		Belezma	7	B	8 mois = 7	Touggourt = 7	
162		Barika	5	B	1 an = 4 absent = 1	Touggourt = 4	mise en surveillance de 3 ans = 3
163		Barika	1	B	1 an = 1	Touggourt = 1	mise en surveillance de 3 ans
164		Barika	1	D B	6 mois et 250 fr = 1	Khenchela = 1	
165		Barika	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	
166		Barika	2	B	1 an et 250 fr = 2	Touggourt = 2	
167		Barika	3	B	1 an = 3	Touggourt = 3	
168		Barika	1	B	1 an et 300 fr = 1	Khenchela = 1	
169		Barika	1	B	1 an = 1	Touggourt = 1	
170		Barika	4	E	1 an et 200 fr = 4	Touggourt = 4	
171		Barika	2	D	6 mois et 200 fr = 1 6 mois = 1	Khenchela = 2	
172		Barika	2	E	1 an et 250 fr = 2	Touggourt = 2	mise en surveillance de 2 ans = 1
173		Belezma	2	B	10 mois et 250 fr = 2	Touggourt = 2	
174		Aïn-Touta	1	E	8 jours = 1	libérée = 1	femme
175		Aïn-el-Ksar	1	D	1 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
176	31.05.1917	Aïn-M'lila	1	E	6 mois = 1	Khenchela = 1	
177		Aïn-M'lila	1	E	3 mois = 1	Khenchela = 1	
178		Aïn-M'lila	1	E	3 mois = 1	Khenchela = 1	
179		Aïn-M'lila	1	E	3 mois = 1	Khenchela = 1	
180		Aïn-M'lila	1	E	3 mois = 1	Khenchela = 1	
181		Aïn-M'lila	1	D	3 mois et 100 fr = 1	Khenchela = 1	
182		Aïn-M'lila	4	D	1 an et 200 fr = 1 6 mois et 200 fr = 2 6 mois = 1	Touggourt = 3 Khenchela = 1	
183		Aïn-M'lila	1	D	3 mois et 100 fr = 1	Khenchela = 1	
184		Aïn-M'lila	1	D	3 mois et 25 fr = 1	Khenchela = 1	
185		Aïn-M'lila	1	D	1 mois et 50 fr = 1	Khenchela = 1	
186		Barika	1	D	1 mois = 1	Khenchela = 1	
187		Barika	1	E	1 an = 1	Touggourt = 1	prévenu originaire de Timgad, Aïn-el-Ksar.
188		Barika	4	B	1 an et 50 fr = 2 10 mois et 150 fr = 1 10 mois et 100 fr = 1	Touggourt = 2 Khenchela = 2	
189		Barika	4	B	1 an et 50 fr = 1 6 mois et 200 fr = 1 6 mois et 150 fr = 1 6 mois et 80 fr = 1	Touggourt = 1 Khenchela = 3	
190		Aïn-el-Ksar	2	D	6 mois et 150 fr = 1 6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 2	
191		Khenchela	1	B	1 an et 100 fr = 1	Touggourt = 1	
192		Aurès	1	B	1 an et 150 fr = 1	Touggourt = 1	

193		Belezma	35	B	8 mois et 50 fr = 1 8 mois = 1 6 mois et 150 fr = 4 6 mois et 100 fr = 6 6 mois et 50 fr = 4 6 mois = 19	Touggourt = 32 Khenchela = 3	
194	07.06.1917	Belezma	36	B	1 an et 200 fr = 5 1 an et 150 fr = 1 1 an et 100 fr = 12 1 an et 50 fr = 3 1 an = 12 6 mois et 50 fr = 1 6 mois = 2	Touggourt = 32 Corneille = 4	affaire de Tadjenent et de la Mestaoua
195		Belezma	36	B	1 an et 300 fr = 1 1 an et 250 fr = 2 1 an et 200 fr = 5 1 an et 100 fr = 7 1 an et 50 fr = 3 1 an = 18	Touggourt = 33 Corneille = 3	affaire de Tadjenent et de la Mestaoua
196		Khenchela	1	D	2 mois = 1	Khenchela = 1	
197		Khenchela	1	D	15 jours et 25 fr = 1	Khenchela = 1	
198		Aurès	1	D	2 mois et 200 fr = 1	Aurès = 1	
199		Aïn-Touta	2	B et E	1 an et 50 fr = 2	Touggourt = 2	
200	14.06.1917	Aïn-Touta	19	B	1 an et 100 fr = 4 1 an et 50 fr = 2 1 an = 10 7 mois et 100 fr = 1 7 mois = 1* hospitalisé = 1	Touggourt = 3 Sersou = 13 Aïn-Touta = 2	* mokaddem HAOUES Hadj Saïd ben Mohamed, mechta Metlili
201		Aïn-Touta	1	B	1 an et 200 fr = 1	Sersou = 1	
202		Aïn-Touta	1	B	1 an et 200 fr = 1	Sersou = 1	
203		Aïn-Touta	2	E	1 an = 1 6 mois = 1	Sersou = 1 Touggourt = 1	
204		Aïn-Touta	1	D	6 mois = 1	Aïn-Touta = 1	
205		Aïn-Touta	1	B	1 an = 1	Sersou = 1	
206		Aïn-Touta	1	B	1 an = 1	Sersou = 1	non-approuvée par G.G.
207		Aïn-Touta	2	B	1 an et 200 fr = 2	Touggourt = 2	
208		Aïn-Touta	1	B	1 an et 100 fr = 1	Touggourt = 1	
209		Aïn-Touta	6	B	1 an et 300 fr = 1 1 an et 200 fr = 2 1 an et 50 fr = 2 1 an = 1	Sersou = 4 Khenchela = 2	
210		Aïn-Touta	2	B	1 an et 200 fr = 1 1 an = 1	Touggourt = 2	non-approuvée par G.G.
211		Aïn-Touta	2	B	1 an et 200 fr = 2	Sersou = 2	
212		Aïn-Touta	1	E	6 mois = 1	Touggourt = 1	
213		Aïn-Touta	14	B	1 an et 250 fr = 3 1 an et 200 fr = 3 1 an et 150 fr = 1 1 an et 100 fr = 4 1 an et 50 fr = 1 6 mois = 1 hospitalisé = 1	Sersou = 10 Khenchela = 2 Pr. de Batna = 1 Hôp. Batna = 1	affaire de Khenzaria 6 mois = prison de Batna hospitalisé = Conseil de guerre, puis Victor-Duruy parmi les prévenus, mokaddem RAHMANI Mohamed ben Saïd, de la mechta Khenzaria, mise en surveillance de 3 ans = 1
214	21.06.1917	Aïn-M'lila	3	B = 2 E = 1	3 mois = 3	Touggourt = 3	condamnés pour évasion voir dossiers n° 142 (E) et n° 134 (B)
215		Belezma	1	E	1 an et 300 fr = 1	Touggourt = 1	

216		Aïn-M'lila	4	E	1 an et 300 fr = 1 6 mois et 100 fr = 1 3 mois et 50 fr = 2	Sersou = 1 Touggourt = 1 Aïn-M'lila = 2	
217		Khenchela	3	B	8 mois et 200 fr = 3	Khenchela = 3	
218		Khenchela	2	B	8 mois et 200 fr = 2	Khenchela = 2	
219		Khenchela	2	B	8 mois et 200 fr = 2	Khenchela = 2	
220		Aïn-el-Ksar	1	E H	1 an = 1	Sersou = 1	
221		Belezma	1	C	acquitté = 1		voir dossier n° 32
222		Aïn-Touta	1	F	3 mois et 25 fr = 1	Touggourt = 1	
223		Belezma	3	E	1 an = 2 hospitalisé = 1	Sersou = 2	hospitalisé = suite ?
224		Aïn-M'lila	1	E	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
225		Aïn-M'lila	6	E	6 mois et 200 fr et 100 fr d.i. solidairement = 2 6 mois et 200 fr = 1 4 mois = 3	Aïn-M'lila = 6	
226		Khenchela	1	E	1 an et 25 fr = 1	Touggourt = 1	
227		Khenchela	1	E	8 mois et 25 fr = 1	Khenchela = 1	
228		Aïn-M'lila	2	E	1 an = 2	Sersou = 2	
229		Aïn-el-Ksar	1	E	6 mois = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
230	28.06.1917	Aïn-Touta	2	D	1 an et 500 fr = 1 1 an = 1	Touggourt = 2	
231		Khenchela	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
232		Khenchela	1	D	100 fr = 1	libéré = 1	
233		Khenchela	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
234		Khenchela	1	D	3 mois et 200 fr = 1	Touggourt = 1	
235		Khenchela	1	D	200 fr = 1	libéré = 1	
236		Belezma	10	B	8 mois et 300 fr = 1 6 mois et 300 fr = 2 6 mois et 100 fr = 4 6 mois et 50 fr = 1 3 mois et 200 fr = 1 3 mois et 100 fr = 1	Corneille = 10	
237		Belezma	7	B	1 an et 500 fr = 2 1 an et 200 fr = 4 8 mois et 100 fr = 1	Corneille = 7	
238		Aïn-M'lila	2	E	1 an et 50 fr = 1 1 an = 1	Touggourt = 2	
239		Belezma	1	E F	1 an et 500 fr = 1	Corneille = 1	classé Aïn-Touta, par erreur ; prévenu des Ouled-Menaâ, douar Oued-el-Ma
240		Khenchela	1	D	200 fr = 1	libéré = 1	
241	05.07.1917	Aïn-el-Ksar	2	K D	6 mois et 150 fr = 2	El-Kantara = 2	
242		Khenchela	1	D	6 mois et 150 fr = 1	El-Kantara = 1	
243		Khenchela	1	D	3 mois et 50 fr = 1	El-Kantara = 1	
244		Khenchela	1	D	3 mois et 100 fr = 1	El-Kantara = 1	
245		Khenchela	1	D	3 mois et 100 fr = 1	El-Kantara = 1	
246		Aïn-el-Ksar	2	E	1 an = 1 6 mois = 1	El-Kantara = 2	
247		Khenchela	1	D	8 mois et 100 fr = 1	El-Kantara = 1	
248		Aïn-Touta	3	E	1 an = 3	El-Kantara = 3	

249		Belezma	14	B	1 an et 100 fr = 1 1 an et 50 fr = 1 6 mois et 200 fr = 1 6 mois et 150 fr = 4 6 mois et 100 fr = 2 6 mois et 60 fr = 1 6 mois et 25 fr = 4	Corneille = 14	
250		Aïn-el-Ksar	1	D	1 mois et 200 fr = 1	Aïn-el-Ksar = 1	
251		Belezma	12	B	1 an et 250 fr = 1 1 an et 200 fr = 2 1 an et 150 fr = 1 1 an et 100 fr = 3 1 an et 50 fr = 1 1 an = 4	Corneille = 12	
252	13.07.1917	Khenchela	1	D	6 mois et 200 fr = 1	El-Kantara = 1	
253		Aïn-M'lila	4	E	1 an et 50 fr = 4	El-Kantara = 4	
254		Aïn-M'lila	2	E F	1 an et 50 fr = 2	El-Kantara = 2	
255		Barika	4	E	8 mois et 50 fr = 3 7 mois et 50 fr = 1	El-Kantara = 3 Khenchela = 1	
256		Aïn-M'lila	2	E	8 mois et 50 fr = 2	El-Kantara = 2	
257		Aïn-M'lila	1	D	2 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
258		Aïn-M'lila	1	D	2 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
259		Aïn-M'lila	1	D	6 mois et 200 fr = 1	El-Kantara = 1	
260		Aïn-el-Ksar	2	L	acquittés = 2		
261		Belezma	13	B	4 mois et 150 fr = 2 4 mois et 50 fr = 7 4 mois = 4	El-Kantara = 12 Khenchela = 1	
262		Belezma	2	B	6 mois et 300 fr = 2	El-Kantara = 2	
263		Belezma	2	B	1 mois = 2	libérés = 2	
264	19.07.1917	Aïn-el-Ksar	1	D	25 fr = 1		
265		Aïn-el-Ksar	1	D	25 fr = 1		
266		Belezma	2	E	4 mois = 2	libérés = 2	
267		Barika	1	E	6 mois et 50 fr = 1	libéré = 1	
268		Barika	2	B	1 an et 150 fr = 1 1 an et 50 fr = 1	El-Kantara = 2	
269		Aïn-el-Ksar	1	E	5 mois et 50 fr et 60 fr d.i. = 1	Conseil de guerre = 1	
270		Aïn-el-Ksar	3	E	8 mois et 50 fr = 1 8 mois = 2	Touggourt = 1 Conseil de guerre = 2	
271		Aïn-EL-Ksar	3	E B D	1 an = 1 2 mois et 100 fr = 1 2 mois = 1	Conseil de guerre = 1 libéré = 1 Touggourt = 1	
272		Belezma	2	E	6 mois et 200 fr = 1 3 mois et 50 fr = 1	Corneille = 2	
273		Belezma	14	B	1 an et 300 fr = 2 1 an et 200 fr = 2 1 an et 150 fr = 1 1 an et 100 fr = 2 1 an et 50 fr = 7	Corneille = 14	
274	26.07.1917	Aïn-M'lila	1	B ou C	1 an = 1	... ? ...	
275		Aïn-M'lila	11	B	6 mois = 11	libérés = 11	
276		Belezma Aïn-Touta	7 2	D	25 fr = 8 acquitté = 1*		* acquitté : Belezma

277		Belezma	68	D	6 mois et 200 fr = 1 25 fr = 66 acquitté = 1	libérés = 65 Conseil de guerre = 2	Conseil de guerre pour autres affaires
278		Belezma	1	D	acquitté = 1		
279		Belezma	1	A B	1 mois = 1	libéré = 1	ex-sous-brigadier des deïras
280	02.08.1917	Aurès	1	D	8 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
281		Aurès	1	D	1 mois et 100 fr = 1	Aurès = 1	
282		Aurès	2	E	6 mois et 100 fr = 2	Aurès = 2	
283		Aurès	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
284		Aïn-M'lila	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
285		Aurès	1	D	6 mois et 50 fr = 1	Aurès = 1	
286		Aurès	1	E	1 an et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
287		Aïn-M'lila	1	B	acquitté = 1		
288		Barika	1	E	2 mois et 1/2 = 1	libéré = 1	
289		Aurès	1	D F	1 an et 200 fr = 1		mis à la disposition du juge d'instruction de Batna
290		Aïn-Touta	1	E	acquitté = 1		
291		Biskra	1	E	8 mois et 50 fr = 1	Touggourt = 1	
292		Aurès	2	F	4 mois et 50 fr = 1 acquitté = 1	Touggourt = 1	
293		Aïn-M'lila	1	F	3 mois = 1	libéré = 1	
294		Aïn-M'lila	1	D	6 mois et 150 fr = 1	Touggourt = 1	
295		Aïn-M'lila	1	D	2 mois et 50 fr = 1	Aïn-M'lila = 1	
296		Barika	3	B	6 mois et 50 fr = 2 acquitté = 1	libérés = 2	
297	09.08.1917	Aïn-Touta	1	E	acquitté = 1		
298		Aïn-Touta	1	E	1 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
299		Aïn-Touta	2	A B	1 an et 100 fr = 2	Victor-Duruy = 2	mise en surveillance de 3 ans = 2
300		Aïn-Touta	3	E	6 mois et 100 fr = 2 acquitté = 1	Victor-Duruy = 2	
301		Aïn-Touta	1	F	8 jours = 1	libéré = 1	
302		Aïn-Touta	1	F	acquitté = 1		
303		Aïn-Touta	1	F	15 jours = 1	libéré = 1	
304		Barika	2	B	1 an et 100 fr = 1 8 mois et 100 fr = 1	Touggourt = 1 Victor-Duruy = 1	
305		Belezma	7	B	6 mois et 100 fr = 7	Corneille = 7	
306		Belezma	8	B	1 an et 200 fr = 1 6 mois et 200 fr = 1 6 mois et 100 fr = 6	Victor-Duruy = 1 Corneille = 7	
307		Aïn-Touta	1	D	acquitté = 1		
308		Belezma	1	C	acquitté = 1		voir dossier n° 148
309		Barika	3	B	6 mois et 100 fr = 2 acquitté = 1	Barika = 1 libéré = 1	
310	23.08.1917	Khenchela	30	B	1 an et 150 fr = 3 1 an et 100 fr = 2 1 an et 60 fr = 2 1 an et 50 fr = 3 1 an et 25 fr = 8 1 an = 10 hospitalisé = 1 * décédé = 1	Victor-Dur. = 25 Corneille = 1 hôpital = 1 décédé = 1	nombre de condamnés = 28 * hospitalisé = ... ? ...
311		Belezma	20	B	8 mois et 50 fr = 18 8 mois et 25 fr = 1 8 mois = 1	Corneille = 17 libérés = 2 remis gend. = 1	parmi les prévenus, mokaddem BOUHALA Mohamed ben M'hammed, douar Merouana

312		Khenchela	1	M	4 mois = 1	Victor-Duruy = 1	
313		Barika	4	B	acquittés = 4		
314		Tebessa	2	B	1 an = 2	Victor-Duruy = 2	
315		Khenchela	3	E F	6 mois = 3	libérés = 3	
316		Khenchela	1	E	1 an et 50 fr = 1	Victor-Duruy = 1	
317		Khenchela	1	D	4 mois et 50 fr = 1	libéré = 1	
318		Khenchela	1	D	8 jours = 1	libéré = 1	
319		Khenchela	1	E	acquitté = 1		
320		Aurès	1	B	1 an = 1	Victor-Duruy = 1	
321		Aurès	1	D	1 mois et 25 fr = 1	libéré = 1	
322		Aurès	1	D	8 jours et 100 fr = 1	libéré = 1	
323		Aïn-Touta	1	D	8 jours et 25 fr = 1	libéré = 1	
324		Aïn-Touta	1	C	1 an = 1	incorporé = 1	

الجدول 02 تابع للملحق رقم 10، من تصميم الأستاذ بن زايد عبد الحق

Dates des départs	Direction	Nombres des détenus	Détails par communes	Observations
20.12.1916	Tadmit	4	BRK : 4	Insoumis Barika
31.12.1916	Tadmit	52 (-1)	A.T. : 39 - BLZ : 13 1 condamné A.T. décédé à Batna	Insoumis / Insurgés Aïn-Touta Insoumis Belezma Y sont décédés 15 A.T. et 5 BLZ
07.01.1917	Touggourt	39	A.T. : 39	Insurgés Aïn-Touta 2 décédés à Touggourt 12 renvoyés à Aïn-Touta pour inaptitude au travail ,dont 1 y décède
10.01.1917	Tadmit	13	BRK : 8 - A.T. : 5	Insoumis / Insurgés Aïn-Touta et Barika Aïn-Touta : Tous décédés dont 1 à Djelfa Barika : 2 décédés 1 BRK pour mise en surveillance spéciale
14.01.1917	Tadmit	53	BLZ : 53	Mokaddem Maâche Ammar ben Ali et 52 insurgés du douar Merouana **Trajet Batna-Tadmit effectué à pied** 27 y sont décédés dont le mokaddem
18.01.1917	Tadmit	53	BLZ : 53	53 insurgés du douar Ouled-Fatma 2 décédés en route, à Boghari 28 décédés à Tadmit
29.01.1917	Touggourt	14	A.T. : 14	Insurgés Aïn-Touta - 3 renvoyés à A.T. pour inaptitude au travail
21.02.1917	Tadmit	1	A.T. : 1	Louchene Rahmani ex-cheikh douar Briket libéré le 18.06.1917
10.03.1917	(Tadmit)	8	A.M. : 2 - A.T. : 2 KH : 2 - AUR : 1 - BRK : 1	Revenus de Blida et arrivés à Batna le 8.05.1917 6 envoyés à Touggourt, 1 à Aïn-M'lila et 1 à El-Madher
21.03.1917	Frenda	1	A.T. : 1	Benyoucef Smaïl ben Hammou ex-cheikh douar Tilatou pour mise en surveillance spéciale de 2 ans
25.04.1917	Aflou	50	BLZ :29 - A.T. : 10 - BRK : 6 - A.M. : 5	dont 5 pour mise en surveillance spéciale **Trajet Batna-Aflou effectué à pied**
07.05.1917	Touggourt	36	A.T. : 12 - BLZ : 11 A.M. : 6 - AEK : 4 - BRK : 3	dont 1 pour mise en surveillance spéciale 1 d'Aïn-el-Ksar y est décédé
11.05.1917	Touggourt	23	A.M. : 19 - A.T. : 2 - AUR : 1 - KH : 1	dont 4 pour mise en surveillance spéciale
27.05.1917	Touggourt	34	BRK : 23 - BLZ : 9 - AUR : 2	dont 9 pour mise en surveillance spéciale
03.06.1917	Touggourt	50	BLZ : 32 - BRK : 11 - A.M. : 3 AEK : 2 - AUR : 1 - KH : 1	1 de Belezma y est décédé
07.06.1917	Touggourt	65	BLZ : 63 - A.T. : 2	5 de Belezma y sont décédés
25.06.1917	Touggourt	18	A.T. : 10 - A.M. : 5 - BLZ : 3	dont 2 pour une mise en surveillance spéciale 1 d'Aïn-Touta y est décédé

27.06.1917	Sersou	40	A.T. : 34 - A.M. : 3 - BLZ : 2 - AEK : 1	dont mokaddems Rahmani Mohamed ben Saïd de la mechta Khenzaria et Haouès Hadj-Saïd de la mechta Metlili mise en surveillance spéciale pour 2 détenus dont Rahmani Mohamed
02.07.1917	Touggourt	9	KH : 4 - A.T. : 3 - A.M. : 2	
23.07.1917	El- Kantara	40	BLZ : 14 - A.M. : 8 - BRK : 8 KH : 6 - AEK : 4	dont une partie envoyée à Touggourt le 25.09 ou le 25.11
09.08.1917	Touggourt	10	AUR : 4 - A.M. : 2 - AEK : 1 BLZ : 1 - BRK : 1 - BSK : 1	3 y sont décédés : 1 de Belezma, 1 de l'Aurès, 1 d'Aïn-M'lila
25.09.1917	Touggourt	2	BLZ : 1 - BRK : 1	
10.10.1917	Saïda	1	BRK : 1	Mohammedi El-Hadj Mohamed ex-cheikh douar Seggana pour mise en surveillance spéciale de 10 ans
30.10.1917	Touggourt	1	TEB : 1	
25.11.1917	Touggourt	67	BLZ : 32 - KH : 20 - A.M. : 7 BRK : 5 - AEK : 2 - A.T. : 1	1 de Belezma y est décédé

مختصر الملحق رقم 12:

تقرير مفتش الصحة الى مستشفى باتنة، والرد عليه من قبل

رئيس دائرة باتنة في 30 افريل 1917 . FR ANOM B.3.214

رد رئيس دائرة باتنة، على رسالة الطبيب المفتش العام، « نيميي « Nimier » التي وجهها الى الجنرال الأول، قائد القوات البرية و البحرية لشمال افريقيا، بعد زيارته للمستشفى العسكري لباتنة يوم 30 أفريل 1917، يقول فيها: « خلال دوريتي التفتيشية للمستشفى العسكري لباتنة، و قفت على و جود عدد من العرب المرضى الموقوفين بسبب أحداث عين التوتة... ورغم وجودهم في حالة استشفاء، فانهم لا يتلقون كغذاء الا رغيف خبز بوزن 750 غ يوميا، هذه الحصة الغذائية غير كافية بالنسبة لرجال مهما كان جرمهم و مهما كانت درجة اذنابهم،،، فمعظمهم منهكين فيزيولوجيا».

رد رئيس الدائرة

جوابا على ملاحظتكم المؤرخة في ماي رقم ، نعلمكم بأن تقرير الطبيب المفتش نيميي (Nimier) يبدوا لا أساس له من الصحة.

لقد أعلن الجنرال نيميي في الصفحة الأولى من تقريره، بأنه وخلال مهمته التفتيشية الى المستشفى العسكري بباتنة، وجد عدد من الأهالي المحكوم عليه في وضعية غير عادية، إنهم يتناولون غرام من الخبز فقط يوميا.

أما في الصفحة الثانية فقد كتب، في سياق الاحداث تم القبض على مجموعة من الأهالي وإيداعهم في ثكنة أسبايس، حيث وجدنا من ضمنهم مرضى حولوا الى المستشفى وفيهم من هو مريض بالسل والملاريا والحمى القلاعية...الخ.

هنا توفي من بينهم واحد مريض ب typhus

ورد في الصفحة الرابعة، بأن الموتى في مستشفى باتنة من (ديسمبر الى ماي) بلغ فرد نتيجة مختلف الامراض.

من جهة أخرى (متوفي من ديسمبر الى مارس). من بين الأهالي الذين وجدوا في مستودع أسبايس بمجموع منهم ب typhus

ويضيف رئيس الدائرة، هذا العدد لا يمثل شيئا عندما نعلم أن الأهالي يأتون هنا وأغلبهم يعاني من الهم والضعف البدني، لقد كانوا مطاردين من طرف المعمرين، في الجبال والوديان، لقد سكنوا الجبال هروبا منهم، غاب عنهم الطعام والشراب ولذلك وصلوا الى باتنة منهارين.

الملحق رقم: 13،

انتفاضة 1916 في بلزمة، الجزء الاول، بعنوان: غضب المشاتي، تجنيد الاهالي، الاستدعاء المسبق لصف 1917.

A. Benzaïd, synthèse divers documents d'archives

النسخة الاصلية للوثيقة:

INSURRECTION DE 1916 DANS LE BELEZMA – 1RE PARTIE

LA COLERE DES MECHTAS

CONSCRIPTION INDIGENE, APPEL ANTICIPE DE LA CLASSE 1917

Le 11 août 1916, les jeunes conscrits de la classe 1916 étaient rassemblés à Corneille. Le lendemain 12, on assista à leur départ. Ils furent conduits à Batna par un détachement composé de 10 spahis, de cavaliers et de cheikhs de la commune mixte. A leur arrivée à Batna, l'administrateur-adjoint, qui dirigeait le convoi, en fit la remise à l'autorité militaire.

Moins d'un mois après leur départ, parut le décret du 7 septembre 1916 portant l'appel anticipé de la classe 1917. Un autre décret, datant du 14 septembre, concerna le recrutement par réquisition de travailleurs destinés aux usines de la Défense nationale. Si les listes de recensement avaient pu être établies à temps et arrêtées le 30 septembre, l'administrateur éprouvait les plus grandes difficultés à recruter les travailleurs, dont le contingent fixé pour la commune mixte de Belezma était fixé à 206.

Des tournées étaient effectuées dans les douars lors des opérations préliminaires de la Conscription. Les 6 et 7 septembre, l'administrateur Cribier était à Ras-el-Aïoun ; le 10, il séjourna à Rahbat. Il ne s'y était produit aucun incident, mais on remarqua très peu d'empressement. Le 11, aucun des jeunes gens du douar Telkhemt inscrits ne se présenta devant la Commission. Le 12, seuls deux s'étaient présentés parmi les inscrits des douars Markounda et Ouled-Fatma. Au douar Merouana visité le 13, aucun jeune ne se présenta. La vérification d'identité de presque tous les jeunes inscrits ne put être effectuée que dans les douars Zana, Boughzel et Ouled-M'hammed-ben-Ferroudj visités les 14 et 15 septembre.

L'administrateur réunit les djemaâs des douars Telkhemt, Merouana, Markounda et Ouled-Fatma à différentes reprises et leur montra la « mauvaise voie » dans laquelle ils s'engageaient. Ensuite, en vue d'enrayer un mouvement qui risquait de s'étendre, et après entente avec l'autorité supérieure, il décida la mise en surveillance spéciale de douze individus (trois de chaque douar) choisis parmi les plus compromis, qu'on incarcéra à la prison civile de Batna le 18 septembre.

Une deuxième tournée amena l'administrateur M. Cribier dans les douars de la commune. Le 18 septembre, il était au douar Cheddi, le 19 au douar El-Ksar. Les douars Oued-el-Ma et Ouled-Mehenna le reçurent le 20 et le douar M'cil le 21. La presque totalité des jeunes inscrits lui étaient présentés ; seuls quelques défections étaient enregistrées dans le douar M'cil. Dans le douar Telkhemt visité le 22, la moitié à peine des inscrits étaient venus. Le 23, l'ensemble des inscrits des douars Markounda et Ouled-Fatma étaient présents. Le douar Merouana présenta les siens le 25. Le 26, le sous-préfet de Batna, M. Cassinelli, se rendit dans les douars Telkhemt, Merouana, Ouled-Fatma et Markounda, où il obtint une vague promesse que les jeunes gens figurant sur les listes de recensement se présenteraient au jour fixé devant la Commission de tirage au sort.

NOUS NE DONNERONS PAS NOS ENFANTS :

L'aversion pour le service militaire ne datait pas de 1916, période où les nouvelles en provenance des divers fronts de la guerre étaient des plus affligeantes. Le décret du 3 février 1912 instituant la conscription obligatoire des Algériens avait provoqué, dès son application, une grande effervescence dans le pays. Pour sa première année, 10 des 14 douars de la commune mixte d'Aïn-Touta avaient refusé de fournir leur contingent.

Le 24 septembre 1914, à l'occasion des opérations relatives à la classe 1915 dans le douar El-Ksar, des jets de pierres étaient lancés contre le bordj administratif de Corneille. Une colonne commandée par le lieutenant-colonel Laurent du 7e RTA, forte de 859 hommes et 25 officiers, fut envoyée dans l'arrondissement. Elle séjourna à Corneille le 19 octobre et le 20 à Bordj Kenzria, près

de la maison forestière de Titaouine. Les djemaâs des douars Merouana et des Ouled-Aouf y étaient réunies. Prenant la parole, BOUAFIA Ahmed ben Ahmed dit ben Yahha, ancien cheikh du douar Merouana (4/4/1900 – 17/4/1906), s'adressa ainsi au capitaine Cabon, chef du Bureau des Affaires indigènes de la Division de Constantine : « ON PEUT AUGMENTER LES IMPOTS, NOUS PRENDRE NOS BIENS, MAIS NOUS NE DONNERONS PAS NOS ENFANTS. »

En 1916, la colère se ressentait le plus vivement dans les mechtas Nefla, Adhefi et Tadekht, qui avaient reçu un grand nombre de gens de la tribu des Haïdoussa refoulés de leurs terres sises dans la riche vallée de Merouana pour permettre la mise en possession des colons arrivés au printemps 1903. Les Haïdoussa et leurs voisins, les Ouled-Aouf, firent cause commune grâce aux mokaddems RAHMANI Mohamed ben Saïd (mechta Kenzria), BOUHALA Mohamed ben M'hammed (mechta Beni-Makhlouf) et MAÂCHE Ammar ben Ali (mechta Haïdoussa). Le mot d'ordre était donné par ce dernier : « SI VOUS CONSENTEZ A DONNER VOS ENFANTS, ILS MOURRONT COMME INFIDELES ET VOUS AUSSI, DONC, SONGEZ A FAIRE DES PREPARATIFS POUR LE DJIHAD. »

La mechta Agradou avait donné, la première, l'exemple de la rébellion. Déjà, lors de la précédente conscription, HADDAD Nezzar ben Mohamed et GOUDJIL Chaker ben Mohamed avaient été punis d'un mois de prison pour excitation à la résistance. Cette fois, ce fut MAAZIZ Ammar ben Belkacem qui dirigea la révolte et qui conduisit les gens armés de la mechta venus manifester sur les crêtes des djebels Boughioul et Tikelt.

Toute la mechta Haïdoussa (act. R'hawet), lieu de résidence du mokaddem et enseignant de Coran MAACHE Ammar ben Ali, choisit la voie de l'insoumission. La famille LOUNIS se distingua par le nombre considérable de meneurs. Les frères Ahmed, Brahim, Ammar, Messaoud, M'hammed et Ali, fils de Belkacem, formaient le noyau principal de la résistance. A eux s'étaient joints des BOUAFIA dont Belkacem fils de l'ancien cheikh Ahmed ben Yahha et son beau-frère BENNACER Messaoud ben Slimane (gendre de l'ancien cheikh Ahmed).

Chez les Beni-Makhlouf, plus de 25 notables entraînèrent l'ensemble des deux fractions dans le sillage du mokaddem BOUHALA Mohamed ben M'hammed. Parmi les principaux, on peut citer LAABIDI Mohamed ben Ahmed, BOUMEZRAG Slimane ben Mohamed, les ZEROUAL Ahmed ben Haouès, Tayeb ben Messaoud et son fils Mohamed, qui servaient de relais avec les révoltés de la commune mixte d'Aïn-Touta.

Dans la mechta Nefla, GOUFI Mohamed ben Khelifa, DIB Ali ben Belkacem, ARAB Boubakeur ben Salah, BOULAALIAT Mohamed ben Belkacem et DJEFFAL Djeffal ben Mohamed s'étaient entendus pour qu'aucun jeune de la mechta ne se présentât.

A Bouyaâkaken, DERGHAL Saïd ben Lakhdar, FERROUDJI Ahmed ben Messaoud et son frère Salah tenaient des propos hostiles à la France et juraient d'empêcher les conscrits de se présenter devant la Commission.

La mechta Oulmouthen s'était particulièrement fait remarquer par sa rébellion. Entraînés par le mokaddem BELAÏD Driss ben Abdallah, son frère Tahar cheikh du douar Merouana, leur oncle Salah ben Si-Ahmed ben Si-Abdallah et leur cousin Abderrahmane ben Salah et par ABIDRI Mohamed ben M'hammed, ABOUBOU Salah ben Ahmed, HAFSI Lakhdar ben Salah, ABBAS Aïssa ben Mohamed, BOUAMRA Hadj-Brahim ben Ahmed, ABBAS Belgacem ben Ahmed, MELLAH Mostefa ben Ahmed et ALOUACHE Saïd ben Mohamed, les Haïdoussa de la vallée de l'oued Merouana se placèrent en première ligne de la révolte. Et ce fut dans la zaouia des Belaïd qu'ils décidèrent de passer à l'action armée pour faire éviter aux enfants du Belezma le sort qui les attendait sur les champs de bataille de la Grande Guerre.

La mechta Terchiouine avait depuis longtemps été signalée comme un foyer d'effervescence. Le cheikh BOURADI Mohamed ben Ali, qui comptait parmi les insurgés de la Mestaoua en 1871, le mokaddem LAABACI Seddik ben Bachir et l'influent BELAÏD Mohamed ben Bourahla aidés par quarante individus des plus en vue de la mechta (familles TARACHE, LAABACI, FERROUDJ, ACHTARI, MAKHLOUF, SOLTANI, NEZZAR, BOUSSAHA, LAHLAH, FRIK, MEZGHICHE, LEMZAZ, …) n'éprouvèrent la moindre difficulté à convaincre les parents de ne pas présenter leurs enfants devant la Commission.

Les mechtas du douar Markounda (Bouari, Texlent et Markounda) manifestaient bruyamment leur hostilité à la conscription. Obéissant au cheikh BOURADI et à leurs notables dont

SEMSAR Salah ben Hamouda, BITAM Mohamed ben Ahmed, OUACH Ahmed ben Mohamed, MEGAACHE Lakhdar, KITCHAH Tayeb ben Mebarek, MAATAR Mebarek ben Mohamed, MENZER Baâziz, CHAGHI Ammar ben Nedjaï, BENBATTA Ahmed ben Ali, MANSOURI Ahmed et AMMARI Messaoud ben Tayeb, les habitants avaient pris les armes. L'Histoire retiendra que c'était à Texlent, chez les NOUASRIA, que les mokaddems NOUASRIA Seddik ben Mohamed-Cherif, LAABACI Seddik ben Yahia, MAATAR Ahmed ben Belgacem, GUETTAFI Tahar ben Ahmed et DHIFFI Allaoua ben Ahmed s'étaient réunis dans le but de se concerter sur la conduite à tenir. Une seconde réunion fut organisée à Markounda, chez MAATAR Ahmed.

Quatre parmi les six mechtas du douar Oued-el-Ma, en l'occurrence El-Gourzi, Mestaoua, Bosdan et Tadjenent, pays des Helimïa et des Ouled-Fatma-Tadjenent, déjà révoltées entre 1858 et 1864 (insurrection des Brakta et du Guergour) puis en 1871, effrayèrent les colons de Bernelle en novembre 1914. Les Helimïa juraient de les faire disparaître du pays et l'administration coloniale y voyait les effets de la propagande allemande. Tous les habitants de ces mechtas, kébars compris, étaient rebelles. A Dheraâ-Kelallouche habité en grande partie par des Helimïa qui y avaient été recasés à la suite de la création du centre de Bernelle, la plupart firent cause commune avec leurs frères des quatre mechtas rebelles. (Voir listes)

Dans la plaine de Belezma, on signala quelques meneurs dans le douar Cheddi, dont certains avaient pris une part directe à la rébellion : TOUIL Amor ben Abdallah, HACHICHI Belkacem ben Ali, AYADI Zerrouk ben Ali, KERBOUB Mohamed ben Bezzouh et AZZAZ Hadj-Berkat. A leur tête se trouvait BETTAYEB Bouchenafa ben Messaoud. Monté sur un beau cheval couvert d'armes, le khouni (khouan) Bouchenafa avait entraîné à sa suite tous les hésitants dès l'arrivée de la Commission de conscription et il avait prêché et organisé la résistance. A un cavalier du Bureau venu le voir au sujet de son fils Salah dit Derradji, il répondit : « TU POURRAS DIRE À CELUI QUI T'ENVOIE QUE POUR UN COUP DE FEU TIRE PAR LUI, JE LUI RÉPONDRAI PAR CINQUANTE. »

Les Ouled-Mehenna s'étaient eux aussi signalés par leur opposition à la Conscription et par leur esprit de rébellion. Les MERAH (Tahar ben Mebarek, son frère Hammou, Ameur ben Ahmed, Messaoud ben Mohamed, Amor ben Saïd), les BENHASSIR (Derradji ben Tahar et Djoudi ben Ali), BENNACER Abdallah ben Hamel, BOUZIANE Aïssa ben Djemaï, AMOKRANE Lakehal ben Bouzid et BENABDELAZIZ Saïd ben Salah avaient empêché une vingtaine de jeunes du douar de se présenter devant la Commission. Celui qui attira le plus d'attention fut BENABDELAZIZ Saïd, qui, en refusant de présenter son fils Nouï, répondit au cheikh de son douar : « AMÈNE 20.000 SOLDATS, TU N'AURAS PAS NOS ENFANTS ! »

Dans le douar Rahbat, KHELIFA El-Hadj-Lakhdar ben Khelifa, son fils Mahfoud et ADJOUDJ Merzouk ben Mohamed poussaient les gens à se joindre à la rébellion et avaient même fait plusieurs visites aux Ouled-Soltan pour coordonner le mouvement de révolte.

Chez les Ouled-Sellem du douar M'cil, DRIDI Saôu ben Badji se faisait particulièrement remarquer, retenant son fils et se montrant menaçant chaque fois que les agents de l'autorité se présentaient à lui. S'étaient joints à lui les frères BEDJA Messaoud, Makhlouf et Ahmed, fils de Mohamed, ainsi que les frères ALLAM Larbi, Nekaâ, Brahim, Ahmed et Tayeb, fils de Makhlouf. Leurs efforts réussissaient dans une mesure appréciable, puisque le tiers des jeunes inscrits, en particulier ceux de leur mechta, faisaient abstention. Les mechtas Tassa, Kef-Lahmar, Lachraf et Tanout manifestaient elles aussi leur hostilité. Treize personnes dont SOLTANE Saôu ben Ahmed, MESSAÂDI Hamenna ben Khelifa, BOUCHERAKI Hannachi ben Madani et DRIDI Kassa ben M'hammed s'y faisaient les porte-paroles de la rébellion.

Dans le douar Telkhemt, on cita au moins treize rebelles, dont les plus entreprenants étaient OUCHENE Hamenna ben Hammou, NOUI Ammar ben Ali, BENBELKHIR Ahmed ben Ammar, SAHRAOUI Hamenna ben Mohammed et surtout BENKAABOUCHE Ziadi ben Guidoum. Ils avaient réussi à convaincre 25 jeunes du douar à ne pas se présenter devant la Commission le 7 novembre 1916.

CORNEILLE, LE MARDI 7 NOVEMBRE 1916

LES 571 JEUNES INSCRITS SUR LES LISTES DE RECENSEMENT DE LA CLASSE 1917 ETAIENT CONVOQUÉS À SE PRÉSENTER DEVANT LA COMMISSION QUI DEVAIT SIEGER À L'INFIRMERIE INDIGÈNE DE CORNEILLE LE 7 NOVEMBRE 1916. 204 NE SE PRÉSENTÈRENT PAS ET FURENT INSCRITS D'OFFICE. CE JOUR LÀ, DES CENTAINES DE

REVOLTÉS MANIFESTAIENT EN ARMES SUR LES HAUTEURS DOMINANT CORNEILLE, PRÊTS À FONDRE SUR CE CENTRE DE COLONISATION …

LE 11 NOVEMBRE 1916, QUELQUES HEURES AVANT L'ATTAQUE DU BORDJ ADMINISTRATIF DE MAC-MAHON, LE SOUS-PREFET CASSINELLI ENVOYA AU PREFET UN TELEGRAMME CHIFFRÉ DONT LA TENEUR ETAIT LA SUIVANTE : « LES INSCRITS DU DOUAR OULED-AOUF S'ÉTAIENT JOINTS À REFRACTAIRES DU BELEZMA NE SE SONT PAS PRESENTÉS […] LES TROUPES QUE J'AI DEMANDÉES POUR BELEZMA DEVRONT INTERVENIR ÉGALEMENT DANS LEUR REGION » (voir illustration)

© Abdelhak BENZAÏD, Paris et Aix-en-Provence, novembre 2020.

ترجمة للملحق رقم 13،

الخاص بانتفاضة 1916 في بلزمة، الجزء الاول، بعنوان: غضب المشاتي، تجنيد الاهالي ، الاستدعاء المسبق لصف 1917. الاستاذ عبد الحق بن زايد، باريس، اكس اون برفانس، فرنسا، نوفمبر 2020.

انتفاضة 1916 في بلزمة، الجزء الاول، غضب المشاتي من تجنيد ابنائهم، الاستدعاء المسبق لصف 1917:

تم تجميع الشباب المجندين لصف 1916 في كورناي يوم 11 اوت 1916 لتتم عملية نقلهم الى باتنة يوم الغد 12 بواسطة مفرزة متكونة من 10 افراد من السبايس و فرسان و شيوخ البلدية المختلطة ، حين وصولهم الى باتنة يقوم الحاكم المساعد الذي اوكلت اليه قيادة المجموعة بتسليم المجندين الى السلطة العسكرية.

بعد اقل من شهر من تاريخ مغادرتهم البلاد، صدر مرسوم 7 سبتمبر 1916 المتضمن الاستدعاء المسبق لصف 1917 ليليه مرسوم 14 سبتمبر المتعلق بالتوظيف عن طريق التسخير للعمال الموجهين لمصانع الدفاع الوطني .

على عكس قوائم الاحصاء التي ضبطت في آجالها و اوقفت بتاريخ 30 سبتمبر، فان الحاكم واجه مشاكلا جمة في توظيف حصة العمال الخاصة بالبلدية المختلطة لبلزمة و المحددة ب 206 .

قام الحاكم « كريبييه » بعدة جولات و زيارات اثناء العمليات الاولية لاحصاء المجندين ،اين حل يومي 6 و7 سبتمبر براس العيون و يوم 10 بالرحبات و لم يتم تسجيل اي حادث، لكن لوحظ غياب التأهب و قلة الاستجابة.

يوم 11 و بدوار تالخمت لم يحضر اي فرد من الاشخاص المحصيين امام اللجنة ،يوم 12 حضر فقط اثنان من قوائم المحصيين لدوار مركوندة و اولاد فاطمة و في دوار مروانة يوم 13 لم يحضر اي شاب من الشباب المحصيين.

لم تتمكن اللجنة من فحص جل الشباب المعني الا في دواوير زانة و بوغزال و اولاد امحمد بن فروج يومي 14 و 15 سبتمبر.

يجمع حاكم بلدية بلزمة المختلطة جماعات دوار تالخمت و مروانة و مركوندة و اولاد فاطمة في مرات عديدة موضحا لهم « الطريق السيء » الذي انتهجوه ، ليقرر بعدها و بهدف صد الانتشار الواسع و الوشيك للعصيان و بعد الاتفاق مع السلطات العليا ، وضع تحت الرقابة الخاصة اثني عشر فردا (ثلاثة من كل دوار) من بين العناصر الاكثر تشددا و يقوم بتوقيفهم بالسجن المدني لباتنة يوم 18 سبتمبر.

الجولة الثانية التي قادت الحاكم « كريبييه » الى دواوير البلدية : يوم 18 سبتمبر حل بدوار شيدي و يوم 19 بدوار لقصر، ليستقبل في دواري وادي الماء و اولاد مهنة يوم 20 و يوم 21 في دوار لمسيل.

معظم الشباب المسجلين تم تقديمهم فيما عدا تسجيل بعض المناوشات و الانشقاقات التي حدثت في دوار لمسيل، اما في دوار تالخمت حضر فقط حوالي نصف المسجلين يوم 22.

يوم 23 ، اجمالي المسجلين لدواري مركوندة و اولاد فاطمة حضروا، في حين قدّم دوار مروانة مسجليه يوم 25 .

يوم 26 يقوم رئيس دائرة باتنة « كاسينلي» بزيارة لدواوير تالخمت و مروانة و اولاد فاطمة و مركوندة اين تحصل على وعد بان الشباب الواردة اسماؤهم ضمن قوائم الاحصاء سيحضرون امام لجنة القرعة في اليوم المحدد.

لا نسلّم ابناءنا:

لا يعود النفور من اداء الخدمة العسكرية الى سنة 1916، و هي الفترة المتميزة بورود اخبار أليمة و محزنة جدا من مختلف جبهات القتال، فمرسوم 3 فيفري 1912 المؤسس للتجنيد الاجباري للجزائريين احدث منذ بداية سريانه غليانا شديدا في البلاد، ففي سنة تطبيقه الاولى امتنع عشر دواوير من مجموع 14 من تقديم حصتهم من المجندين في البلدية المختلطة لعين التوتة.

في 24 سبتمبر 1914 و بمناسبة العمليات المتعلقة باحصاء صف 1915 لدوار لقصر، تم رمي البرج الاداري لكورناي بالحجارة، لتقوم ادارة العدو بارسال حملة بقيادة المقدم « لوران» التابع للفوج السابع للمحاربين الجزائريين قوامها 859 جندي و 26 ضابط باتجاه المنطقة، اين مكثت بكورناي يوم 19 اكتوبر وببرج كنزرية يوم 20 على مقربة من منزل حارس الغابة الكائن بتيطاوين .

اجتمعت جماعتا حيدوسة و اولاد عوف بكنزرية و تناول بوعافية احمد بن احمد المدعو بن يحا شيخ سابق لدوار مروانة (4 افريل 1900- 17 افريل 1906) الكلمة مخاطبا النقيب « كابون » رئيس مكتب شؤون الاهالي لدائرة قسنطينة» : بامكانكم الزيادة في الضرائب، نقبل بان تؤخذ اموالنا ، لكن لا نسلم لكم ابناءنا .«

خلال سنة 1916 ، بدا الغضب الاكبر في مشاتي« نافلة » و «اضفي» و «تادخت » التي استقبلت عددا معتبرا من قبيلة حيدوسة الذين هُجّروا من اراضيهم الخصبة الواقعة بوادي مروانة قصد التمكين من توطين المعمرين القادمين في ربيع 1903 .

لقد اتخذ كل من حيدوسة وجيرانهم اولاد عوف موقفا موحدا بتبينهم لنفس القضية بفضل المقدمين: رحماني محمد بن السعيد (مشتى كنزرية) و بوحالة محمد بن امحمد (مشتى بني مخلوف) و معاش عمار بن علي (مشتى حيدوسة (هذا الاخير الذي افتى مصرحا » :ان رضيتم بتسليم ابناءكم، فانهم سيموتون كفارا و انتم ايضا، عليكم بالاستعداد و التحضير للجهاد».

لقد اعطت مشتى « اقرادو» اول الامثلة للعصيان، ففي عملية التجنيد السابقة، تمت معاقبة كل من حداد نزار بن محمد و قوجيل شاكر بن محمد بعقوبة شهر سجن بسبب الدعوة و التحريض على المقاومة، و هذه المرة فإن معزيز عمار بن بلقاسم هو الذي تزعم الثورة و قاد منتفضي المشتى للتظاهر بالسلاح في اعالي جبلي « بوغيول» و «تيقلت ».

اختارت مشتى حيدوسة "الرحوات" برمتها، و هي مقر اقامة المقدم و معلم القرآن معاش عمار بن علي، نهج العصيان، و ضمت عائلة لونيس اكبر عدد من القادة المحرضين، اذ شكل الاخوة احمد و ابراهيم و عمار و مسعود و امحمد و علي ابناء بلقاسم، النواة الرئيسية للمقاومة لينضم اليهم افراد عائلة بوعافية من بينهم بلقاسم ابن الشيخ السابق احمد يحا، و زوج اخته بن ناصر مسعود بن سليمان (صهر الشيخ السابق احمد.

قام اكثر من 25 من اعيان بني مخلوف باقناع مجموع الفرقتين بالانخراط في نهج و مسعى المقدم بوحالة محمد بن امحمد، و نذكر من بين هؤلاء الاعيان لعبيدي محمد بن احمد و بومزراق سليمان بن محمد و زروال احمد بن الحواس و زروال الطيب بن مسعود و ابنه محمد و الذين تولوا مهمة الوساطة مع منتفضي البلدية المختلطة لعين التوتة.

في مشتى نافلة اتفق كل من قوفي محمد بن خليفة و الذيب علي بن بلقاسم و اعراب بوبكر بن الصالح و بولعليات محمد بن بلقاسم و جفال جفال بن محمد، على ان لا يتقدم اي شاب امام لجنة التجنيد.

في بويعقاقن، يُدلي كل من درغال السعيد بن لخضر و فروجي احمد بن مسعود و اخوه الصالح بتصريحات عدائية ضد فرنسا، و يقسمون بمنع المجندين من التقدم امام اللجنة.

تميز مشتى اولموثن بانتفاضته، فبتحريض من المقدم بلعيد دريس بن عبد الله و اخيه الطاهر شيخ دوار مروانة و عمهما الصالح بن سي احمد بن سي عبد الله و ابن عمهما عبد الرحمان بن الصالح و بتحريض ايضا من عبيدري محمد بن امحمد و عبوبو الصالح بن احمد و حفصي لخضر بن الصالح و عباس عيسى بن محمد و بوعمرة الحاج براهيم بن احمد و عباس بلقاسم بن احمد و ملاح مصطفى بن احمد و علواش السعيد بن محمد، يتصدّر حيدوسة وادي مروانة الصفوف الاولى للثورة. و في

زاوية عائلة بلعيد اين قرر هؤلاء الانتقال الى العمل المسلح لاجتناب ابناء بلزمة المصير الذي ينتظرهم في ساحات معارك الحرب الكونية الكبرى.

في مشتى تارشيوين الذي سبق و ان اعلن منذ مدة بكونه مهد غليان شعبي، يقوم الشيخ بوراضي محمد بن علي الذي يعتبر من منتفضي مستاوة لسنة 1871، و المقدم العباسي الصديق بن بشير وصاحب النفوذ بلعيد محمد بن بورحلة والمدعمين من اربعين فردا من وجهاء المشتى (عائلة طراش، العباسي، فروج ، اشتاري، مخلوفي، فريك، مزغيش، امزاز،،،) باقناع الاولياء بكل سهولة من اجل عدم تقديم ابنائهم امام لجنة التجنيد.

مشاتي دوار مركوندة (بواري، تاكسلانت، مركوندة) يعلنون جهارا معارضتهم للتجنيد الاجباري ويبدون كامل الطاعة لشيخهم بوراضي واعيانهم الذين نذكر منهم، سمصار الصالح بن حمودة وبيطام محمد بن احمد و واش احمد بن محمد و مقعاش لخضر و قيتشاح الطيب بن مبارك ومعطار مبارك بن محمد ومنزر بعزيز وشاغي عمار بن نجاعي وبن باطة احمد بن علي ومنصوري احمد وعماري مسعود بن الطيب، ويقوم سكان الدوار بحمل السلاح ، ويسجل التاريخ انه في تاكسلانت وعند عائلة نواصرية يجتمع كل من المقدمين: نواصرية الصديق بن محمد الشريف والعباسي الصديق بن يحي ومعطار احمد بن بلقاسم وقطافي الطاهر بن احمد وضيفي علاوة بن احمد من اجل التشاور والتحاور حول السلوك الواجب اتباعه، ليليه تنظيم اجتماع ثان في مركوندة عند معطار احمد.

في وادي الماء، اربعة مشاتي من المشاتي الست المشكلة للدوار: القرزي، مستاوة، بزدام، تاجنانت، و هي موطن الحليمية و اولاد فاطمة تاجنانت و التي سبق و ان انتفضت بين سنوات 1858 و 1864 (ثورة القرقور و البراكتة) ثم سنة 1871، ارعبت معمري بارنال في نوفمبر 1914، و اقسمت على ابادتهم من المنطقة والادارة الاستعمارية رات ذلك من تبعات الدعاية الالمانية.

كل سكان هذه المشاتي بما فيهم الكبار كانوا ضمن المنتفضين، اغلبية سكان ذراع قلالوش و الأهل في معظمه من قبل الحليمية الذين تم ترحيلهم اثر انشاء المركز الاروبي ل « برنال » يتقاسمون نفس الموقف مع اخوانهم في المشاتي الاربعة المنتفضة، (انظر القوائم).

في سهل بلزمة تم رصد بعض المحرضين في دوار شيدي، منهم من ساهم مباشرة في الانتفاضة: طويل عمر بن عبد الله، حشيشي بلقاسم بن علي، عيادي زروق بن علي، كربوب محمد بن بزوح و عزاز الحاج بركات و تحت زعامة بالطيب بوشنافة بن مسعود.

«الخوني» بوشنافة الممتطي لحصانه الجميل المحمل بالاسلحة، استطاع ان يستنفر خلفه كل المترددين عند وصول لجنة التجنيد الاجباري، و يتولى مهام الوعظ و تنظيم المقاومة و يرد على احد فرسان المكتب الذي قدم اليه مبعوثا من عند الحاكم بشان تجنيد ابنه الصالح المدعو الدراجي ب :« تستطيع ان تقول لمن ارسلك، انني سأرد على طلق ناري واحد منه بخمسين».

كما ابدى اولاد مهنة معارضتهم لعملية التجنيد الاجباري و انخرطوا في الانتفاضة، عائلة مراح (الطاهر بن مبارك، اخوه حمو، عامر بن احمد، مسعود بن محمد، عمر بن السعيد) و عائلة بن حصير (لدراجي بن الطاهر، الجودي بن علي)، بن ناصر عبد الله بن الهامل، بوزيان عيسى بن الجموعي، مقران لكحل بن بوزيد، بن عبد العزيز السعيد بن الصالح، منعوا اكثر من عشرين شاب من الدوار من الحضور امام لجنة التجنيد، بن عبد العزيز السعيد كان اهم من اثار الانتباه عند رفضه تقديم ابنه النوي مخاطبا شيخ الدوار:« احضر 20000 من العساكر،،، لا نسلم لك ابناءنا» .

في دوار الرحبات، خليفة الحاج لخضر و ابنه محفوظ و عجوج مرزوق بن محمد يدفعون السكان للالتحاق بهم في الانتفاضة و يقومون بزيارات عديدة لاولاد سلطان من اجل تنسيق الثورة.

عند اولاد سلام دوار لمسيل، ابدى دريدي سعو بن باجي تميزه خلال الانتفاضة محتفظا بابنه و مهددا في كل مرة اعوان السلطة الاستعمارية عند حضورهم لديه، ليلتحق به الاخوة بجة مسعود و مخلوف و احمد ابناء محمد و الاخوة علام العربي و نكاع و ابراهيم و الطيب ابناء مخلوف، و قد نجحت جهودهم الى حد بعيد، اذ ان ثلث المسجلين من شباب مشتاهم سجلوا غيابهم.

ابدت مشاتي تاسة و كاف لحمر و لشراف و تانوت رفضهم و عداءهم لعملية التجنيد، 13 فردا حاملين لواء الانتفاضة كناطقين رسميين لها، نذكر من بينهم سلطان سعو بن احمد و مساعدي حمنة بن خليفة و بوشراكي حناشي بن مداني و دريدي قاسة بن امحمد.

في دوار تالخمت، نذُكر 13 ثائر على الاقل من اشدهم: اوشن حمنة بن حمو و النوي عمار بن علي و بن بلخير احمد بن عمار و صحراوي حمنة بن محمد و خصوصا بن كعبوش الزيادي بن قيدوم، و استطاع هؤلاء اقناع 25 من شباب الدوار بعدم الحضور امام اللجنة يوم 07 نوفمبر 1916.

كورناي يوم 07 نوفمبر 1916:

من بين ال 571 شابا المقيدة اسمائهم في قوائم الاحصاء لصف 1917 و المستدعين للمثول امام اللجنة التي اجتمعت بمقر العيادة المحلية « الاهالي » لكورناي يوم الثلاثاء 07 نوفمبر 1916، 204 شاب تغيبوا و سُجلوا تلقائيا و في هذا اليوم بالذات مئات الثائرين يتظاهرون بسلاحهم و يحتلون المرتفعات المحيطة بكورناي و كلهم استعدادا للانقضاض على هذا المركز الاستيطاني.

يوم 11 نوفمبر 1916 و قبل ساعات من شن الهجوم على البرج الاداري لماك - ماهون، رئيس دائرة باتنة « كاسينلي » يرسل برقية مشفرة الى الوالي هذا مضمونها: « المسجلون لدوار اولاد عوف ينضمون الى المقاومين الرافضين لبلزمة و يمتنعون عن الحضور(...) و القوات المطلوبة للقدوم الى بلزمة يجب ان تتدخل ايضا على مستوى مناطق تواجدهم » (انظر صورة البرقية المرفقة).

هوامش البحث:

(1) أنظر الملحق رقم 01 للممثل المالي ومستشار عام باتنة. من توقيع مريوس آدار(Marius ader)، يقع في 16 صفحة.

* أطلق عليها هذا الاسم سنة 1881، نسبة إلى الكونت ماك ماهون ماري بارن موريس ماريشال، بعد أن كانت تسمى سنة 1872، هوربورغ Horbourg.

(2) أنظر الملحق رقم:01.

(3) شارل روبير أجرون، الاضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني نوفمبر 1916ـــــ يناير 1917، مجلة الأصالة، الجزائر، السنة الرابعة، أكتوبر ـــ نوفمبر 1978، ص 34.

(4) عبد الله الشافعي، ثورة الاوراس 1916، مذكرة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ الجزائر الحديث، الجزء الأول، جامعة الجزائر، 1986، ص 91.

(5)Boussad Abdiche. Page Glorieuses. Societé Nationale d Edition et de Diffusion. Alger.1982. P 53-54.

(6) أنظر الملحق رقم 02، تقرير حاكم البلدية المختلطة عين التوتة. مؤرخ في 28 مارس 1917. حول الدور الذي لعبه العديد من الدواوير في البلدية بشأن احداث نوفمبر 1916 والإجراءات المطبقة، يقع في 22 صفحة.

(7) شارل روبير أجرون، نفس المرجع السابق، 17.

(8) عبد الله الشافعي، نفس المرجع السابق، ص 45.

(9) نفس المرجع، ص 224.

(10) شارل روبير أجرون، نفس المرجع السابق، 14.

(11) انظر الملحق رقم: 01.

(12)Boussad Abdiche. Op cit. p 54.

(13) أنظر الملحق رقم:03، تقرير زروني بلقاسم بن علي، خوجة البلدية المختلطة عين التوتة.

(14) شارل روبير أجرون، نفس المرجع السابق، 16.

(15) أنظر الملحق رقم: 04، تقرير حاكم عين التوتة مؤرخ في 5 افريل 1917. بشأن بن علي محمد بن النوي. يقع في 4 صفحات.

(16) انظر الملحق رقم 01، سبق ذكره.

(17)) Boussad Abdiche. Op cit. p 56.

(18) الملحق رقم: 05، تقرير طبيب برج الحاكم، السيد بيسكيرا (Bisquerra).

(19) انظر الملحق الرقم: 02. سبق ذكره

(20) نفس الملحق.

(21) نفس الملحق.

(22) نفس الملحق.

(23) نفس الملحق.

(24) نفس الملحق.

(25) أنظر الملحق رقم: 06. ملف قادري عمار بن بلقاسم، رقم القضية وقصاصة الجريدة التي غطت عملية اغتياله في باتنة في ماي 1921.

(26) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1916 ـ 1939، ج1، ترجمة، أمحمد بن البار، دار الأمة، 2011، ص89.

(27) جمعية اول نوفمبر، ثورة الاوراس 1916، باتنة، 1996، ص 155.

(28) Boussad Abdiche. Op cit. p 55.

(29) أنظر الملحق رقم: 08. تقرير أصدره حاكم عين التوتة بشأن القتلى والجرحى ابان احداث عين التوتة. مؤرخ في 15 جانفي 1917.

(30)) شارل روبير أجرون، نفس المرجع السابق، 12.

أنظر الملحق رقم: 10 يمثل الذين قتلوا في ساحات الحرب العلمية الأولى أو بعدها متأثرين بجروحهم، توفي 175 شاباً من بلزمة في ساحة المعركة.

(31) انظر الملحق رقم: 09، الخاص بقائمة المتهمين من الأهالي الذين شاركوا في مختلف القضايا المعروفة باسم (الاضطرابات التمردية) في البلدية المختلطة ـــ عين التوتة، بشأن احداث 11 ـــ 12 1916. التقرير أعده حاكم عين التوتة.

(32) Boussad Abdiche. Op cit. p 55.

(33) ibid.60.

(35) أنظر الملحق رقم 10، يمثل الذين قتلوا في ساحة الحرب العالمية الأولى أو بعدها متأثرين بجروحهم. توفي 175 شابا من بلزمة في ساحة المعركة.

(34) انظر الملحق رقم: 11. جدول من تصميم الأستاذ الباحث عبد الحق بن زايد، حول قرارات لجنة التأديب والقوافل في منطقة الأوراس.

(36) أنظر الملحق رقم:07. انتفاضة 1916، قوافل الموت ناحية مروانة.

(37) أنظر الملحق رقم: 12. تقرير مفتش الصحة الى مستشفى باتنة، والرد عليه من قبل رئيس دائرة باتنة في 30 أفريل 1917.

(38) أنظر الملحق رقم: 03، سبق ذكره.

(39) شارل روبير أجرون، نفس المرجع السابق، 26.

(40) أنظر الملحق رقم:04. سبق ذكره.

(41) أنظر الملحق رقم 13، الخاص بانتفاضة 1916 في بلزمة، الجزء الاول، بعنوان: غضب المشاتي، تجنيد الاهالي، الاستدعاء المسبق لصف 1917.

دور الزوايا والكتاتيب القرآنية في ثورة 1916 بالأوراس

أ.د السعيد رحماني- جامعة الجزائر1

مقدمة

كانت الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر تشكل أحد المكونات الأساسية للشخصية الجزائرية، وأحد مكونات المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفي العالم الإسلامي خلال فترة الحكم العثماني الذي اعتمد المذهب الحنفي فقها والمذهب الماتريدي عقيدة.

لقد انتشرت الطرق الصوفية في البلاد الإسلامية أثناء الخلافة العثمانية، لأن المذهب الفقهي الحنفي والمذهب العقدي الماتريدي السائدين لا يعاديان التصوف، ولا يحاربان الطرق الصوفية، كما أن طبيعة الشعوب الإسلامية غير العربية كانت تميل إلى التصوف بحكم طبيعة الثقافة الشرقية، والديانات الشرقية ذات النزعة الروحانية الإشراقية. لذلك انتشر التصوف وكثرت الزوايا والطرق الصوفية السنية؛ التي حملت لواء الدعوة والتعليم الديني، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، في ربوع البلاد الإسلامية من طنجة على جاكرتا.

ولما كانت الجزائر جزءا من ربوع هذه البلاد الشاسعة، وكانت العلاقة بينها وبين الخلافة العثمانية علاقة مودة وتعاون لم تختلف في بنائها العقدي والديني عن باقي البلاد الإسلامية، فكان الغالب هو انتشار الزوايا والطرق الصوفية كامتداد للمعطى السالف الذكر، وأيضا بسبب العامل الآخر هو طبيعة المجتمع الجزائري الذي كان يحترم المشايخ، ويتمركز حول الزوايا ورجال الدين والمدارس القرآنية دينيا واجتماعيا.

فساهم هذا الواقع في تمتين علاقة الزوايا بالمجتمع، حيث إنها تقوم بتعليم الناس القرآن والحديث وعلوم الشريعة، وتقود المجتمع روحيا واجتماعيا، وتحافظ على الهوية الثقافية للأمة، ولذلك ظهرت مقاومة الغزو الفرنسي لدى الزوايا ورجال الدين منذ الوهلة الأولى لوجوده على الأرض.كما تشهد بذلك المصادر الفرنسية والكتب التاريخية، وعليه يمكننا أن نتساءل: ما مدى إسهام الزوايا والطرق الصوفية في ثورة 1916م بالأوراس؟ وكيف نظر المؤرخون والباحثون إلى دورها في تلك الأحداث؟

أولاً: الزوايا وبث روح المقاومة المستمرة ضد المحتل الغازي

كانت الزوايا من المؤسسات التي ظلت طوال قرن من الزمن تقود المقاومة الثقافية للمجتمع الجزائري ضد الكيان الأجنبي، بفضل القائمين عليها من العلماء والفقهاء؛ الذين جاهدوا من أجل الحفاظ على شخصية الأمة وتماسكها ووحدتها، كان ذلك بصفة خاصة عن طريق التدريس الذي تميز بأصالة المحتوى والدين والعلم والاجتماع. فقد كان شيوخ الزوايا يجسدون ضمير المجتمع مما جعل هذا المجتمع يقدرهم حق قدرهم ويبذل بسخاء من أجل إنجاح مساعيهم، والنهوض برسالتهم الدينية والوطنية المتمثلة في الحفاظ على العقيدة ولغة العقيدة التي وحدت القلوب واللسان، ووحدت السلوك الفردي الجماعي للمجتمع".[1]

إن الوظيفة الدينية والتعليمية التقليدية للزوايا هي التي مكنتها إذن من النهوض برسالة جليلة ومهمة وهي تحصين الأجيال دينيا وثقافيا، وتغذية روح المقاومة، والرفض والتمرد على ما كل ما يخطط له العدو لتحويله عن شخصيته.

وهذا الدور الهام للبعض الزوايا قد تفطنت له السلطات الاستعمارية فحاولت أن تضيق عليها، وتحد من تأثيرها وتعزلها عن المجتمع، ولكنها لم تفلح، وظلت تلك الزوايا تضطلع بهذه المهمة تحت ستار ذلك التعليم التقليدي، وقد ساعد على ذلك كونها المؤسسة الوحيدة المتميزة بذلك الجانب الروحي المتمثل في ارتباط المواطنين كمريدين وكاتباع لشيوخ هذه الزوايا ومقدمي الطريق الصوفية المرتبطة بها. هذه الرابطة ليست انتماء إيديولوجيا أو فكريا أو سياسيا بالتعبير الحديث، فيكون هذا الانتماء قابلا للتحول أو للزوال .

كما أن هذا الجانب الروحي للمريد لا يرتبط بالمستوى العلمي والثقافي، أو المستوى المادي الاجتماعي، إنه علاقة وجدانية أساسها الإيمان بالله ورسوله وابتاع سنته صلى الله اليه وسلم، ثم تجسيد ثمرة هذا الإيمان في السلوك الفردي اليومي لقد استطاعت الزوايا بفضل منهجها التعليمي والتربوي والروحي المنظبط والصارم أن يثمر الأخلاق االفاضلة والروح الإيمانية العالية التي تجعل صاحبها يقبل على فعل الخير والإحسان إلى

الخلق، ينشد في كل ما يعمله رضا الله سبحانه، ويستعد دئما للتضحية من أجل نصرة الدين وعزة الأمة وشرف البلاد.[2]

لقد أتت المقاومة الثقافية للزوايا أُكُلها فحفظت لهذه الأمة دينها ولغتها وتاريخها ومكانتها من الصمود، بل ومن التحدي، ففشلت معها جميع المخططات المحكمة التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لطمس شخصية الجزائريين.[3] وهذا ما أوجد أرضية دائمة للمقاومة والرفض وهو ما تعكسه كل تلك الثورات التي عرفتها كل مناطق الجزائري ومنها الأوراس التي عرفت ثورات ومقاومات عديدة ومنها ثورة الأوراس 1916م .

ثانيا: انتفاضة الأوراس محطة في مسيرة المقاومة

تعد انتفاضة الأوراس1916م محطة في مسار الثورات والمقاومات الشعبية في الجزائر منذ دخول المحتل الفرنسي إلى أرض الجزائر، وقد جاءت في فترة متميزة ومعقدة، لذلك يعد تحديد طبيعة هذه الحركة، ومكانتها في تاريخ الثورات، بالأمر الصعب، كما يعد معرفة العوامل الأكثر حسما في اندلاعها بالغ التعقيد والصعوبة.

شهد الأوراس ثورة قبل هذه الفترة بزمن بعيد، وكانت في سياق سلسلة ثورات متتالية عبر كامل أرجاء القطر الجزائري، وفي هذه المرحلة كانت روح الثورة والمقاومة المسلحة هي السائدة، ومن ثم يكون من السهولة بمكان فهم واستيعاب معطيات أي حركة مقاومة، والوقوف على أسبابها الحقيقية والفاعلة.

أما الفترة التي ظهرت فيها انتفاضة الأوراس سنة 1916م فهي مرحلة كانت فيها روح الثورة ضعيفة، ومظاهر المقاومة المسلحة شبه منعدمة، والغالب هو التوجه نحو العمل السياسي والمقاومة الثقافية - التي كانت الزوايا تحمل لواءها، والرفض المطلق لكل ما يأتي من المستعمر ، كان المؤشر الذي كان يؤكد مدى فعالية هذه المقاومة الثقافية بقيادة شيوخ الزوايا، وهذا الرفض جسده المجتمع الجزائري في مواقف تاريخية مشهودة، من ذلك الرسالة التي رفعها الجزائريون على المسئوليين الفرنسيين، حين حاولت السلطات الفرنسية تنفيذ مخططات التنصير بالقوة:"إننا لن نتخلى أبدا عن ديننا، وإذا كانت الحكومة تريد إرغامنا على ذلك، فنحن نطلب منها

الوسيلة لمغادرة البلاد، وإذا لم نجد هذه الوسيلة فنحن نفضل الموت على اعتناق ديانتهم ".[4]

لذلك نجد أن هذه الانتفاضة الأوراسية التي ظهرت في هذا الوقت صعبة الفهم والتحليل. وقد ظهر هذا المنحى في تحليل الكتابات والمصادر التي تناولت أسباب هذه الانتفاضة، والعوامل التي تقف وراءها.

ثالثا: مصادرنا في معرفة الانتفاضة

هناك عدد من الدراسات التي نستقي منها المعلومة حول انتفاضة الأوراس، وهي :

- المصادر الفرنسية الرسمية: تقارير حكومية.
- المصادر الفرنسية غير الرسمية كتابات روبر أجرون وغيره.
- المصادر الجزائرية: كتابات يحى بوعزيز، وعبد الحميد زوزو، وأبو القاسم سعد الله وغيرهم.

رابعا: الوجود الصوفي وزواياه قبل الاحتلال الفرنسي

قبل دخول الاحتلال الفرنسي إلى الجزائر كان الوجود العثماني في الجزائر قد بلغ مرحلة من الضعف، ولم يعد فيها بمقدور الجزائر مقاومة العدوان الخارجي الفرنسي الصليبي، الذي كان كثير التربص بالجزائر، والمحاولات للاستيلاء عليها بحكم موقعها الجغرافي وكنوزها الطبيعية وثرواتها الغنية، فكيف كان حال لزوايا والحكة الصوفية قبيل الاحتلال؟

لقد شجع العثمانيون التصوف والزوايا والطرق الصوفية ، في كل أرجاء السلطنة، وفي إقليم الخلافة العثمانية الواسع الأرجاء شرقا وغربا، فانتشر التصوف ومراكزه وكثرت الطرق والمشايخ، وأصبح ذلك الطابع هو المميز في كثير من الحواضر، ومما شجع على ذلك المذهب الحنفي، والعقيدة الماتريدية؛ التي لم تكن تنازع الحركة الصوفية أو تعاديها؛ كما أن التوجه الصوفي الروحي والمسلك الزهدي كان يخدم السلطنة ويحافظ على تواجدها في الأقاليم المترامية الأطراف. ولذلك نستطيع القول : إن أهم ما ميز العهد العثماني في الجزائر هو انتشار ظاهرة التصوف، وسيطرتها على توجيه مسار الحياة السياسية والاجتماعية والروحية، بوجه لم يسبق لهذه البلاد أن عرفت مثيلاً له، رغم أنه كان منتشراً قبل وبعد هذه

الفترة التي ندرسها. ومما يوحي بذلك ؛ أن تتميز بداية هذه الفترة بنهاية حياة متصوف جزائري شهير، هو عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ، وتنتهي - بعد مرور زهاء ثلاثة قرون- ببداية حياة مجاهد ومتصوف جزائري آخر شهير أيضاً؛ هو الأمير عبد القادر الجزائري (ت 1300هـ، الذي قضى من عمره أربعاً وعشرين سنة في هذا العهد العثماني، وبقية العمر في عهد الاحتلال الفرنسي. وكأن اليد التي صافحت العثمانيين، ومهدت لدخولهم إلى الجزائر، هي نفسها اليد التي ودعتهم عند خروجهم منها، وهي اليد الصوفية.

لكن في المرحلة المتأخرة من الحكم التركي بدأ الضعف يدب في جسد الخلافة العثمانية، بعد أن توجه الحكم التركي المتأخر نحو القهر والاستبداد بالشعوب غير التركية ومنها الشعب الجزائري فبدأت الصوفية والمشايخ يضيقون ذرعا بالحكم التركي ويعبرون عن امتعاضهم منه كما بدؤا يظهرون روح المقاومة والتمرد عليه كما حدث في الجزائر، بسبب تلك السياسة الجديدة للحكم التركي الذي اتسم بالظلم والبطش وتغليب العنصر التركي على العنصر المحلي. فمثل موقف المشايخ وبعض طرق الزوايا من الحكم التركي عنصرا مهما في ترسيخ نفوذهم واستحواذهم على ثقة المواطن الجزائري الذي يميل دائما إلى روح المقاومة، والتمرد على العنصر الخارجي.

خامسا: استمرار الوجود الصوفي واثره في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي

استمر تأثير الطرق الصوفية والزوايا على عامة الناس، وفي كل المناطق بالجزائر بعد احتلال الفرنسيين للجزائر، وذلك لتمكن هذه الطرق والزوايا من الحفاظ على نشاطها واستمرارها رغم شراسة العنف الفرنسي ومحاولة القضاء على كل اشكال المقاومة، وذلك بسبب طبيعة الزوايا ونظامها-الذي يتميز بالسرية التامة التي كانت تحيط بها فلا يعلم الأجنبي عنها وما يدور بداخلها من نشاط شيوخها وطلابها ومريدها، فلم يستطع الاستعمار رغم ما يمتلكه من وسائل أن يخرق ذلك الحجاب الكثيف من السرية، رغم أن ذلك النشاط الخفي للزوايا كان هو الشغل الشاغل

للمسؤولين وللضباط المكلفين بمراقبتها، والذين حوت تقاريرهم المفصلة تحذيرات للإدارة الاستعمارية من مخاطر ها

يقول المؤرخ الفرنسي "مارسيل لينين": "بالرغم من أن لهذه الطرق الصوفية صبغة دينية متصوفة، فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أحزابا سياسية، بالإضافة إلى أن نظامها الغامض التصاعدي قد جعلها جمعية سرية من الدرجة الأولى، فقد نظمت حملات دعائية سرية محكمة ضد الفرنسيين بواسطة اتصالات خفية".[5] وباختصار فإن معظم الثورات التي قامت خلال القرن 19 بالجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحي من هذه الطرق الصوفية كما يذكر المفتش العام للبلديات في الجزائر أوكتاف دو بون"،[6] وهذا الطابع هو الذي ساعدها على الاستمرار والنهوض بمهامها.

وفضلاً عما كانت تقوم به الزاوية من وظائف متعددة فإنها كانت كذلك مخازن للكتب، ومن أشهرها مكتبة زاوية الفيجيجي التي وصفها ابن عبد السلام الناصري، وأشار إلى اعتناء آل الفيجيجي بها، ومباهاة غيرهم بما فيها من نفائس الكتب، وكانت زاوية سيدي الهواري بوهران التي آلت إلى تلميذه إبراهيم التازي، تحتوي على مكتبة ضخمة. ومما لاشك فيه أن الاستعمار الإسباني قد انتهبها، وأكمل انتهابها الاستعمار الفرنسي بعده.

وقد ذكر الكفيف في رسالته إلى الثعالبي عنايته بمكتبته وتدبير أمر تهريبها خارج المنطقة الحضرية خوفاً عليها من الانتهاب لأن شواطئ بجاية كانت بدورها عرضة لهجمات الإسبان آنئذ، وكانت لعائلة الفكون مكتبة ضخمة وغنية بنفائس المخطوطات وكان اعتماد الفكون (الحفيد) في ثقافته الدينية والصوفية والأدبية عليها كبيراً وكانت مكتبة الفكون من ضمن المكتبات التي مسها الإحصاء أثناء الحملة الفرنسية على الجزائر.

كما كانت مكتبة عبد الرحمن باش تارزي من أشهر المكتبات بقسنطينة إذ ذكر تقرير الإحصاء الفرنسي بها ما يزيد عن خمسمائة مخطوط جلّها في الفقه والدين، وحسب هذا التقرير، فلا تكاد تخلو زاوية أو مسجد من مكتبة.

ولقد ساعدت هذه المكتبات على نشر الثقافة الدينية في أوساط المريدين المترددين على مشائخها، ويذكر أحد التقارير أن المستوى الثقافي للجزائريين في نهاية العهد العثماني كان أفضل بكثير من مستوى الجنود الفرنسيين الذين كانوا في الجزائر أثناء حملتهم على العثمانيين بها، إذ شهد شاهد من قواد الجيش الاستعماري يومئذ أن الأمية بين جنوده بلغت (45%)، وبالمقابل كان عدد القادرين على القراءة أعلى بكثير عند الجزائريين.

إن الحركة الصوفية بالجزائر كانت قد انتشرت بكامل القطر قبل مجيء العثمانيين، وكانت وراء تكوين الحس الروحي" المشوب بالتصوف، والذي استطاع جمع شتات القبائل والإمارات تحت مظلته، وبه كانوا يشعرون أن مصيرهم واحد إزاء الغزو الصليبي لهم، فرغم تفرقهم وتناحرهم أحياناً، من أجل توسيع نفوذهم واكتسابهم لمزيد من الإقطاعات، إلا أنهم سرعان ما توحدهم كلمة "الجهاد" في سبيل الذود عن حرمة الإسلام وحماه، وأن الصوفية في الغالب هم الذين كانوا يغذون تلك الوطنية الدينية"، أو ما يمكن أن نطلق عليه "سلطة الصوفية"، وكانت هذه النزعة هي التي مكنت تلك الطرق الصوفية من المساهمة في مقاومة الغزاة المعتدين، فإلى أي مدى ساهمت تلك الزوايا في الثورات المقاومة التي عرفتها الجزائر؟

سادسا: الثورات السابقة بالأوراس ومشاركة الزاوية الرحمانية

الزاوية الرحمانية بالجزائر هي امتداد، وفرع من فروع الطريقة الرحمانية الخلوتي التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان القطجولي الزواوي الأزهري، حين رحل من وطنه إلى مصر قاصدا تحصيل علم الشريعة والحقيقة، تتلمذ على يد الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، ولما عاد من مصر استقر في قطجولة من أرض زواوة، ونشر طريقته في شرق ووسط البلاد وبلغ عدد أتباعها في القرن التاسع عشر للميلاد زهاء مائة وخمسون ألفا.[7] وأصبح لهذه الطريقة وجود قوي في المجتمع الجزائري كما تمكنت الطريقة الرحمانية من تأطير الآلاف من المريدين والأتباع في شرق ووسط البلاد، ولما دخل الغزاة الفرنسيون الجزائر وقامت ثورات شعبية وانتفاضات رافضة للوجود الفرنسي في

الجزائر كان تأثير الطريقة الرحمانية حاضرا وبارزا من خلال مشاركة أتباع هذه الطريقة فيها إن بالتواجد الفعلي والفردي وإن بالتواجد غير المباشر بالدعم المادي والمعنوي لتلك الثورات والتنويه بالمشاركة فيها.

لقد كان شيوخ الزوايا يباركون كل ثورة أو انتفاضة ضد الغزاة الفرنسيين ويعدون من يشارك فيها بالمجاهد ومن يموت خلالها بالشهيد، كما يعدون تلك المقاومة جهادا ضد الكفار والنصارى الذي هجموا على أرض الإسلام. وفي هذا الصدد كتب المؤرخ يحيى بوعزيز رحمه الله تعالى عن مشاركة أتباع هذه الطريقة في إحدى الثورات:" ولكن أتباع الشيخ الحداد لم يقفوا مكتوفي الأيدي، فعلى إثر إعلان الجهاد في أفريل 1871م توجه جماعة من مقدمي زاوية صدوق إلى بلزمة وعلى رأسهم أحمد بن عبد الله، ويخلف بن مرة حاملين معهم أمر إعلان الجهاد؛ فانظم إلى الحركة جماعة من الإخوة الرحمانيين بالمنطقة من جماعة بن رحمون وسليمان بن دروعي" ويقول :"وعلى كل حال فإن حركة المقراني ما كانت لتقم وتنتشر إلى كل هذه الجهات وتضم إليها عشرات الآلف من الناس، لولا قيام الإخوان الرحمانيين إلى جانبهم، وارتماؤهم في خضم المعركة بصورة تكاد تكون جماعية".[8]

وتشير معظم الدراسات التي اهتمت بهذا الجانب إلى التأثير الكبير للعامل الديني والروحي في حركة المقاومة، من خلال الدور الأساسي الذي لعبته المرجعية الدينية الصوفية ممثلة في الزاوية الرحمانية بالخصوص في قيادة المقاومة المسلحة ضد المحتل الفرنسي، حيث استشهد أكثر من سبعة عشر الف طالب على أسوار معركة اسطاوالي بالجزائر كلهم من اتباع الطريقة الرحمانية من منطقة القبائل.

ويشير شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله رحمه الله تعالى أيضا إلى دور الزوايا الرحمانية وأيضا زاوية دردور السنوسية في إذكاء روح المقاومة ومقاومة الغزاة وحماية الوطن كما وقع في ثورة الأوراس، والصبغة الدينية التي تمثلها، فيقول:" وعندما نقول ثورات فإننا نعني ما نقول: فهي وإن كانت ثورة واحدة متصلة الحلقات، إلا أنها من حيث المكان والقيادة كانت متعددة، فهناك جهات البابور والحضنة والأوراس، وكلها

كانت بقيادة مرابطين وأشراف أبو أن يهان الدين وأن تخضع راية الجهاد" .[9] ويؤكد الأستاذ علي عزوي رحمه الله تعالى الدور الديني في هذه الثورات وحركات المقاومة؛ فيقول:" وتؤكد المراجع التي اهتمت بالموضوع دور مشايخ الطريقة الرحمانية في هذه الثورة ويقصد ثورة الأوراس 1916م، ويستطرد قولا:" وهذا ما يجعلنا نربط هذه الظاهرة بما هو معروف أيضا بالنسبة لباقي الثورات الشعبية التي قادها أو دعا إليها رجال متدينيون في الأوراس أمثال بوزيان قائد ثورة الزعاطشة 1848م وثورة الصادق بلحاج بزاوية تيبرماسين 1858م، وثورة محمد بن عبد الرحمان جار الله، وثورة عرش التوابة وغيرها .."."[10]

سابعا: مكانة الزوايا ودورها الديني اهلها لتساهم في كل الثورات

تتبوأ الزوايا في تارخ الجزائر مكانة مرموقة في المجتمع، فقد كان لها دور أساسي في حياة الناس وكانت تؤدي أدرارا عديدة وأساسية في حياة الناس خلال الوجود التركي وأثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر.

لقد كانت الزوايا هي صاحبة الكلمة الفصل في قضايا المجتمع، لأنها كانت تلبي كل جوانب الحياة الإجتماعية؛ إذ كان لها الدور الديني الروحي والدور التربوي التعليمي، والدور الاجتماعي والاقتصادي، ولذلك كان دورها في الانتفاضات والثورات الشعبية حاضرا دائما كما تشير إلى ذلك مختلف المصادر التي درست هذا الجانب، أي جانب العامل الديني إبان المقاومات الشعبية للغزو الأجنبي للجزائر؛ إذ أن العامل الديني كان دائم الحضور.

وإذا كانت الزوايا بشهادة المؤرخين والتقارير الفرنسية تساهم في الدفع نحو المقاومة والجهاد ، فإن ذلك يعود إلى بثها للروح الدينية والوعي القومي لدى أتباعها، فقد كانت تنظر إلى الوجود الفرنسي على أنه غزو نصراني، ووجوده هو وجود ديني مسيحي، لا يمكن قبوله، والتعايش معه.

ولذلك لما اندلعت انتفاضة الأوراس 1916م اعتبرها مشايخ الطريقة الرحمانية جهاد ضد الكفار والنصارى وحثوا على الانضمام إليها، كما شاركوا فيها بطريقة مباشرة، وقد ظهر ذلك جليا من خلال قيام سلطات

الاحتلال الفرنسي باعتقال الكثير منهم ومحاكمتهم وفرض الإقامة الجبرية عليهم بل ونفيهم لمدد طويلة.

ثامنا: مشاركة شيوخ الطريقة الرحمانية في ثورة الأوراس

لقد كان حضور الزاوية الرحمانية في ثورة 1916بارزا، كما هو الشأن فيما سبق من الثورات، ولذلك عندما نرجع إلى المدونات التي أرخت لانتفاضة الأوراس الأخيرة، نجد المشاركين على النحو الآتي: ونخص بالذكر هنا منطقة عين التوتة، مع الإشارة إلى أن كل مناطق الأوراس قد شاركت في هذه الانتفاضة.

- محمد بن النوي: ممثلا لمنطقة عين التوتة وهي متليلي تيلاطو القنطرة ولوطاية، ويمكن اعتبار الهجوم الذي نفذه على مقر الحاكم يوم 12 نوفمبر 1912م أحد أهم المشاركات في الانتفاضة لما تمثله منطقة عين التوتة من ثقل لدى السلطات الاستعمارية.
- الشيخ محمد بلوذيني: مقدم الطريقة الرحمانية بسقانة، وهو حسب بعض المصادر المسؤول عن الكمين الذي وقع لتخليص عدد من المجندين قرب سقانة.
- عمر أو موسى: الذي ثار على منطقة جبل مستاوة وشلعلع ومروانة ووادي الماء، وقد يجهر بمقولة الجهاد ويدعو إلى طرد الفرنسيين م البلاد.
- المسعود بن زلماط: وهو الثائر الشجاع الذي نادى بمحاربة فرنسا علنا في منطقة أريس، كان يحرض على التمرد ورفض التجنيد.
- أحمد بوهنتالة: أحد شيوخ أولاد سلطان يمثل أولاد عوف في وقته ويشاركه في هذا التوجه المعادي للوجود الفرنسي.
- الشيخ محمد بن السعيد رحماني: الذي تصفه كتابات الفرنسيين بمقدم الزاوية الرحمانية بمشتة كنزرية كما ورد في كتاب روبر اجرون، وقد تم اعتقاله ومحاكمته ونفيه إلى غرب الجزائر مدة أربع سنوات عقب انتفاضة الأوراس هذه.
- بوراضي محمد: أحد شيوخ أولاد سلطان كان يمثل منطقة تاكسلانت، فقد ساهم مع باقي الشيوخ في دعم الانتفاضة ومساندتها.

- بوزيد محمد: ويمكن أيضا ذكر الشيخ بوزيدي محمد بن طالب من سريانة فقد كان له حضور في هذه المرحلة فساهم مع سائر الشيوخ والمرشدين في هذه الحركة المباركة.

ولعل أهم ما يلاحظ على هذه المساهمات أنها تعبر عن مدى التحام هؤلاء مع المواطنين ومشاركتهم لهم في محنهم، ومساندة مطالبهم المشروعة، في تلك المرحلة العصيبة؛ التي لم يكن فكر الثورة وروح المقاومة هو السائد كما كان الأمر من قبل، فقد ظهرت الأفكار الإصلاحية، ودعاة النضال السياسي، عن طريق الجمعيات والأحزاب والجزائر الوطنية.

الخاتمة

في ختام هذه الورقة المختصرة التي حاولت الوقوف عند بعض جوانب تاريخ الحركة المرابطية التي تعرف في بعض المناطق بالتصوف، ومدى حضورها في النسيج الاجتماعي الجزائري، خلال الحقب السابقة وبالخصوص التركي والفرنسي، نستطيع القول :

إن تأثير هذة الحركة في الثورات السابقة ومساهمتها في الانتفاضات التي قام بها الشعب ضد الغزو، وضد الظلم و القهر الذي كان يسلط عليه كان حاضرا مع اختلاف في القوة وتفاوت في الشدة.

وأن العامل المشترك والجامع هو وقوف معظم مشايخ الطرق والزوايا والكتاتيب القرآنية إلى صف الشعب والأمة، في مقاومة الغزاة ومقارعة العدو؛ فقد لاحضنا كما تشير المصادر المتعددة التي أرخت لهذه الحركة، تجذرها الاجتماعي وارتباطها بالحياة الاجتماعية والثقافية للشعب وانحيازها نحو موروثه الديني والثقافي، ومساندة مواقفه ضد الظلم والعدوان، فقد بدأت الزوايا تثور ضد الحكم العثماني، عندما انحرف عن خطه الأول، ووقفت ضد الوجود الفرنسي في الجزائر واعتبرته غزوا صليبيا نصرانيا، وامتدادا للحملات العدوانية السابقة، وهذا أمر بدهي ومنطقي لأن شيوخ هذه المدارس القرآنية، ورواد الطرق الصوفية هم من الشعب ويعيشون يوميا آلامه ومعاناته من الغزاة المحتلين. وقد برهنت انتفاضة الأوراس 1916 مرة أخرى عن دور الحركة الدينية الصوفية في دعم مساندة الانتفاضات الشعبية ضد الغزو الأجنبي وبالخصوص الفرنسي.

الهوامش

- دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، ملتقى وطني 2 وزارة المجاهدين 2007م، ص 35.

[2] - المرجع نفسه ، ص 37.

[3] - المرجع نفسه ، ص 39.

[4] - المرجع نفسه ، ص 43.

[5] - المرجع نفسه ، ص 40.

[6] - المرجع نفسه ، ص 40.

[7] - المرجع نفسه ، ص 185.

[8] - يحيى بوعزيز، ثورات القرن التاسع عشر، ص 226.

[9] - سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص 13.

[10] - عبد الله شافعي، ثورة الأوراس 1916، طبعة 1986م.

ثورة الأوراس 1916 وتحليلها في المجتمع الجزائري
دراسة سوسيو ـ انثروبولوجية

أ. فاتح زياني- جامعة باتنة 1

مقدمة

باندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 تحركت الأبواق الإعلامية ، ووسائل الدعاية لدول الحلف الثلاثي بتحريض كل القوميات والشعوب التي تخضع للإمبراطورية الفرنسية للإنتفاضة على الحكومة الفرنسية بهدف إضعافها، وتشتيت قواتها في آسيا وإفريقيا وتخفيف الضغط على الجبهة الشرقية.

وقد ركزت الآلة الإعلامية للعثمانيين والألمان جهودهما الدعائية قصد إثارة الرأي العام الجزائري، ودفعه لانتفاضة على الفرنسيين، لعل ذلك يؤدي إلى ثورة شاملة تشمل كل الشمال الإفريقي تشغل القوات الفرنسية وتوهن قواها مستعملة كل الوسائل الممكنة لتحقيق ذلك. ولم تكن الجزائر عموما والأوراس بصفة أخص ببعيد عن تلك الدعاية المغرضة، حيث تأثر سكانه بالأخبار الواردة من جبهات الحرب الأوروبي، وتعاطفوا مع الجهاد المقدس الذي أعلنه الخليفة العثماني، ورأو فيه وفي ألمانيا الأمل في تخليصهم من الاحتلال ويساعدهم في تحقيق الاستقلال.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية: ما مدى تأثير الدعاية الخارجية في تأليب الأوراسيين في ثورة 1916ضد الإحتلال الفرنسية؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية أسئلة أردنا من خلالها تفكيك التساؤل العام والإجابة عنه، والتي جاءت على النحو:

ما واقع الدولة العثمانية خلال الحرب؟ وما دوافع التوجه العثماني والألماني نحو الجزائر؟ وما الوسائل الدعائية المستعملة في ذلك؟ وما تأثير تلك الأنشطة الدعائية في الثورة التي مست الأوراس عام 1916؟

الحالة العامة

والحق فإن الدعاية العثمانية للالتفاف حول الخلافة الاسلامية في ظل رابطة الجامعة الاسلامية لها ما يبررها، فقد شهدت الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ضعفا شاملا في جميع الأصعدة

سواء كان الضعف داخليا أم في مكانتها وموقعها السياسي بأوروبا، ولما تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم واجه مصاعب كثيرة من الدول الأوروبية، وفي عهده أفلست الخزينة، بالمقابل بلغت الديون الخارجية 252 على الإمبراطورية مليون ليرة عثمانية، فضلا عما كانت الدولة تعانيه من تمزقات داخلية وتحرشات أوروبية خارجية، ورغم محاولاته إبعاد إمبراطوريته وتجنيبها أي حرب جديدة، إلا أن روسيا القيصرية أدخلته الحرب عام 1868 وكبدته الخسائر الفادحة بفقدان معظم البلقان بعدما أجبرته على التوقيع على معاهدة سان استيفانو سنة 1878.[1]

وبتواصل التدهور العام في السلطة العثمانية، وتزايد الأصوات الداعية بتقسيم ممتلكات الرجل المريض، عقد مؤتمر برلين عام 1878 بعد فترة قليلة من توقيع الباب العالي على معاهدة التنازل عن معظم الأراضي في البلقان،[2] فقد أقر المؤتمر بفرض الانجليز حمايتهم على مصر، وإطلاق أيادي الفرنسيين في تونس، وسرعان ما إتجهت هذه الدول إلى تحويل تلك القرارات إلى أفعال على أرض الواقع، فقد احتلت فرنسا تونس عام 1881، وبريطانيا مصر عام 1882،[3] وفي ذلك الوقت أرغمت اليونان التي انفصلت سلفا عن الدولة العثمانية الباب العالي للتنازل عن منطقة تساليا، وسلكت بلغاريا خطاها وضغطت تحت الغطاء الروسي وتمكنت على إقرار العثمانيين بالتنازل لها عن إقليم الروميللي.[4]

وأمام توالي عواصف التقسيم وتيارات الانفصال التي هبت أرجاء امبراطوريته المتآكلة، أدرك السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أنه لا يستطيع مجابهة أطماع أوروبا بمفرده، ولم يجد بديلا إلا الالتفات إلى تلك الشعوب الاسلامية لمناصرته وكسب عاطفتها الدينية باسم مشروع وحدوي عرف باسم الجامعة الإسلامية.

انتشرت فكرة الجامعة الإسلامية في ربوع الأقطار المسلمة ووجدت لها دعاة وأتباعا، وما كانت لتلقى الرواج الكبير لو أن السلطان كان يشبه في خصاله أسلافه الأقربين، بل بالعكس كانت شخصيته تلقى مودة المسلمين واعتبره أتباعه الخليفة الذي يستطيع إعادة المسلمين إلى النهج الرشيد للسلف الأول، والقادر على لم شمل المسلمين تحت راية التوحيد في وجه

الأعداء الصليبيين، وبالفعل فقد أظهر السلطان ما يوحي للجموع الإسلامية بذلك، حيث اتصف بطابعه المحافظ وسلامة العقل وبالتدين، وبالابتعاد عن اللهو والفجور، كما حارب مظاهر الفساد في بلاطه.[5]

إن السلطان العثماني بتبنيه لمشروع الجامعة الإسلامية بعدما تأخر القبول بها من كل الأطياف الشعبية وفي مختلف الأمصار، ماكان ليتحمس في المضي فيها إلا بعدما تكالب الأعداء في الداخل والخارج على سلطانه، وللدعاية أكثر للفكرة حاول إقناع خصومه بإطلاق إصلاحات جادة تعمل على تحديث الدولة وعصرنتها، ولعل أهم تلك المشاريع الإصلاحية التحديثية البدء بمشروع القرن للاتراك، وهو إنشاء سكة الحجاز لربط الأناضول بالأماكن المقدسة تسهيلا لشعيرة الحج "1901-1908" بالتعاون مع الحليف الألماني.[6]

ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة 1914 راهن العثمانيون الأتراك على ضرورة إستغلال الشعور الديني في استمالة المسلمين للجهاد تحت لواء الخلافة، وكان رهانهم أكثر في إمكانية ثورة عارمة في المستعمرات البريطانية والفرنسية تشغل دول الوفاق، وتشتت قواها وتساهم بتخيفيف الضغط على الجبهة الشرقية، ولعلها أكثر ما تم الرهان عليه ثورة عارمة في الجزائر.[7]

انتشرت الدعاية العثمانية بشكل كبير في الجزائر، بفعل عدة عوامل أهمها الارتباط الديني والقومي الكبير بالسلطان العثماني والتعاطف مع الخلافة جموع غفيرة من الجزائريين، والحق فإن صورة السلطان المجاهد رسمت في المخيلة بقوة بفعل قوة تأثير الدعاية الدينية، ووجد الجزائريون فيه وفي مشروعه الجامعة الإسلامية الخلاص من الاحتلال الفرنسي.[8]

ومما ساعد على تغلغلها في الأوساط الشعبية ازدياد الاحتقان الداخلي جراء سياسة التعسف الاستعماري، وتدهور أوضاع الجزائريين في جميع المجالات، كما كانت قنوات الاتصال بالمشرق العربي كالحج والهجرة... وغيرها عاملا كبيرا في تأثر الجزائريين بالجامعة الإسلامية، وكانت الأحداث التي مر بها العالم الإسلامي تؤثر بشكل كبير في الجزائريين وتابعوها باهتمام بالغ، رغم القيود الإعلامية وعزل الاستعمار الجزائريين

عن العالم الخارجي، فإن الأخبار القادمة من الشرق كانت تصلهم تباعا، وكانوا يتألمون بالأوضاع التي آل إليها العالم الإسلامي، وازداد تعلق الجزائريين بالجامعة الإسلامية عندما أقرت الإدارة الفرنسية قانون التجنيد الإجباري، ووجدت فكرة الجامعة الإسلامية في ظل هذه الأوضاع اصداءا ومناصرين لها في المؤسسات الدينية والتعيلمية وفي الصحافة الأهلية والأدب، وأصبحت أكثر رسوخا في عواطف الجزائريين، وهو ما جعلها تتحول فيما بعد إلى حركة سياسية وثورة ضد الوجود الفرنسي.[9]

والحق فإن تأثر الجزائريين بفكرة الجامعة الإسلامية وتعلقهم بالدولة العثمانية لم يكن ضمن وليد المخاض السياسي العالمي الذي واكب الحرب العالمية الأولى، بل تعود جذوره إلى نهاية القرن التاسع عشر، أي لحظة ميلادها حين كلف السلطان العثماني محي الدين ابن عبد القادر الانضمام إلى ثورة عام 1871 التي مست الشرق الجزائري،[10] والعمل على إضفائها البعد الإسلامي والرعاية العثمانية.

ومن الواضح فإن العثمانيين استغلوا سمعة الأمير عبد القادر الجزائري بنفس الدرجة التي حاول الاستعمار الفرنسي استغلالها عشية الحرب العالمية الأولى، إذ كانت عائلة الأمير عبد القادر كبيرة العدد "3000 شخص" وكان بعض أفرادها قد تقلدوا مناصب عليا في المجلس الوطني العثماني والجيش، ولما تكونت التحالفات بين المعسكرات عشية الحرب بدأ الاستغلال والضغط على المهاجرين يزداد وتيرة، وخصوصا أبناء الأمير من قبل فرنسا وألمانيا والدولة العثمانية، ولكل منهم هدفه خاص.

ففي الوقت الذي استمال فيه الفرنسيون الأمير عمر ابن الأمير عبد القادر وأكرمته بالأوسمة قربت الدولة العثمانية إليها أميرا آخر من أسرة عبد القادر، وهو الأمير علي وتمت ترقيته من نائب لدمشق إلى نائب رئيس المجلس الوطني، ولم تكن حليفتها ألمانيا بمعزل عما يجري فأظهرت هي الأخرى اهتمامها بالموضوع واتصلت بأمير آخر من العائلة، وهو الأمير عبد المالك.[11]

وكان عبد المالك قد تعلق بالجامعة الإسلامية وأظهر ولاءه للعثمانيين واتصل بالألمان لمساعدته في الإعداد لثورة في المغرب ضد

الحماية الفرنسية، وبالفعل فحينما اندلعت الحرب أعلن الأمير الجهاد على الفرنسيين إلى جانب الوطنيين المغاربة، وفي سنة 1916 لما كانت الثورة تدور رحاها في منطقة الأوراس وجه الأمير رسالة إلى كل الجزائريين للالتفاف بحركته، وسرعان ما أصبح الأمير عبد المالك محورا للدعاية الإعلامية للحلف الثلاثي وصورته بالزعيم الجديد للثورة في الجزائر.[12]

اعتمدت الدعاية الألمانية على تصوير الاستعمار الفرنسي بالمستعمر الامبريالي، وصورت نفسها الحليف القوي للجزائريين، وأن هدفها هو مساعدتهم على تحرير بلدهم شريطة أن يظهر الجزائريون الولاء للدولة العثمانية وأن يساعدوا أنفسهم بالثورة على فرنسا، والأكيد فإن الألمان ما كان يشغلهم ليس فكرة تحرر الجزائر بقدر ما كان يشغلهم خلق المشاكل لفرنسا في مستعمراتها، وتعمل الأحداث بالجزائر على إضعاف فرنسا.[13]

كانت الدعاية الألمانية منتشرة في الجزائر قبيل الحرب حيث أكد الكاتب الفرنسي" ديبارمي Desparmet "مايلي: "إن ألمنة الجزائر قد بدأت خلال الخمس عشر سنة الماضية، وذلك عن طريق الجواسيس الألمان الذين ترددوا على الجزائر كثيرا ولاسيما السنوات القليلة التي سبقت الحرب"، ويؤكد الكاتب الفرنسي "أوغسطين برنارد Augustin Bernard": " بأن هؤلاء الجواسيس حاولوا إظهار ألمانيا بمظهر حسن، وربطوا علاقات جديدة مع الأهالي، وحاولوا تحريضهم على الثورة على فرنسا".[14]

وفي هذا المجال يؤكد" أوكتاف ديبون" بأن هؤلاء الجواسيس الألمان تغلغلوا في مناطق واسعة من القطر، وأخفوا نشاطهم السياسي بأعمال ذات طابع علمي أو سياحي، ففي منطقة تقرت كمثال كتب مسؤول فرنسي تقريرا رفعه للسلطات العليا بالمنطقة يحذر فيه من النشاط المشبوه لحوالي 39 شخص، غير أن السلطات لم تستطع الفصل بدقة في هوية نشاطهم الحقيقي، كما رصدت تحركات مشبوهة لعناصر كثيرة في القنطرة في جنوب الأوراس وغيرها.[15]

اختلفت وسائل الدعاية العثمانية والألمانية قبل اندلاع الحرب، واتخذت أشكالا عدة واستعملت قنوات اتصال كثيرة، ولعب الفتيان الأتراك

والمبعوثون الألمان دورا كبيرا في ذلك،[16] وقد مثلت طرابلس والجنوب التونسي مناطق عبور لكل المبعوثين والدعاة لفكرة الجامعة الإسلامية.[17]

وبما أن قضية التجنيد الإجباري كانت أهم القضايا التي أثارت استياء الجزائريين قبل الحرب فإنه لا يستبعد بأن أولئك الجواسيس الألمان قد استغلوا هذه القضية كثيرا في تحريض الجزائريين، وقد أكدت جريدة "الأخبار AKHBAR "الإستعمارية سنة 1909 اهتمام الصحف الألمانية بهذه القضية، وذكرت ذلك على الخصوص "صحيفة ستراسبورغ بوست Strassburg post"، ومهما يكن فإن الألمان لم يكونوا متفقين على مدى قوة الحركة الوطنية الجزائرية، وقدرتها على مواجهة السلطة الاستعمارية الفرنسية، فالبعض كان يرى عدم قدرتها على تحقيق الاستقلال على فرنسا، أما البعض الآخر فقد ذهب في تفاؤله الكبير إلى حد إمكانية قيام ثورة تحقق الاستقلال، ويظهر ذلك جليا في دراسة المستشرقين الألمانيين جورج كمفماير وكارل بيكر.[18]

حيث نشر كمفماير في "سلسلة ألمانيا والإسلام Deutschland and der islam "، والتي بين فيها المساعي الحثيثة للجواسيس الألمان معتبرا أن الشمال الإفريقي مجالا هاما للطموحات والرهانات ألمانيا في حربها، وبالرغم من ذلك فهو يرى أن ألمانيا لا يمكنها الاعتماد على سكان شمال إفريقيا على القيام بثورة وطنية، ولاسيما في الجزائر مفسرا ذلك بكون الاستعمار قديما ومتسلطا كما أن الظروف ليست مناسبة في إمكانية نجاح ثورة حقيقة.

أما بيكر كان من أصحاب الرأي المخالف، ففي كتابه" ألمانيا والإسلام Deutschland and der islam" الذي كتبه سنة 1914 أكد أن الدولة الألمانية صديقة الإسلام بحكم تحالفها مع الدولة العثمانية، وأن الجزائريين قدرين على الثورة، ولذلك فإن الدعاية الألمانية راهنت على ذلك وحاولت أن تثير الأهالي للثورة على فرنسا.[19]

ازداد العمل الدعائي وأصبح أكثر نشاطا بعد اندلاع الحرب حيث سارعت تركيا إلى إصدار فتوى تؤكد على شرعية الجهاد في سبيل الوطن والدين، وقد قرأ النص في مسجد الفاتح في القسطنطينية في الرابع عشر

من نوفمبر 1914، وفي 21 نوفمبر من نفس السنة شرعت الحكومة العثمانية في نشر هذه الفتوى في كامل أنحاء العالم الإسلامي. [20]

كانت الدعاية العثمانية الألمانية خلال الحرب العالمية الأولى تنشط أكثر على مستوى أوروبا بفضل مهاجرين مغاربة هاجروا إلى المشرق العربي منذ فترات متفاوتة، ولاسيما بعد عام 1908، ومن أبرز وجوه الدعاة علي باشا حامبه،[21] وأخوه محمد باشا حامبه،[22] والشيخ المكي بن عزوز،[23] واسماعيل الصفائحي،[24] وكان هؤلاء يعملون رفقة شخصيات عربية وعثمانية أمثال الأمير شكيب أرسلان، وسليمان الباروني، وعبد العزيز جاويش، وذلك للدفاع عن شعوب المغرب العربي، وقد كتب علي باشا حامبا في الجرائد والصحف العثمانية مثل الشباب التركي، ومجلة تصوير الأفكار، وجريدة طنين، ينتقد فيها الاستعمار الفرنسي، ويدعو سكان المغرب العربي للثورة، وقد أنشأ هؤلاء المغاربة في برلين لجنة استقلال الجزائر وتونس في جانفي 1916 برئاسة الشيخين صالح الشريف واسماعيل الصفائحي، وكانت مهمة هذه اللجنة تتمثل في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية لصالح قضايا المغرب الإسلامي، والعالم الإسلامي وانتقاد المستعمر الفرنسي الذي اعتبروه أسوأ المضطهدين للشعوب. [25]

في نفس المنحى ذهبت لجنة الاتحاد والترقي التابعة للأتراك، والتي اتخذت من جنيف بسويسرا مقرا لها وكثفت دعايتها السياسية ونادت بضرورة التفاف جميع المسلمين تحت اللواء التركي الالماني ووجهت نداءا لزعماء الزوايا وخصت بالتحديد السنوسيين ودعتهم بالعمل مع الأتراك في مواجهة دول الوفاق، ومما جاء في النداء "...أيها السنوسيين، أصبح المسلمون عبيدا بعد أن كانوا أحرارا وسادة، يجب العمل للخروج من الذل والهوان..." في إشارة إلى إطلاق أعمال حربية ضد الاحتلالين الإيطالي في ليبيا والفرنسي في الجزائر. [26]

وفي نهاية مارس 1916 اجتمعت اللجنة من أجل استقلال شمال إفريقيا، وأصدرت نداء عاجلا آخر حرره الشيخ التونسي صالح الشريف جاء فيه" ...لقد رمى الفرنسيون أبناءكم - يقصد المجندين الجزائريين

والتونسيين- في الخطوط الأولى للحرب ضد ألمانيا...يجب على المناضلين العمل على الإعداد لثورة بشكل سري تساعد في تحرير أوطانكم...".[27]

بنهاية ماي 1916 تأسست لجنة فرعية أخرى في جنيف بسويسرا برئاسة محمد باشا حامبه، وأصدرت مجلة لها عرفت باسم "مجلة المغرب La revue du Maghreb" لنشر نفس الأفكار بدعم من ألمانيا والدولة العثمانية، وقد كتب أحد الجزائريين في عددها الثاني ما يلي:" إننا جزائريون مسلمون، وسنبقى جزائريون مسلمون .." حيث كانت اللجنة تشجع الجنود على الهروب من الجيش الفرنسي، وتوزع عليهم المناشير في جبهات القتال بطرق خفية، ففي عام 1915 احتجز الفرنسيون بعضها كان موجها للجنود الجزائريين والمغاربة في الجبهة الأوروبية، وهي عبارة عن بيانات تدعوهم إلى الانضمام إلى أعداء فرنسا استجابة لنداء الجهاد إلى جانب الدولة العثمانية، وبالتالي فإن واجبهم كمسلمين أن يستجيبوا لهم ، فالعثمانيون إخوانهم في الدين.[28]

تلقى جنود المغرب العربي في خنادقهم في فلاندر بيانا يدعوهم إلى الانضمام إلى أعداء فرنسا، وجاء في المنشور ما يلي:" لقد قضى الفرنسيون على مملكة الجزائر وتونس وفصلوهما عن عالم الإسلام" ثم ذكر الجنود بأن العلماء قد أعلنوا الجهاد ضد الحلفاء، وأن من واجبهم كمسلمين أن يفعلوا نفس الشيء، وقد طلب المنشور من الجنود الانضمام إلى الألمان أعداء فرنسا وإلى إخوانهم العثمانيين، ويتضح من المنشور أنه قد وزع لغرض دعائي محض، في محاولة لإضعاف معنويات الجش الفرنسي بواسطة الحرب النفسية.[29]

لم تتوقف الأنشطة الدعائية لاستمالة قلوب الجزائريين نحو برلين أو اسطنبول، بل حاول الألمان إظهار الجانب الإنساني في طريقة تعاملهم مع الفارين الجزائريين من الجيش الفرنسي، أو الأسرى والسياسيين الساخطين على الاحتلال الفرنسي، حيث عوملوا معاملة طيبة في "معسكر الهلال" في ولسدروف- زوسن قرب برلين، وقد أعطوهم بدلات عسكرية تركية، وفصلوا عن الضباط الفرنسيين، ووضعوا تحت قيادة ضباط ألمان يتكلمون اللغة العربية، وأعطوا الطعام على الطريقة الإسلامية، كما بني لهم مسجدا لأداء

شعائرهم الدينية، وبعد إعداد هؤلاء الجزائريون مذهبيا أرسلوا لمحاربة فرنسا، ومن بين الذين ساهموا في عملية المذهبة اللاجئون السياسيون وقادة المهاجرين الجزائريين والمسشرقين الألمان، وقد تكفل الأمير علي ابن عبد القادر بإعداد الجنود إعدادا وطنيا، أما الشيخ أحمد الكزبري السوري فقد عمل على مذهبتهم في مبادئ الجامعة الإسلامية.[30]

حاولت ألمانيا جس نبض دعايتها في الجزائر والتأكد من مدى استجابة الجزائريين لفكرة التعاون معها ضد فرنسا، وفي عمل استغلالي للغليان الداخلي الذي شهدته الجزائر عشية الحرب بسبب قضية التجنيد الإجباري، قامت القوات الألمانية بقنبلة مينائي عنابة وسكيكدة وعن طريق السفينتان "بريسلو"، و "غوين"، واللتان انسحبتا نحو المياه التركية بعد عمليات القصف منتظرتان انفجار ثورة وطنية في أي لحظة.[31]

وبالفعل فقد كانت الأحداث في الجزائر تنبأ بوقوع تمرد شامل تسببت فيه السياسات الاضطهادية والقوانين التعسفية على الأهالي وغذتها البروباغوندا الخارجية، فقد أثار قانون التجنيد الإجباري جدلا واسعا واستياء كبيرا لدى كل الفئات الشعبية، وأفتى العلماء بأن كل من ينتمي للجيش الفرنسي ويموت تحت راية العلم الفرنسي بالكفر والخروج عن الدين، وازدادت حركة الهجرة شبه الجماعية من كثير من المدن الجزائرية إلى المشرق خاصة الشام وتركيا.[32]

إلا أن أهم مظهر من مظاهر الرفض الشعبي للتجنيد الإجباري هو اندلاع الاحتجاجات المناهضة في مناطق عدة من الجزائر، من ندرومة غربا إلى المعاضيد بالحضنة شرقا لتمس الأوراس فيما بعد في ثورة شعبية عارمة عام 1916، وإلى جانب الاحتجاجات الشعبية حاول الجزائريون مواجهة إجراءات التجنيد سلميا، حيث قدم الأعيان، وقادة الكتل السياسية والطبقة المثقفة عرائض ورسائل ولوائح تعبر عن التمييز في إجراءات التجنيد بين الأهالي والكولون، وحملت عرائضهم اقتراحات لتحسين أوضاع الجزائريين وإجراءات عاجلة لإصلاح قانون التجنيد، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية-:

1- رفض كل القوانين التعسفية التمييزية، كقوانين الغابات، والأهالي، وإلغاء الضرائب الخاصة وقوانين العقوبات الجماعية.

2- إعطاء الجزائريين الأهالي نفس الحقوق التي يتمتع بها المستوطنون لتحقيق المواطنة المتساوية.(33)

وللإشارة فقد تفطنت السلطات الفرنسية للأيادي الخارجية التي تحرك تلك الحركات الاحتجاجية وحاولت التصدي لها بكل الوسائل الممكنة، واستبقت تلك الدعايات المحرضة على العصيان والتمرد بحملة تفتيشية ودعاية مضادة، وبدأت بتهيئة الرأي العام لقبول الحرب والتجنيد مقابل وعود سياسية وحوافز مالية، وقد ارتكزت الدعاية الفرنسية على تصوير الألمان بالبربرية وبأن حربهم إمبريالية، وألبست حربها طابع الورع، وأنها حرب للدفاع عن المستضعفين، وانطلقت الصحف الفرنسية وأذناب فرنسا من بني وي وي في نشر تلك التضليلات والأكاذيب في الأوساط الشعبية.(34)

وهنا يروي مصالي الحاج شهادته عن التجنيد الإجباري في قوله :" إن الدعاية الفرنسية كانت ماهرة، حيث كانت في مدينة تلمسان تجوب فرق من التيرايور، وكانت كل فرقة تتكون من عشرة أفراد مصحوبة بعريفين أو ثلاثة من الفرنسيين والعرب، تقوم بعزف الموسيقى، ويزداد تجوالها تلك الفرق خلال الأعياد وفي الأسواق المزدحمة، وخلال التفاف الحشد حولهم ووقوعه في سحرهم يتدخل العريف العربي، ويشرح فوائد التجنيد الإرادي في الجيش المدافع عن سمعة الجزائر ضد الهمجية الألمانية... وباستعمال تلك الوسائل الميكيافيلة استطاع الاحتلال أن يجند من كل القطر مائة ألف من التوركوس ذوي السحنة السمراء لإرسالهم إلى ميادين الحرب في بلجيكا وشمال فرنسا ".(35)

وإذا استطاعت فرنسا تجنيد عشرات الآلاف من الشباب الجزائري، ونقلهم إلى جبهات الحرب بأوروبا غير أنها لم تستطع أن تمنع قيام ثورة داخلية عمت الأوراس بأكمله، لعبت الظروف القاسية فيها دورا هاما في انتفاضة سكانه، وغذت التداعيات الدولية والدعايات الألمانية العثمانية روح ثورته.

كغيره من المناطق الأخرى في الجزائر فقد تأثر الأوراس بالتيارات الفكرية القادمة من الشرق والغرب، واذا كان من الصعب التأكيد على قوة التأثير لتلك الدعوات الالمانية العثمانية في قيام الأوراسيين بثورتهم وجعلها العامل الرئيسي المحرك لانتفاضتهم، وذلك لقلة المصادر التي تتناول الموضوع بشكل مباشر من جهة، ولاعتبار بأن ما كتب عن ذلك كان من أقلام فرنسية من جهة ثانية.

شهد الأوراس في مطلع القرن العشرين نشاطا دينيا كبيرا روج لأفكار الجامعة الإسلامية، حيث انتشرت المدارس الدينية التابعة للطريقة الرحمانية، والتي كانت تربطها علاقات وثيقة بالزاوية في طولقة بحكم الوحدة العقائدية الصوفية، ولم يتوان الفرنسيون في اتهام هذه الزوايا بأنها أشعلت نار الفتنة في الاوراس عام 1916، إذ يربط"اوكتاف ديبون" نشاط الزوايا الخفي بحلقات المؤامرة الدولية التي تنسج خيوطها الأيدي العثمانية الألمانية، وحمل مسؤولية الدعاية للأفكار الإسلامية داخل قرى الأوراس لعنصرين خطيرين على الأمن الفرنسي ومرتبطين بزاوية طولقة التي تبنى شيوخها فكرة الجامعة الإسلامية، وهما الشيخ "صحراوي محمد بن عمر" من البريكات بمدينة عين التوتة جنوب الأوراس، والذي اتهمه ديبون صراحة بأنه الزعيم الروحي والمحرض الديني للثورة التي انطلقت شرارتها من مسقط رأسه (عين التوتة) بقيادة المتمرد "محمد علي بن النوي"، رغم العمل الإنساني الذي قام به صحراوي في حماية زوجة حاكم عين التوتة "هنري مارساي" من القتل حينما هاجم الثوار ليلة 12 نوفمبر مقر الحكم فيها.

أما الشخصية الثانية التي اتهمت بإثارة الرأي العام وتحريضه على الثورة هي شخصية "محمد بن سعيد رحماني" من مشتة الكنزرية من دوار أولاد عوف التابعة لمدينة عين التوتة، حيث اتهمهما" أوكتاف ديبون" بارتباطهما بالزوايا المتواجدة في طولقة جنوب الأوراس آنذاك معتبرا إياه الزعيم الروحي للثورة التي انطلقت من منطقته، وله الباع الطويل في أحداثها.[36]

ومن المفيد القول بأن هناك شيوخ زوايا أخرى، وآخرون في الأوراس ذكروا في التقارير الفرنسية تنسب إليهم العصبية الدينية وتتهم بالتأثر

للدعاية العثمانية الألمانية وتروج لفكرة الجامعة الإسلامية، إلا أن دورها في إذكاء نار التمرد كان أقل وضوحا، وحسب ديبون لم يظهر للسلطات الفرنسية حقيقة ارتباطهم الفعلي بالدوائر الخارجية، أو تأييدهم لأي عمل ثوري وطني ضد النظام الكولونيالي، وعلى رأسها الزوايا في مروانة، والتي خضعت لعدة شخصيات عرف عنها العداء لفرنسا، وأهمها بلعيد دريس بن سي عبد الله الذي تخضع لسلطته الروحية بطون أولاد فاطمة وأولاد شليح وأعراش عدة في مركونة، إلى جانب شخصية محمد بن الطيب من الدوار التلاث "عين القصر" صاحب زاوية جرمة والمعروف باسم مول القرقور.[37]

فإذا كانت شخصية بوزيد محمد بن الطيب لم ثبت عدائها للفرنسيين، أو تورطها في الترتيب لأي نشاط عدائي ضد المصالح الفرنسية، فإن بلعيد بن دريس ثبت تورطه في الإعداد لثورة محلية سبقت الثورة العارمة للأوراسيين عام 1916 بأيام حيث تمكنت قوات الأمن من مباغتة مقره، واكتشفت كمية كبيرة من الأسلحة و الذخيرة تم الاستيلاء عليها من محافظة الغابات في بلزمة، وتم سجنه بعدئذ بثلاث سنوات من السجن النافذ،[38] مما يثبت تورط هذا الزعيم الديني بالفكر الثوري وارتباطه العقائدي بزاوية طولقة التي تتهم بأنها ذيل الأفعى الذي يبدأ رأسها من اسطنبول.

وحسب أوكتاف ديبون دائما فإن زاوية طولقة هي منفث السموم العصبية الدينية والمنبع الرئيسي لأفكار الجامعة الإسلامية والحاضنة التي تفرخ منها كل رؤوس الفتنة في الأوراس، إذ عثرت السلطات فيها على رسائل عديدة بين سنتي 1914-1915 تتضمن عبارات تحرض على الولاء للعصبية الاسلامية، وتذكي روح التمرد في المنطقة، ومما جاء في إحدى تلك الرسائل "..إن مدينة بسكرة تعج بالشباب المستعد للثورة على الكافر الفرنسي، وهناك أمل في قيام ثورة كبرى في المنطقة تكون الشرارة للثورة العارمة التي ستشمل الجزائر بأكملها..".[39]

كما عثر على رسالة أخرى حدد تاريخها في 25 سبتمبر 1914 وجهها أحد المجندين إلى مسؤول سام إيطالي جاء فيها :"..إن الجزائر تعاني من قسوة الإجراءات التعسفية الممارسة من قبل الاحتلال الفرنسي على

الشعب الجزائري، ولاسيما منها القوانين الجائرة، والتي تزج بأبناء الجزائريين في الصفوف الأولى للجيش الفرنسي والموت رغما عن إرادتهم ومعتقداتهم .. لماذا نحارب الألمان، وهم ليسوا أعدائنا يحدث ذلك لأن القوات الفرنسية من يدفعنا لذلك...".[40]

ومما يستدل به أوكتاف ديبون على الرابطة القوية التي تصل دوائر التحريض الإسلامي والتعصب الديني المتواجدة في منطقة الأوراس بمراكز القرار في اسطنبول والشام ومصر هو كثرة تردد شيوخ تلك الزوايا ومريديهم بتلك المراكز، ويتهم صراحة أحد شيوخ الزاوية في طولقة، والمسمى الطاهر بلقاسم أحمد بن سليمان الذي مكث لمدة غير قصيرة بالمدينة المنورة، ودخل الجزائر ليستقر لمدة في الأوراس ثم ينتقل بعدها إلى خنقة سيدي ناجي في طولقة وأولاد جلال، ولعل كل تنقلاته في الأوراس ثم جنوبه في قرى بسكرة آنذاك مؤشرات أراد بها أوكتاف ديبون إثبات علاقة الزوايا الوثيقة بمراكز الدعاية العثمانية المتواجدة في المشرق العربي،[41] غير أن ذلك لا يؤكد قطعا بأن الشغل الشاغل لهذه الزوايا تحفيز ثورة على الاحتلال الفرنسي لنصرة السلطان والجهاد تحت ظلال سيوفه.

من الواضح فإن الدعاية العثمانية الألمانية وجدت صدى في الاوراس عملت، ولو من بعيد على ازدياد الاحتقان الشعبي على السلطان الاستعمارية، وإن لم تكن الدافع الرئيسي لثورة الأوراسيين في نوفمبر عام 1916 في ظل تراكم الظروف القاسية التي خلفها القهر الاستعماري، وعمليات التجنيد القسرية، فإنها ساهمت في كشف ضعف فرنسا بداية الحرب العالمية الأولى، وحرضت عمليات الهروب من التجنيد في الجيش الفرنسي بسبب فتاوى الشيوخ التي دعت إلى نصرة المسلمين الأتراك في مواجهة الكافر الفرنسي، ورغم أنها كانت أقل تجذرا وسطحية كما يرى المؤرخ أبو القاسم سعد الله.[42]

ولم تستطع خلق ثورة عارمة في الجزائر بسبب الدعاية القوية والمضادة للاحتلال غير أنها حركت الرأي العام الأوراسي، وحركت فيه الشعور الوطني والبعد الديني، وأجبرت فرنسا بعد انتشار ثورة الأوراس عام

1916 على اعتماد طريقتين للقضاء على أي تغلغل دعائي خارجي من ألمانيا، أو الدولة العثمانية وهما: عمليات التنظيف والدعاية القوية للإصلاح. فبعد أن أخبر الحاكم العام لوتو عن الإجراءات العسكرية التي اتخذتها لقمع الثورة أعلن أنه سيحضر لإقليم الأوراس ببرنامج سياحي وتربوي، وقد برر عمله بالنقاط التالية:

1- أن ذلك الإقليم كان مهملا من فرنسا.

2- أن ألمانيا قد اختارته لتفجير ثروة عارمة.

3- أنه لم يحتل من قبل أية أمة.

وكان الحاكم العام يأمل أنه في حالة تنفيذ البرنامج سيقضي على الدعاية الألمانية التي تقول بأن منطقة الأوراس ليست تحت السلطة الفرنسية، إن هدف تصريح "لوتو "كان تضليل الوطنيين ومقاومة الدعاية الألمانية، ولكن لوتو لم يبرهن على أن ألمانيا قد اختارت ذلك الإقليم لتفجير ثورة عارمة ضد فرنسا.[43]

والراجح بأن تصريح مسؤول فرنسي رفيع يدل بلا شك أو ريب في ضلوع الأيدي الخارجية وقوة الدعاية الألمانية والعثمانية في تأليب الأوراسيين على فرنسا، كما أن المؤكد أيضا بأن الأوراسيين لم يكونوا أسرى تلك الدعايات الألمانية العثمانية، ولم تكن ثورتهم من أجل الدفاع عن حصون السلطان، أو حركة انفصالية لصالح القيصر الألماني، وإنما كان اتصالهم الفكري والسياسي والديني بالدوائر الدعائية تلك إنما هو مجرد تعاطف ديني مع القضيية الاسلامية، وأملاً في تعاون مع القوى الكبرى لتحرير البلاد من الاستعمار.

الهوامش

1- تيسير جبارة، تاريخ الدوله العثمانية 1280 -1924، جامعة القدس، فلسطين، ص.124

2 - يعد إقليم البلقان إحدى أكثر المناطق اضطرابا وتوترا بسبب تعدده الإثني والديني، وكثرة التدخلات الخارجية فيه خصوصا من الجانب الروسي الذي أعطى لنفسه لقرون طويلة الوصاية التاريخية والمذهبية على شعوبه السلافية، والبلقان جغرافيا يقع في جنوب شرق أوروبا خضع للعثمانيين الأتراك بعد الفتح الكبير عام 1453م، استمر حكم العثمانيين له لغاية القرن 19، ومطلع القرن20، أين بدأت أقاليمه بالانفصال بفعل التحريض الخارجي والضغوط الخارجية، بدأ باليونان عام 1832 ثم بلغاريا ورمانيا وبعد الخسارة في الحرب العالمية الاولى فقد العثمانيون ماتبقى من سلطتهم عليه.**ينظر:** عماد الأعرج، دول البلقان وتأثير حروبها على القضية الفلسطينية، معهد فلسطين للدراسات الإستراتجية، فلسطين، 2009.

3 - محمد عصفور سلمان،"الحماية الفرنسية على تونس 1881والموقف العثماني والأوروبي منها"، **مجلة ديالى، العدد** 56، جامعة ديالى، العراق.

4 - تسير جبارة، المرجع السابق، ص.214

5 - المرجع نفسه، ص.215

6 - نفسه، ص.215

7 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية"1900 -1930"، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1992، ص ،ص246، .242

8 - عبد الله الشافعي، ثورة الأوراس 1916، رساله مكملة لينل ديبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ الجزائر الحديث،جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1985 - 1986، ص59.

9-charles robert ageron :les algériens musulmans et la France, (1871-1919), tome2,puf paris, p1187.

10 - مليكة قليل، هجرة الأوراسيين إلى فرنسا"1900 -1939"، مذكرة ماجيستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2008 -2009، ص24.

11 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 224 ، 225.

12 - المرجع نفسه، ص.225

13 - ناصر بلحاج،"دور الدعاية الألمانية العثمانية في رفض التجنيد الإجباري والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى 1914 -1918"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، العدد03 ، 2008/01/25، العراق، ص02.

14 -نفسه، ص.14

15-octave depont : les toubles insurrectionnels de l'arrondissement de batna en 1916,cabinet du gouvernement géneral de l'algérie, alger, 01 septembre 1917, archives aix de provence, paris, p, p219, 220.

16 - محمدالعيد مطمر، "شهادات ووثائق عن ثورة الاوراس 1916م" **أعمال الملتقى الخامس خلال الأوراس، المنعقد** يومي05/04ماي1994، منشورات جمعية أول نوفمبر، باتنة، 1996، ص523.

17-octave depont,op-cit,p228.

18 - ناصر بلحاج، المرجع السابق،ص ص، 02 ، 03.

19 - المرجع السابق، ص.03

20 - عمار هلال،"ثورة الأوراس من خلال مخطوط فرنسي" أعمال الملتقى الخامس خلال الاوراس،المنعقد يومي05/04ماي1994، منشورات جمعية أول نوفمبر، باتنة، 1996، ص.372

21 -علي باشا حمبة(1975 -1918)من أبرز الشخصيات التونسية الحديثة سياسي وداعية تجديدي مناصر للوحدة الإسلامية ضمن الرابطة الإسلامية من مواليد تونس،درس بالصادقية،انتقل لإكمال دراسته بباريس تحصل منها على اللسيانس في الحقوق اشتغل بعدها في المحاماة،ناهض الوجود الفرنسي بتونس إلى جانب المناضل عبد العزيز الثعالبي واللذان أسسا معا جريدة التونسي سنة 1907، أدى نضاله إلى إقدام السلطات الفرنسية على نفيه إلى تركيا سنة 1912، ينظر:

Jean–francois martin :Histoire de la tunisie contomporaine de ferry a bourguiba(1881-1956),ed l'harmattan , paris, 2003,p166.

22 - محمد باشا حمبة (1882 -1921) من مواليد تونس،درس في الصادقية، اشتغل بالإدارة المالية، ثم بالعدل، سافر إلى باريس لدراسة الحقوق ليعود إلى تونس ليشتغل بالمحاماة، وفي سنة 1916 أصدر مجلة المغرب la revue du maghreb. ينظر، ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص20.

23 - الشيخ المكي بن عزوز (1954 -1916) من أصول جزائرية من أسرة جزائرية مهاجرة من منطقة طولقة "برج عزوز" خلال السنوات الأولى للإحتلال، ولد بتونس، عالم بالدين والأدب، له زاوية بنفطة في جنوب القطر التونسي، له عدة مؤلفات في الأدب واللغة والتصوف، توفي باستنبول.ينظر: ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص.20

24 - اسماعيل الصفايحي "1853 -1918" من مواليد تونس، من شيوخ الزيتونة، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة، توفي باستنبول، ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص.20

25 - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص.04

26- octave depont ,op-cit,p224.

27-ibid,p227.

28 - ناصر بلحاج، المرجع السابق، ص04.

29 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص، 243، .244

30 - نفسه، ص.224

31 - نفسه، ص.212

32 - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص.45

33 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص180، .181

34 - جمعية أول نوفمبر، "ثورة الأوراس 1916 "أعمال الملتقى الوطني حول الأوراس1916، المنعقد يومي05/04مـاي1994، منشورات جمعية اول نوفمبر،باتنة، ، 1996، ص،ص111 ، .112

35 -الحاج مصالي، مذكرات مصالي الحاج 1998 -1938، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص،ص62، .63.

36- octave depont ,op-cit,p,p239,240.

37-ibid,240.

38-ibid,p,p235,236.

39-ibid,241.

40-ibid,242.

41-ibid,p,p242,243.

42 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 247.

43 -المرجع نفسه، ص252.

التجنيد الإجباري كمفسر بنيوي لاندلاع ثورة الأوراس 1916

أ. سمية حذفاني - جامعة الجزائر 3

مقدمة

تمثل الثورة في المجتمع الدولي من أهم الظواهر السياسية والإجتماعية التي عرفتها التجمعات البشرية وهي ظاهرة قديمة قدم وجود الإنسان على الأرض، وإرتبط ظهورها بتعرض التجمعات للظلم والإستبداد من الجماعات الأخرى الأقوى نفوذا وسيطرة، وهي ظاهرة متأصلة في مجتمعات العالم الثالث حيث شهدت بروز حركات تحرر ثورية لمواجهة الإستعمار، وشهدت الدول العربية مثل هذه الظاهرة، ومن أشهر نماذجها ماحدث في الجزائر لمواجهة الإستعمار الفرنسي.

حيث شهدت منطقة الأوراس خلال الحرب العالمية الأولي تطورات عديدة إثر صدور قانون التجنيد الإجباري نتج عنه عدة إضطرابات خاصة في ظل السياسات التعسفية الفرنسية الإستغلالية للطاقات البشرية المتواجدة في مستعمراتها سعيا لتعويض العمال الفرنسيين المجندين في جبهات القتال أمام القوات الألمانية، ونتج عن ذلك تأزم الأوضاع للمجتمع الأوراسي، والهجرات نحو المشرق العربي، وقيام عدة إضطرابات وثورات عديدة ومن أبرزها ثورة الأوراس سنة 1916. وإنطلاقا من ذلك نطرح الإشكالية التالية:إلى أي مدى ساهم قانون التجنيد الإجباري في إندلاع الثورة الأوراسية؟

1ـ الوضع العام للأوراس قبل إندلاع الثورة

يصف بعض المؤرخين التمرد الحاصل أثناء الحرب العالمية الأولى خلال سنتي 1916-1917 في منطقة الأوراس بالثورة، بينما يرى كتاب أخرون أصحاب النزعة الإستعمارية بأنها مجرد إنتفاضة، ولا ترقى إلى مستوى الثورة بمفومها السياسي، إنطلاقا من هذه الجدلية سيتم التطرق إلى المفهومين.

1.1- مقاربة مفاهيمية لثنائية الثورة والإنتفاضة

تعددت الأراء حول تحديد ماهية الإنتفاضة، فهناك من يرى بأنها حالة إشتباك يومية مع العدو قام بها كوادر المقاومة الشعبية، وتعبر عن إرادة الشعب، وتستخدم فيها كل الأسلحة المتاحة، عنيفة أو سلمية، وهناك من يرى بأنها مظهر للمقاومة يتسم بعمقه في الزمان والمكان، وشموله من حيث المشاركة الجماهيرية، تختلط فيه أنماط المقاومة السياسية والعسكرية، وتحركه قيادة وطنية موحدة وحركة شعبية واسعة.

وتكون الإنتفاضة كرد فعل على الفعل الإستبدادي أو الإستعماري متصف بالشمولية والإستمرارية حتى تحقق أهدافه، وتعتبر الإنتفاضة عبارة عن مقاومة مستمرة من مجتمع، أو شعب لظلم وقع من قوة داخلية ذات نفوذ، أو جماعة خارجية أكثر قوة تهدف إلى سلب هويته وأرضه وإبادته، وهناك من يرى بأنها عمل جماهيري عفوي تطوري إلى عمل مؤسسي منظم، فالإنتفاضة من وجهة نظر لينين حالة تسبق الثورة، وكما قال "لوسو" الإنتفاضة جزء والثورة كل.

أما الثورة فتعتبر من المصطلحات المخضرمة التي واكبت ظهور الدولة والحياة السياسية منذ ماقبل التاريخ، ومع أن مفهوم الثورة الذي ساد على غيره من المفاهيم ثورة الشعب ضد الإستعمار، أو انظمة إستبدادية وتشمل على كل فعل يؤدي إلى تغيير الأوضاع تغيير جذريا سياسية كانت أو إقتصادية أو إجتماعية.

هذا السياق عرف مايكل روكسن وروبرت كود في كتابهما مقدمة العلوم السياسة أن الثورة عملية تغيير جذري للنظام السياسي بما يؤدي بالإطاحة بالنظام القديم والنخبة التابعة له، أما الباحث الأمريكي كرين برينتن فيرى أن الثورة هي عملية حركية ديناميكية تتميز بالإنتقال من بنيان إجتماعي لآخر، وذلك عبر إنتفاضة أو عصيان مسلح أو إنقلاب.

بالرجوع إلى ما شهده الأوراسيين من أحداث خلال 1916، نجد طرح يدعمه أصحاب النزعة الإستعمارية، إذ يعتبرون ما حصل عام 1916 بأنه ثورة أمر مبالغ فيه، وأن جميع ما عرفه المجتمع الأوراسي خلال عام 1916

مجرد إنتفاضات لا ترتقي بخصائصها وسماتها إلى الثورة، على إعتبار أن كونها مجرد ردود فعل الشعب الأوراسي على الإجراءات الاستعمارية الفرنسية.

وما يدحض هذا الطرح، هو تحرك الشعب الأوراسي ضد القوانين الفرنسية بكل فئاته، كانت في البداية عبارة عن إنتفاضة على شكل إحتجاجات حول تطبيق هذا القانون وتراكمت تم تصاعدت إلى مستوى الثورة بعد صدور قانون تجنيد الإجباري، وإتسمت بشمول أغلب المجتمع الجزائري، مع خاصية الإستمرارية إلى غاية تفجير ثورة نوفمبر.

1-2- الإطار الجغرافي لمنطقة الأوراس

تعتبر كلمة أوراس، كلمة بربرية الأصل، حيث أطلقها البربر على جبل في الأوراس، وهناك من يرى بأن كلمة الأوراس أخذت دلالتها من اللون الأشقر أو الأصهب، وترادف كلمة الأوراس كلمة أوراغ التي تعني اللون الأصفر أو الأشقر، وفي السياق ترمي الكلمة إلى موطن الأسد والسباع المتوحشة ذات اللون الأصهب، أما إذا أرجعنا التسمية لمدلولات طبيعية فإسم الأوراس إشتقت من التراب الأبيض، لغسل عمامائهم لكونها مساعدة على التلميع كما يفعل سكان تفلفال،[1] وتم ترجيح المعنى السابق، والذي يعود إلى الواد الأبيض الموجود بأريس"سوف أملال" Souf Amellal.

هناك إفتراض، يرى بأن تسمية أوراس من مدلول أريس، تعود إلى أر ذييس، وتعني الأسد والحصان، وهي دلالة على علاقة صراعوية، وتوجد دلالة أخرى تعني أوراس إسم بربري قديم يطلق على جبال الأوراس المتواجد بقرب منطقة خنشلة، أو باتنة.

مما تقدم نستنتج أن التسمية أخذت مدلولها على الجبال التي شهدت الكثير من الثورات والمقاومات ضد الغزو الأجنبي في عهد الرومان والبيزنطيين، وفي صدر الفتح الإسلامي، وضد الإستعمار الفرنسي من بينها مقاومة أحمد باي في أولاد سلطان، ومقاومة سيدي الصادق بلحاج.

أما بالنسبة لموقع منطقة الأوراس فهي تقع الشرق الجزائري في المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا، وخنشلة، وزريبة الوادي شرقا، وزريبة الوادي بسكرة جنوبا بحيث تشكل شكلا رباعيا بطول 100 كلم للضلع الواحد،[2] ويذكر عبد الحميد زوزو حدود منطقة الأوراس في المنطقة المحصورة بين شريعة شمال سهل السباخ، ومن الشمال الغربي الخط الرابط بين شريعة ومدوكال مرورا برأس العيون والخط الرابط بين بسكرة ولوطاية ونقرين مرورا بكرطة،[3] وتمثل كتلة الأوراس أكبر تضاريس الجزائر الشمالية علوا وإرتفاعا، وتتشرف هذه الجبال في سفوحها الجنوبية على إقليم الزيبان، وتلتقي في غربها سلسلتا جبال الأطلس التلية والصحراوية الجنوبية، وتمتد شرقا عبر جبال النمامشة وتبسة.

يشكل الأوراس عمقا إستراتيجيا نظرا لطبيعتها الجغرافية المتميزة بطبيعة صخرية صعبة الإختراق وغاباتها الكثيفة ومسالكها الوعرة وأوديتها العميقة حيث يصعب التنقل فيها،[4] وسلاسل جبلية شامخة وتضاريس مسالك ضيقة لا يعرفها إلاّ أهلها، فعلى سبيل الذكر جبل متليلي، وجبل أرفاعة وجبل الشلعلع ومستاوة وأولاد سلطان وبوعريف،[5] وشيليا، والتي أصبحت ملجأ للسكان الفارين من التجمعات القهرية والمحتشدات والمأوى الأمن لمراكز جيش التحرير.

2ـ أوضاع منطقة الأوراس قبل ثورة 1916

2.1ـ السياق الإجتماعي: تفكيك القبيلة وبروز الدوار في الأوراس

يقوم المجتمع الأوراسي على نظام القبيلة، حيث تعود السلطة إلى الجماعة المكونة من كبار العائلات ومن حكماء القبيلة، أو العشيرة التي تتولى مهام الحفاظ على النظام وإصدار مجموعة من القوانين،[6] وعلى رأس كل قبيلة أو عشيرة شيخ، والذي يعتبر القائد الروحي للقبيلة ينظم فيها كل الأمور، وهو المسؤول عن توزيع الأدوار والوظائف وحماية أعضاء القبيلة،[7] ويجمع هذا النظام العشائري عدة عائلات تربطهم رابطة الدم، وتتميز بخاصية التلاحم والإستعداد للإستماتة للتضحيات لضمان بقائهم.

إلى أن الوضع تغير بعد صدور قانون سيناتوس" Sénatus Consulte"يوم 22 أفريل 1863، والذي إستهدف تحطيم البنية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية للجزائر، وإستهدف بصفة خاصة القبيلة لكونها تمثل نواة البناء الإجتماعي للجزائري بتفكيكها، وإحلال الملكية الفردية محل المكلية حيث صرح الجنرال"ألارد Allard"في هذا السياق:"الهدف الذي تسعى فرنسا إلى تحقيقه من خلال هذا المشروع إضعاف نفوذ الرؤساء وتفكيك القبيلة ".[8]

وتوطين الوجود الفرنسي، وهذا ماعبر عنه مقرر اللجنة المشيخية "الكونت كازابيانكا Casabianca" حيث صرح: "أن مستقبل الإستعمار لا خوف عليه بعدما تقرر إستملاك الأراضي التي كانت للعرب، ولتفكيك المجتمع الجزائري"، وفي إطار ذلك تقسيم القبائل إلى دواوير،[9] نظرا لأن المجتمعات الإصطناعية، والتي تسمى الدوار ستتشكل من مجموعات سكانية غير متجانسة، مما يؤدي إلى تفتيت القبيلة تدريجيا، وفي هذا السياق نذكر صدور قوانين تشريعية مست التوازنات الإجتماعية، وتفكيك القبيلة بصورة مقننة كقانون 22 أفريل 1863، وقانون فارنيي الصادر في 26 جويلية 1873، وطبقت هاته القوانين على 13 قبيلة في دائرة باتنة، بموجبه تم تجميع قبيلة مشونش التي تضم 1441 نسمة في دوار واحد يتألف من القرى التالية: بنيان، الهابل، أديسا ومشونش، وتقسيم أولاد بوعون إلى تسعة دواوير.

فضلا عن تغيير البنية العرقية والقبلية للمجتمع الريفي الجبلي بأحمر خدو بدخول قبائل أخرى، وحوصرت جغرافيا في مناطق معينة كقرية مشونش، وقرية غوفي التي أصبحت منطقة مختلطة ومتكونة من عدة قبائل وأعراش.[10]

تزامنا مع تقسيم عرش غسيرة إلى عدة قبائل تمتد من الجنوب إلى الشمال عبر الوادي الأبيض والمتمثلة في: أولاد يحيى، وأولاد منصور، وأولاد ميمون، وأولاد سليمان، وأولاد رياش، وأولاد عابد وبوعكاز، وتاحمامت وأخذرين، أما سكان فلوس التابع لغوفي فقد تم نفيه إلى منطقة تبسة

وتهجيره، وذلك بسبب مشاركتهم في مقاومة الحاج الصادق خلال سنتي 1859-1860.[11]

2.2- السياق الإقتصادي

كان الوضع الاقتصادي قبل الإستعمار الفرنسي مزدهرا، نظرا لطبيعة الموارد التي تتمتع بها المنطقة، والتي ترتكز بالأساس على الزراعة وتربية الحيوانات، أما الصناعة فتركزت في الصناعة التقليدية المحلية المعروفة بصناعة الصوف والحلفاء، وبناء البيوت والفخار، أما الصناعات التي ركزت عليها الدولة في مجال صناعة الأسلحة والذخيرة للمحافظة على السيادة الجزائرية للتصدي للهجمات الأوربية الصليبية، مما غذى أطماع فرنسا في احتلال الجزائر سنة 1830.

تدهورت الأوضاع الإقتصادية جراء السياسات الفرنسية، وصدور عدة قوانين، والتي ألحقت أضرار فادحة بسكان الريف، حيث أخضع الأهالي إلى نظام ضريبي قاسي، ففي مارس 1832 صدر قرار يقضي بإجبار الجزائريين إلى دفع ضريبة قيمتها 45 ألف قنطار من الصوف،[12] فضلا عن صدور تعليمة في 12 فيفري 1844 طبقت على الإنتفاضات، وفي حالة مخالفة قانون الغابات، وصدر هذا القانون بعد فشل ثورة 1817 كما جاء هذا القانون بعد تحقيق الأوربيون النجاح في ضبط إدارة الجزائريين.

ومع تنامي هاجس الخوف من المشاكل الأمنية التي ستهدد إنتصاراتهم العسكرية ونظامهم الإستعماري، صدرت قانون الأهالي، أو مايطلق عليه قانون الأنديجينا الذي فرض بمقتضى قوانين 29 أوت و11 سبتمبر حيث إعتبرت السلطات الإستعمارية الفرنسية أن الشعب الجزائري ملكية خاصة حصلت عليه بفعل الإحتلال، وأهالي لا يستحقون أي حق من حقوق المساواة،[13] وهو قانون عنصري جعل من الجزائريين عبيد لا يتمتعون بأبسط حقوقهم فضلا عن توقيع العقوبات ومصادرة ممتلكاتهم للحفاظ على النظام الإستعماري.[14]

كما طبق إجراء الحجز الإداري طبق على الجزائريين دون غيرهم، إذ لا يضع المتهمين لأي شكل من أشكال المقاضاة المتعارف عليها فيكفي فقط

صدور قرار الحاكم العام، أو الضابط العسكري بطريقة تعسفية، إذ يؤخذ الجزائري عنوة ليرسل إلى مكان مجهول أو مزارع الكولون، وبدأت أحكام هذا القانون مع أوامر الجنرال بيجو الذي منح صلاحيات مطلقة للضباط العسكريين لمعاقبة الجزائريين.

وعممت هذه القوانين الردعية بمقتضى قانون 1881 في البلديات، تم من خلاله منح الصلاحيات للحاكم الإداري بمنصب القاضي دون أن يكون للجزائري حق الإستئناف، ولم يخص هذا القانون الفلاحين فقط بل كل الجزائريين حتى المتجنسين بالرغم من الإمتيازات التي حصلوا عليها في القانون إلا أنها بقيت شكلية.

وبالرغم من إدعاءات الإدارة الفرنسية بأن هذا القانون مؤقت إلاّ أنه تم تمديد تجديده تسع مرات، أعطيت من خلاله للحكام الإداريين في البلديات المختلطة صلاحيات القمع والتعسف، وتم في عام 1890 ضم القانون 21 مخالفة، ثم توسع ليصبح 27 مخالفة سنة 1897، فرضت من خلاله فرنسا نظام إستثنائي يمنع الجزائريين من ممارسة حقوقهم سياسية كانت أو مدنية، ودفع غرامة 15 فرنكا في حالة إرتكاب مخالفة بسيطة، أو يسجن لمدة خمسة أيام، وفي حالة إرتكاب مخالفة خطيرة يحال إلى المحاكم الرادعة،[15] ومازاد من تفاقم الوضع إستعمال السلطات الفرنسية عملاء جزائريين "ابن قانة، وبوعكاز، ابن شنوف" يفرضون غرامات مالية، وفي حالة عدم الدفع يتم تسليمهم للشرطة الفرنسية.

3- السياسة الفرنسية: ظهور مراكز الإستيطان وتأثير الوجود الكولونيالي على إستقرار المنطقة

لم تقصر الإدارة الإستعمارية لفرض سلطتها على الجزائر على المواجهة العسكرية، إذ إعتمدت أساليب مختلفة جامعة مابين الإقتصادية والسياسية لتنفيذ سياستها عبر محاولة إغراء بعض العناصر الجزائرية، والتي شملت القادة والأعيان، وإصدار قوانين وتشريعات لضمان خضوع المجتمع الجزائري لسياستها الإجبارية، ومن بينها نذكر: سياسة مصادرة الأراضي والإستيطان.

أدت سياسة سلب الأراضي إلى تفكيك بنية المجتمع الجزائري، بتجريدهم من رابطتهم الطبيعية مع الأرض من أجل كسر قوة إتحادات القبائل، ودرء أي يخطر يصدر منها، وتم الإستولاء على الأرض بقوة السلاح، وتمكن اللجان المختصة من جرد تقسيم الأراضي إلى 29 قبيلة، والفقدان التدريجي للأراضي الغنية الخصبة، وجعل الفلاحة الجزائرية مكملة للإقتصاد الفرنسي،[16] توزيع جزء منها للمتعاونيين الذي يعملون كقياد، حيث حصل القياد في ولاية باتنة أثناء زيارة نابليون على 184 هكتار، وتعرض أغلب القبائل الأوراسية إلى فقدان مساحات هامة من أراضيها كتعرض قبيلة أولاد الرشايش إلى ضياع7% من أراضيها، وفقدان قبيلة عرب ششار20 %، وبني أحمر خدو21 %،[17] ووأولاد عبدي خسروا 43 %من أراضيهم.

ومصادرة أراضي أولاد شليح مايقارب 2959 هكتار، والحراكتة صودرت أراضيهم مايقارب 2229 هكتار كما تعرضت قبائل وأولاد بودرهم من قبيلة لعمامرة في خنشلة، وأولاد بلقاضي إلى فقدان أملاكهم مما أدى بهم إلى التوجه نحو الجبال.

كما تم مصادرة أراضي عين التوتة، مروانة وادي الماء، وسريانة وباتنة بغرض إنشاء البلديات المختلطة ومن بينها بلدية بلزمة، وبناء مجموعة من المراكز لمراقبة تحركات سكان الأوراس أبرزها: برج ماكماهون، برج كورناي وبرج برنيل، وبرج باستور.[18]

كان من نواتجها ظهور العديد من الإضطرابات في منطقة باتنة وبلزمة مطالبين بإعادة الأراضي المسلوبة ورفض دفع الضرائب حيث صرح الأهالي في باتنة بقولهم " نفضل أن يموت أبنائنا في الجزائر على أن يموتوا بفرنسا".

تمخض عن تلك الإضطرابات إصدار محكمة الجنايات أحكام متفاوتة على المتهمين بالسجن، وإنتقال سكان أولاد حليمة وأولاد عوف، وأولاد فاطمة إلى غابات بلزمة، وتم إعتقالهم وقدموا للمحاكمة أمام محكمة باتنة،

حيث أصدرت ضدهم أشغالا شاقة لمدة 18 شهرا، وجعلهم يتوجهون إلى الهجرة للتخلي عن أراضيهم.

أما في منطقة بسكرة فوزع الدوق دومال عام 1844 مايقارب 1564874 هكتار، والتي أعطيت الملكية الزراعية للقايد بن قانة، أما الملكية الزراعية الأخرى الممنوحة تخص 28095 هكتار،[19] والتي وزعت على قايد الزاب الشرقي.

بعد عمليات المصادرة وفرض التشريعات العقارية توجه الأوراسيين إلى المناطق الجبلية كمركز للإستقرار ومصدر رزق لهم، إلاّ أن الوضع زاد تفاقما بعد ضم الأراضي الغابية إلى أملاك الدولة الفرنسية بعد صدور قانون الغابات في 17 جويلية 1974 الذي حرم الرعي في الغابات والتشديد في رفع دفع الضريبة، وتعرض بموجب هذا القانون قبائل أولاد فضالة، وأولاد معافة إلى أقصى المصادرات، حيث صودرت ما يقارب 35000 هكتار ومنحت للسلطات الفرنسية لتشييد الثكنات وبناء قرى للمستوطنين، كما تعرض دوار تامزا التابعين لقبلية العمامرة الموجودة في خنشلة إلى سياسة القمع، وفرض غرامة ضخمة تقدر بـــ 61112550 فرنكا إثر مطالبتهم بملكية غابة أولاد يعقوب، وهو مبلغ ضخم بالنسبة للفلاح الذي دخله موارد بسيطة مما أدى إلى فرار من دوار تامزا نحو الكاف.[20]

إضافة إلى مصادرة الأراضي، وقانون الغابات التعسفي كانت سياسة الاستيطان بتوزيع الأراضي الخصبة على المعمرين الأوروبين الذين هاجروا إلى الجزائر قصد الاستيطان الدائم، وتحقيق إعمار ريفي فرنسي، ولتحقيق ذلك إعتمدت فرنسا على سياسة الإغراء بمنحهم قروضا للاستغلال وبناء لهم قرى فلاحية،[21] ودعم نابليون سياسة التوطين في الأوراس من خلال اقتراحه لمناطق التوطن الاستعماري في رسالته الموجهة إلى ماك ماهون، والذي يفضى إلى تقديم مساعدة للمعمرين الذين يريدون الإستيطان في باتنة، بسكرة، تبسة عين البيضاء، وبناء مراكز وقرى استيطانية في خنشلة، وعين التوتة، والمعذر، وعين ياقوت، وسريانة، عين القصر فيسديس، لمابز، عين القصر، وترافق تهجير الأوربيون مع مصادرة الأراضي والمباني الخاصة

بالأوراسيين، لتمليكها للمستوطنين الذين كان أغلبهم محكوم بسوابق عدلية لإستغلالهم في حركة التوسع الإستعماري.[22]

ويتبين من خلال هاته المعطيات أن الإدارة الإستعمارية الفرنسية كانت تسعى وراء إنتهاج سياسة مصادرة الأراضي والإستيطان إلى تفقير المجتمع الجزائري وحرمانهم من الإستفادة من الأراضي الواقعة في المناطق الأوراسية مما أدى إلى تردي أوضاعهم الإجتماعية بإزدياد الفقر نظرا لأن أغلب الأوراسيين ريفيون يمتهنون الفلاحة بالدرجة الأولى، وإرتفاع حالات المجاعة لمدة ثلاث سنوات نظرا لتعرض المنطقة إلى الجفاف، والتوجه نحو الغابات والمناطق الجبلية والصحراوية، ونحو القرى الإستيطانية للعمل كخماسين وأجراء.

أدت هذه السياسات القمعية إنتشار الفوضى، وتراجع الصناعة والفلاحة نظرا لكونها شلت الطاقات من خلال السجن، والنفي من طرف السلطات الإستعمارية، وكانت الأعراش في الأوراس ممزقة بين مجموعة من القياد الذين أشعلوا الحرب ضد بعضهم نتيجة مصادرة الأراضي وإنشاء مستوطنات للمعمرين.

4ـ قانون التجنيد الإجباري وثورة الأوراس1916

تميزت السياسة الفرنسية بالنزعة الإستعمارية نظرا لحاجتها إلى قوة عسكرية، لأداء المهام التي تتطلبها الحركات الإستعمارية داخل وخارج أفريقيا، لذلك برزت مشاريع مختلفة لتحقيق أطماعها التوسعية واللجوء إلى الموارد البشرية التي تمتلكها فرنسا في مستعمراتها، ومن أبرز المشاريع التجنيد التي طبقتها فرنسا على الجزائر مايلي:

تجنيد الجزائريين في حرب القرم عام 1845 بإقتراح الجنرال"موليار"Molliere، وفي عام 1864 تم تجنيد 25000 جندي جزائري وإدماجهم مع المجندين الفرنسيين، تحقيقا لأهداف مشروع "مارتيمبري"، وفي عام 1870 تطوع عدد كبير الجزائريين للمشاركة في الحرب الفرنسية البروسية.[23]

1.4- ظروف صدور قانون التجنيد الإجباري

منذ عام 1907 سيطر موضوع التجنيد الإجباري للجزائريين على جدول أعمال الطبقة السياسية والعسكرية في فرنسا، أملتها ظروف إستعدادها لإحتلال المغرب الأقصى، والتأهب للحرب العالمية من جهة ثانية ، وفي هذا السياق طرح "ميسمي Messimy"عام 1908" مشروع الخدمة الإجبارية لتخفيض الوحدات العسكرية الفرنسية المتكونة من الجنود الفرنسيين لإرسالها إلى أوربا لتعزيز الإمكانات الحربية الفرنسية، وتعويض تلك الوحدات بالأهالي،[24] كما فرضت طبيعة للتهديدات التي تواجهها فرنسا من طرف ألمانيا، فرض التجنيد نظرا لتراجع تعداد الجيش الفرنسي بسبب نقص الزيادة الطبيعية مما يهدد الأمن القومي الفرنسي بعدما كان العدد عام 1889 حوالي 215000 رجل أصبح 21000 رجل،[25] على خلاف ألمانيا التي تعرف الزيادة المستمرة لذلك لم تجد فرنسا حل لهاته لمعضلة إلا عن طريق التجنيد الإجباري للجزائريين الذين تتأصل فيهم النزعة القتالية.

بناءا على ذلك صدرت حكومة منداس فرانس 28 في فيفري1911 مرسوم ينص على مايلي: "تجنيد الشبان الجزائريين البالغين أعمارهم 18 سنة لمدة 3 سنوات"، على خلاف الجندي الفرنسي الذي يجند في عمر 21 سنة لمدة سنتين ويكون التجنيد عن طريق القرعة.

ومع ظهور بوادر الحرب العالمية وتدهور الأوضاع الدولية في أوربا والسباق نحو التسلح البري والبحري، والتنافس بين الدول الأوربية لفرض السيطرة في القارة الأوروبية، وتعزيز الطرفان"فرنسا-ألمانيا" تحالفاتها سنة 1911 ضغط المستوطنون الأوربيون على فرنسا حتى أصدرت قانون التجنيد الإجباري، وفي31 جانفي 1912 صدر مرسوم يؤكد على أن التجنيد الإجباري يكون بصفة تطوعية لتشجيع الجزائريين على الإلتحاق بصفوف الجيش الفرنسي،[26] ويتقاضى الجندي الجزائري مكافأة مالية قدرها 250 فرنك، وكانت تهدف فرنسا من تجنيد الجزائريين لإستخدامهم في الحرب

للدفاع عن فرنسا، وإرجاع الجنود الفرنسيين إلى فرنسا تحسبا لأي طارئ بسبب تدهور الأوضاع الدولية في أوروبا.[27]

وفي 3 فيفري 1912 صدر مرسوم من قبل البرلمان الفرنسي بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية على إعتبار كونهم رعايا فرنسيين،[28] وأوكلت التجنيد مهمة تحديد عدد المجندين، وتقسيمهم إلى جهات مختصة و وحددت مدة الخدمة العسكرية المقررة بثلاث سنوات، وبعد إنتهاء الخدمة العسكرية يبقى المجند تابعا لفرق الإحتياط لإستدعائه وقت الحاجة لكن مايلاحظ التفرقة بين المجندين الجزائريين والفرنسيين حيث كان الفرنسيون لا يقضون إلا عامين إضافة إلى جانب الإمتيازات التي يتحصلون عليها.

2.4ـ الأساليب الفرنسية في فرض التجنيد

إستعملت الإدارة الفرنسية من أجل الحصول على المجندين دعاية إغرائية من جهة وتعسفية قهرية من جهة ثانية حيث نجد في مرسوم7 سبتمبر 1916 يجيز للحاكم العام تكليف أعيان الجماعات بإختيار الشباب الذين يتم تجنيدهم، مما وسع المجال للإعتبارات الشخصية ونشر الرشوة، حيث كان الأعيان يتقاضون الذهب والمال لغض الطرف عن تجنيد أبناء العائلات الغنية، وكان التجنيد حكرا على أبناء العائلات الفقيرة لكونهم غير قادرين على دفع الرشوة.[29]

كما كانت الإدارة الفرنسية تشتري الجنود من الأعيان بثمن معين مقابل وزنه،[30] سياسة تكثيف الضغط على رؤوساء الأهالي: بإحضار المجندين بأساليبهم الخاصة بفرض غرامة مالية قدرها 500 فرنك مقابل إعفائه من الخدمة العسكرية.

3.4- سياسة الإغراء

نظرا لتدهور الاوضاع الإقتصادية خاصة مع فرض الضرائب والمجاعات المتتالية التي عرفتها الجزائر أقيمت الولائم والفرق الموسيقية العازفة ودعي إليها كل الشبان، ويقول في هذا السياق هنري مارساي:" إستطاعت الإدارة بعد الزيادة في المرتبات والسماح بالتعويض أن تحصل على عدد كبير من المتطوعين بفضل الدعاية المروجة في القرى والأرياف بأن فرنسا بلد الجمال والحرية "، ولقي قانون التجنيد إقبالا من طرف حركة الشباب الجزائريين أصحاب التوجه الليبرالي للإندماج حسب رأيهم، في المقابل وجد معارضة شديدة من طرف أولاد عوف الذين إعتبروا أول الرافضين لقرار التجنيد، ثم سكان مناطق مستاوة ومتليلي وأولاد سلطان وأولاد بوعون وأولاد فاطمة، وتاكسلانت وبلزمة،[31] وواجهو الادارة الاستعمارية ورفضوا دفع الضرائب وإعادة الأراضي المسلوبة وحرضوا المواطنين على التمرد، ومع إصدار فرنسا قانون جديد تلغي مرسوم الإعفاء من الخدمة العسكرية، إذ فرضت التجنيد رغما عن الجزائريين دون مراعاة الصغير والكبير منهم، أدى إلى عصيان وأحداث عنيفة حيث شهدت بلدية عين التوتة في 28-29 ماي 1912مظاهرات رافضة لإجراء القرعة الخاصة التجنيد حيث لم يحضر المسجلون في قوائم الإحصاء إلى البلدية، والمقدر عددهم بـــــ402 شخص، أما في خنشلة فجاء في تقرير المسؤول الإداري عن التجنيد أن الشاوية عازمون إلى اللجوء إلى الجبال والثورة على السلطات المحلية إذا طبقت قانون التجنيد.[32]

كما دخلت منطقة باتنة وبلزمة في موجة إضطرابات خاصة مع إزدياد المعاناة التي واجهها سكان الأوراس كالفقر والأمية، ومصادرة الأراضي منذ عام1871 لإنشاء مراكز المستوطنون في عين التوتة وواد الماء وراس العيون ونقاوس، فضلا عن حرب الإبادة التي كان يمارسها الجيش الفرنسي،كانت شرارة للإنتفاض عن الوضع بخروج سكان بلديات بريكة وبلزمة وخنشلة في سبتمبر 1914، حيث تم في هذا الشهر تحرير 83 شاب متطوع من طرف الأهالي في دوار سقانة.

على إثر مظاهرات عين التوتة، امتد العصيان إلى مروانة نتيجة لإقرار التجنيد في سبتمبر1914 حيث أجبر 27 شخص على أداء الخدمة العسكرية، فر ثلاثة منهم والذين كانوا من دوار ولاد شليح، وفي أكتوبر 1914 استدعي 13 دوار لأداء الخدمة العسكرية، من بينهم 55 شاب من أولاد عوف إلاّ أنه عشرون شخص منهم رفضوا الامتثال للقرار، وعندما خرج المكلفون بالإحصاء هرب هؤلاء الشبان إلى الغابات.

وفي 18 سبتمبر 1914 توجهت قافلة من بريكة وباتنة فيها 27 شابا من سكان سقانة وسفيان للتطوع في فرق الفرسان، إلّا أنها وقعت في كمين نصب من أولياء الشباب رافضين تجنيد أبنائهم، وفي 12 أكتوبر لم يمثل المدعوين للخدمة العسكرية، والمقدر عددهم23 شخصا سوى 10 أشخاص، وفر 7 أشخاص من بين 46 شخص مسجل في أوت 1915.

كما رفضت دواوير أولاد سحنون وأولاد دراج بريكة ومقرة، وعين القصر التجنيد، وهددوا الحاكم إثر إرغام 34 شابا على التجنيد بالقوة، إضافة إلى ذلك رفضت دواوير نقاوس التجنيد، والتي شملت دوار ولاد رحاب وأولاد راقد وأولاد طالب، في المقابل حضر 17 شخص من بين 80 شخص من دوار مقرة، كما رفض سكان تكوت، وأحمر خدو وزلاطو وعرش بني بوسليمان وسيدي ناجي تجنيد الأوراسيين.[33]

وتواصلت الإضطرابات لتصل إلى خنشلة إثر عملية الإحصاء في تبردقة حيث رفضت دواوير أولاد عمر وأولاد تيفورغ وعرف بني ملول وبراجة وششار مجموعة من التواترات نتيجة رفض التجنيد.

نظرا لعمليات الفرار والرفض والعصيان تم عقد إجتماع في عين التوتة في برج ماكماهون لإقناع الرافضين بالعدول عن موقفهم، حيث تراجع دوار بريكات والبعض من ولاد شليح عن رفضهم للتجنيد، وقدر عدد الملبين للدعوة 142 شابا، وأختير منهم 22 شاب للتجنيد والباقي وجه للعمل في المناجم وحفر الخنادق وتعويض العمال الفرنسيين الذين ألحقوا في جبهات القتال.

وزاد التوتر عندما توجه رئيس بلدية بريكة "زانيتاكسي" Zannetacci" في 24 سبتمبر 1916 إلى دوار مطكوك لتسجيل الشبان في قوائم التجنيد، إلاّ ان سكان الدوار رفضوا تجنيد أبنائهم، وإرتفع التوتر إلى مستوى القيام بحركات تمرد وعصيان في بريكة والمدن المجاورة ضد الأعيان رافضة التجنيد الإجباري.[34] بعد قرار فرنسا بإدراج الأطفال في قوائم المجندين، ومع مطالبة فرنسا مضاعفة الفرق العسكرية المجندة في خريف 1915 فروا إلى الجبال والهجرة الجماعية نحو تونس والمغرب وسوريا.

إلاّ أن ظروف الحرب أجبرت فرنسا في 01 أكتوبر 1916 بإصدار مرسوم يقضي بعدم إعفاء المتطوعين في الجيش والتجنيد الإجباري، نظرا لكون فرنسا أصبحت تعاني من أزمة اليد العاملة والجنود، لذلك صدرت مرسوم بتجنيد 17500 عامل جزائري ليرتفع العدد إلى 78000 عامل مما دفع بالأهالي أن يدفعوا أموال طائلة للأعيان التي كلفتهم فرنسا بتوفير العناصر للتجنيد، وكان أبرزهم الأغا بوحفص بن شنوف يطالب 500 فرنك للإعفاء، أما شيوخ بريكة فطالبوا 20 فرنك مما أدى إلى إنتشار الرشوة للإعفاء من التجنيد الإجباري.[35]

بدأت حركة التمرد من طرف ولاد عوف، وإنتشرت لتشمل سكان مستاوة وأولاد سلطان وتاكسلانت وبلزمة رافضة للتجنيد الإجباري، ووقوع مناوشات بين المسؤولين الجزائريين والفرنسيين في خنشلة وبسكرة وباتنة، نتج عن ذلك إرسال فرنسا وحدات من جيشها لأخذ المتمردين بالقوة للإنخراط في الجيش الفرنسي، وفي 2 فيفري 1916 أغتيل حاكم باتنة، ونتج عن ذلك إصدار عقوبات قاسية ضد 805 شخص، ومحاكمة 825 معارض، وتقديم 45 شخص للمحاكمة العسكرية في باتنة، وفرض غرامات مالية باهضة.[36]

نتيجة تراكمات السياسات التعسفية المطبقة من فرنسا والإضطهادات المتكررة، ومازادها حدة تطبيق قانون التجنيد الإجباري مما أفضى إلى إحتجاجات حول تطبيق القانون في بداية الأمر، لتصبح فيما بعد عمليات ثورية من طرف الرافضين والفارين منه حيث إنطلقت الثورة من مدينة عين التوتة

يوم 11 نوفمبر 1916 عندما تجمع سكان عين التوتة وبريكة في قرية بومعزاز،[37] وإتفقوا على الثورة ضد الإستعمار، وإمتدت إلى مدينة بريكة ونقاوس، وضواحيها ثم بعد ذلك شملت بلزمة ومروانة، ومناطق الحضنة وتيمقاد وخنشلة وعين البيضاء، وتازولت وبوحمار وأريس، وامتدت إلى أولاد دراج بالمسيلة حتى أولاد اوجانة بخنشلة والحراكتة بأم البواقي.[38]

حيث شارك دواوير وأعراش تلك المناطق في الثورة بوسائل بسيطة متمثلة في بنادق صيد وبنادق حجرية عتيقة، واتخذوا الجبال والغابات مأوى لهم خاصة جبال مستاوة وأولاد سلطان ومتليلي، وقدرت نسبة مشاركة السكان ما يقارب 70%،[39] أبرز الشخصيات التي قادت الثورة: بن علي محمد بن النوي من منطقة عين التوتة، والمسعود بن زلماط من أريس، وبلوذيني محمد من سقانة، وعقيني عمر أو موسى من جبل مستاوة، مدعمين من طرف شيوخ الأعراش، كالشيخ أحمد بوهنتالة من عرش أولاد عوف، والشيخ بوراضي محمد من تاكسلانت، ورحماني محمد السعيد من عرش أولاد بشينة، وبوزيد الطالب من سريانة.

إضافة إلى ذلك شارك أولاد سيدي سليمان في الثورة من خلال توفير الذخيرة والمؤونة والأسلحة للمجاهدين كما إعتبرت منطقتهم قاعدة إسناد خلفية، وكانت بداية الثورة بحرق مقر دائرة عين التوتة، ومهاجمة برج ماك ماهون بمقر بلدين عين التوتة وتدميره، وقتل عدد من الفرنسيين،[40] ومن أبرزهم رئيس دائرة باتنة"كاسينلي Kassinelli"، والمتصرف الإداري لبلدية عين التوتة"مرساي Marseille"،[41] كما هجم الثوار، والذي قدر عددهم بـــ 1500 رجل مقر مسؤول الغابات قرب عين التوتة، وأضرموا النار في مزرعة المعمر فرانجي في بلدية بريكة، وقطع الخطوط التلغرافية بين نقاوس وبريكة، وقطع الطريق الرابط بينهما وتخريب الجسور، والسطو على مزرعة المعمر رينال، والهجوم على مزرعة قريبة من نقاوس.

وفي إطار السعي إلى التحرر من الإستعمار ببناء جمهورية مستقلة عن فرنسا أذاع الثوار الخبر فتوجهت الادارة الفرنسية إلى نقاوس، حيث كان

التصادم بداية لانطلاق ثورة أولاد سلطان، وفي يوم 12 نوفمبر 1916 حاصر الثوار مدينة بريكة لمدة 24 ساعة، إلى غاية قدوم القوات العسكرية من نقاوس، وباتنة تم على إثرها فك الحصار، وهاجمو فرقة الزواف المتواجدة قرب سقانة في 14 نوفمبر من نفس السنة.

إمتدت الثورة إلى بلزمة حيث هاجم المجاهدون في واد الماء قافلة عسكرية، واستولوا على ماكانت تحمله من عتاد عسكري، واغتيال بعض المعمرين، ترافقت استمرارية الهجوم على المستوطنات بإرتفاع عدد الثوار، وإنضمامهم في شكل مجموعات بقيادة أحمد زلماط، والصالح بن مزيان المدعو بومصران في منطقة أريس.

وفي 20 نوفمبر 1916 وقعت معركة في مكان يدعى دادا سليمان بولاد بشينة بمشاركة الأعراش كلهم مات ما يفوق مائة جندي فرنسي، كما وقعت معركة في شعبة تارشيوين إستشهد فيها ثلاثة جنود من أولاد بيطام، كما عرفت دشرة الشيخ عمر بن المسوس الفاطمي في مكان يطلق عليه أنزا محمد معركة دامية إستشهد فيها عدة أشخاص.(42)

وإنتقلت الثورة إلى عين مليلة، وعين الكرش وعين الفكرون بمعارضة تسليم أبنائهم للتجنيد، وإمتدت الثورة لتصل إلى الأهقار حيث ثار التوارق ضد المحتل الفرنسي، وقتل "شار ديفوكو" الجاسوس الفرنسي 1 ديسمبر 1916 مستعملين أسلحة إنتزعوها من الجنود الإيطاليين في حربهم بليبيا، وحاصروا المركز العسكري الفرنسي المتواجد في جانيت، واقتحام حصن بولينياك بإيليزي في 24 مارس 1916 إلّا أن فرنسا إسترجعته بعد معركة دامية.

لكن هذا لم يثبط عزيمة الثوار الذين هاجموا جيش الزواف وحرروا مجموعة الشباب الذين تعرضوا لقانون التجنيد الإجباري، وكان رد القوات السنغالية بهجوم مضاد نظرا لرفض الجزائريين للتجنيد الإجباري حيث قدم ثوار بريكة تقريرا مفاده أنهم لن يقدموا المجندين، ولا عمالا ولن يوقفوا الفارين، نتيجة لذلك أخرجت فرنسا كتيبتين متكونتين من قوات سنغالية وزواف وجنود من الألزاس واللورين، وتعززت بقوات المشاة لمحاربة الثوار

والقيام بعمليات تمشيط للمناطق الثائرة بمشاركة الطائرات وإستخدام القنابل مستهدفة الجبال التي إتخذها الثوار مخابئ لهم كجبال مستاوة وبلزمة، فضلا عن القيام بعمليات التفتيش وتطويق وتمشيط منطقة أولاد سلطان تحت قيادة العقيد ديلوم، وكانت بداية التفتيش من جبل الرفاعة وتاكسلانت، وجزء من جبل بواراي، وكتيبة غطت سهل ماركوندة وصولا الى تينباوين وشعبة أولاد سي سيلمان ودوار أولاد حمود وثاقليعت.

أما الكتيبة الثالثة فقامت بعملية مسح لجبل ولاد سلطان إنطلاقا من جبل تافرنت وبير أولاد عوف لتلتقي الكتائب التي إنطلقت من نقاوس في تفتيش أولاد رحاب إلى دوار سفيان، ومن ثم بريش، فضلا عن توجه قوات أخرى نحو جبل كنزرية وجبل أولاد عوف الذي يعتبر مركز المقاومة.[43]

كما تم تمشيط مرتفعات مستاوة والشلعلع، وتمركز فرق من الفرسان في سفيان وبومقر ونقاوس، وتينيباوين وفي سقانة وبريش لمنع الثوار من الخروج، وإعادة فتح الطريق الذي أغلقه الثوار، والذي يربط بين مروانة وباتنة، وفي 15 ديسمبر 1916 أعلن قائد القوات الفرنسية بأن جبل مستاوة تم تنظيفه، وسوف تنتقل القوات الفرنسية إلى سهل بلزمة لموصلة البحث عن جيوب المقاومة.

إضافة إلى عملية المسح والتمشيط تم إعتماد سياسة الأرض المحروقة، وكانت نتائجها كارثية لسكان الأوراس إذ حرقت المنازل، وتم إبادة الشيوخ والأطفال والإضطهاد والتقتيل الجماعي، فضلا عن المحاكمات العسكرية، وتم تسجيل 5000 شخص محكوم عليه بالإعدام،[44] وتعويض خسائر فرنسا المقدرة ب 11315155 فرنك، مما أدى إلى تنامي ظاهرة الهجرة حيث وصل عدد المهاجرين الأوراسيين إلى 1000 مهاجر سنة 1929.

وبالرغم من سياسة التمشيط والتصفيات لم يمنع من تواصل هجوم الثوار على المستوطنين في ديسمبر 1916 تحديدا في سقانة، الأمر الذي أدى بالجنرال" بونيفال" قائد العمليات العسكرية بإمداده بقوات جديدة إذ تم سحب 6000 رجل من جبهة القتال في أوروبا،[45] واستقدام كتيبة في

مدفعية الجبال من تونس، والكتيبة 53 السنغالية من بسكرة، وفرقة من الفرسان وطائرات فارمان من تونس، وقصفوا القرى والمداشر،[46] إضافة إلى الاستعانة بالفصائل المنتشرة في مروانة ورأس العيون، وعين التوتة وواد الماء ليكون تاريخ 17 أفريل 1917 نهاية ثورة الأوراس.

لقد كان لرفض التجنيد الإجباري أثر على رد فعل فرنسا العنيف باستعمال القوة في التجنيد للقتال أثناء الحرب العالمية الأولى، نتيجة لذلك تمكنت من تجنيد فئة كبيرة أغلبها من الفلاحين العاطلين عن العمل والعمال المزارعين، حيث ارتفع عدد المجندين مقارنة بالسنوات الأخرى إذ سجل 75 مجندا سنة 1914 ليصل إلى 419 مجندا سنة 1916.

وبالرغم من النتائج الكارثية التي أدت إليها المشاركة في الحرب العالمية حيث بلغت حصيلة القتلى حوالي76000 أما عدد الجرحى فقدر عددهم بـ82000، إلا أنها عادت ببعض الإيجابيات على الصعيدين السياسي والعسكري؛ ومن بينها:

أفضت هجرة اليد العاملة الجزائرية 1914-1919، ومشاركة عمال المناجم في الحرب العالمية الأولى إلى الاحتكاك بالمجتمع الفرنسي والإطلاع على الإتجاهات السياسية، وخلق ذهنية جديدة بالانخراط في النقابات العمالية الفرنسية، والدخول في الحزب الشيوعي الفرنسي، وتنمية روح التضامن، ومعرفة حق الشعوب في تقرير مصيرها، والمطالبة بإلغاء جميع قوانين التمييز العنصري وتشغيل اليد العاملة في فرنسا.[47] والمساواة في الخدمة العسكرية بين المجندين الجزائريين والجنود الفرنسيين، والتأكيد على ضرورة تمثيل المسلمين في البرلمان الفرنسي وإلغاء قانون الأهالي، وبالرغم من سعيه إلى بناء أمة جزائرية بمقومات عربية إسلامية ورفض مطالب دعاة الإدماج، وشجع الأمير خالد المهاجرين على تأسيس هيئة سياسية تجمع شمل العمال المغاربة.[48]

وتم إنشاء جمعية الإخوة الإسلامية 1925 بهدف عدم الذوبان في المجتمع الأوروبي،[49] وفي أكتوبر من نفس السنة تم تأسيس نجم شمال إفريقيا بعد إجتماع جمعية الأخوة الإسلامية مع بعض المستقلين

والشيوعيين، إذ دعى مصالي الحاج ضرورة مقاطعة التجنيد الإجباري .كما أنشأ فرحات عباس الذي تطوع في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية حزب سياسى المعروف بالإتحاد الشعبي الجزائري، مما مهد للدخول في النضال السياسي إلى غاية تفجير تورة التحرير الكبرى.

الخاتمة:

هيأت ظروف الحرب الباردة التي شهدتها أوروبا المناخ المناسب لنشوء الثورة الأوراسية، وما ترتب عليها من تطورات داخلية عرفها المجتمع الأوراسي طيلة تواجد المستعمر الفرنسي، والذي جاء تجسيدا لمشاريع إستيطانية بما تضمنه من ممارسة قمعية، والتي كان لها تأثيرا في تفجير إنتفاضات متكررة.

فلم يحرك قانون الغابات، ولا الأهالي ولا المحاكم الرادعة الشعب الجزائري كما فعل قانون التجنيد الإجباري، حيث رفضت أغلبية الدواوير تجنيد أبنائهم وأنهم مستعدين لدفع الضرائب والتخلي عن ماتبقى من أراضيهم مما أدى في نهاية المطاف إلى تفجير الثورة الأوراسية عام 1916.

بالرغم من إخماد الثورة الأوراسية من طرف الإستعمار الفرنسي إلا أن رفض قرار التجنيد الإجباري كان بداية إنبعاث الروح الثورية كالحاصل في أولاد عوف، وفي عين التوتة عام 1926 برفض قرار التجنيد الإجباري مجددا، لذلك مثلت مسألة التجنيد الإجباري محطة هامة في تاريخ الثورة الجزائرية.

شكلت الثورة الأوراسية قاعدة للعمل السياسي، وبداية النضال السياسي بعد الهجرة إلى فرنسا من خلال بالمطالبة بتحسين أوضاع المجندين الجزائريين في فرنسا، وفضح السياسة الإستعمارية القائمة على التميز العنصري بين الأوربيين والجزائريين في الجزائر، وإزداد البعد الثوري خلال الحرب العالمية الثانية ببروزنشاطات عسكرية ضد السلطات الفرنسية مهدت الطريق نحو التحريرية الكبرى.

الهوامش:

[1]- Michael G Roskin And others, Political Science An Introduction (New jeresy pearson Education ,2008) , pp 359-378

2- العربي دحو، الشعر العربي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس(الجزائر:الوؤسسة الوطنية للكتاب،1989، ج.1)، ص.14.

3- محمد العيد مطمر، حامي الصحراء أحمد بن عبد الرزاق حمودة العقيد سي الحواس، (الجزائر: دار الهدى للنشر والتوزيع)، ص..12

4- عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الإستعار الفرنسي: التطورات السياسية والإقتصادية والإجتماعية1837-1839، (الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع ج1،2009)، ص8.

5- محمد الصغير هلايلي، شاهد على الثورة في الأوراس،(الجزائر: دار القدس العربي، 2012)، ص ص.33-34.

6- عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس 1874، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص35.

7- مصطفى بوتفنوشت،(ترجمة) : أحمد دمري ، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص.43 .

8- المرجع نفسه، ص 273.

9- رمضان بورغدة، "مصادرة الأراضي والضرائب والغرامات وأثرها على المجتمع الجزائري"، البحوث والدراسات الإنسانية،ع 3،جوان 2008، سكيكدة : جامعة 20 أوت 1955، 358.

10- عبد الله شافعي، ثورة الأوراس 1916،باتنة : جمعية أول نوفمبر، 1996، ص4.

11- جمعة بن زروال، "المجتمع في منطقة غسيرة وأحمر خدوا من خلال قانون سيناتوس كونسيليت 1863"، مجلةالأحياء، ع.22، سبتمبر2019 ،699.

12- المرجع نفسه.

13- محمد عيساوي؛ نبيل شريخي، الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، (الجزائر: مؤسسة كنوز للحكمة،2011) ، ص30.

14- كريم ولد النبية، "سياسة الإخضاع وقوانين الأنديجينا من خلال أرشيف الإدارة الإستعمارية في الجزائر"، الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع2 ديسمبر 2011، ص 3.

15- عمار عمورة، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر : دار الريحانة للنشر والتوزيع ، ، دار الرىحانة للنشر والتوزىع ،2002،ط)1، ص. 129.

16- Dispense ch , « Le Régime De L'indigénat Algérienne »,1912, N72, p.311.

17- العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة (الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1995)، ص.11

18- عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص ص، 311-321.

19- عبد الله شافعي، مرجع سابق، ص84.

20- أحمد محمد السليماني، "نزع الملكية العقارية للجزائريين (1830-1871)"، المصادر، ع 06، 2002، الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص.118-120.

21- عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان الإستعمار، مرجع سابق، ص ص.293-294.

22- عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936، ج1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص50.

23- لصديق تاوتي، (ترجمة) يحيى بوعزيز، العائدون إلى كاليدونيا الجديدة مأساة هوية منفية، (الجزائر، در الأمة للنشر والتوزيع ، 2007) ،ص44.

24- آيت حبوش حميد، " التجنيد الإجباري 1912 دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه"، الحوار المتوسطي ع2، المجلد االتاسع، 2018، ص ص 276.

25- Payson , « le service obligatoire pour Les Indigènes en Algérie », Revue Africaine N52 , 1908 p.126

26- Sée Achille , La Conscription Des Indigènes d'Algérie ,Paris ,1912 ,p.29.

27- آيت حبوش، مرجع سابق،ص278.

28-Lautent Guyot et Karine Ramondy, Bulletin De Liason, « Histoire Géographie Education Civique », N27, Janvier 2008.p3 .

29- عبد الرحمن بن براهيم، مرجع سابق، ص33.

30- بلحاج ناصر،"في رفض التجنيد الإجباري في الجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918)"، الواحات للبحوث والدراسات،ع.3 ،2008، ص17.

31- بلحاج ناصر، مرجع سابق ، ص17.

32- حمادي بوقطوشة، صفحات من تاريخ الأوراس مساهمة أولاد سيدي سليمان في المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، الجزائر : دار الشيماء للنشر والتوزيع،2018، ص39.

33- آيت حبوش، مرجع سابق، ص281.

34- عبد الله شافعي، مرجع سابق ذكره ، ص ص.1887-197.

35- مسعود عثماني، أوراس الكرامة أمجاد وإنجاد (الجزائر: دار الهدى ،2008)، ص123.

36- المرجع نفسه، ص198.

37- عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية1962، (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1997 ، ط 1)، ص ص213-214.

38- آيت حبوش، مرجع سابق ذكره، ص284.

39- وناسي لزهر،"دورة المائة عام 1916-2016 الأوراس والثورة المنسية" https://bit.ly/2Zz3ZcD، (تم زيارة الموقع يوم16-5-2016 على الساعة 15.15).

40- حمادي بوقطوشة، مرجع سابق ، ص40.

41- مختار فيلالي ، ثورة 1916 في الأوراس أسبابها وسيرها ونتائجها، (باتنة : مطبعة عمار قرفي ،1996)، ص.19.

42- عبد القادر بلجة، مسألة تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وإنعكاساتها على المجتمع الجزائري 1907-1945، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في

التاريخ الحديث والمعاصر، سيدي بلعباس: جامعة جيلالي اليابس 2016، ص256.

43- حمادي بوقطوشة، مرجع سابق ذكره، ص43.

44- المرجع نفسه، ص44.

45- شارل روبير آجرون،" الاضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني نوفمبر1916-فيفري 1917"، الأصالة ع 63،سبتمبر 1978، ص ص.9-14.

46- حمادي بوقوطوشة ،مرجع سابق، ص ص.43-44.

47-عبد القادر بلجة، مرجع سابق، ص257.

48- عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا، (الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية ،2007)، ص01.

49- عبد القادر بلجة، مرجع سابق، ص.267.

ثورة الأوراس 1916 بمنطقة بلزمة بقيادة عمر أو موسى

أ. لخميسي سليماني - جامعة باتنة-1-

مقدمة

لقد كان الأوراس طيلة العهد الاستعماري معقلا للثورات والانتفاضات، وادي الماء واحدة من المناطق الأوراسية التي شهدت ماوقع في المنطقة سنة 1916 كيف لا وهي المنطقة التي تحتضن جبل مستاوة هذا الجبل الذي لطالما كان مقبرة للغزاة وهي المنطقة التي أنجبت بطلا سمي أسد مستاوة ألا، وهو عمر بن موسى عقيني، كما يذكر لنا التاريخ ودونه الفرنسيين في تقاريرهم أن أول رصاصة أطلقت ضد الجنود الفرنسيين خلال ثورة 1916 في شهر نوفمبر كانت بقرية تاجنانت ببلدية وادي الماء.[1]

لطالما كانت كل الثورات الشعبية في الجزائر تنسب لأبطالها وقادتها وزعمائها من أحمد باي إلى عبد القادر إلى بوعمامة والحداد والمقراني وفاطمة نسومر وبن ناصر بن شهرة لكن ثورة 1916، أو انتفاضة الأوراس الثانية لم تنسب لقائدها، ولم يذكر لنا التاريخ زعيمها وعرابها فظل تاريخ هذا القائد مجهولا إلى يومنا هذا إلا من بعض الشواهد التي تتناقلها الذاكرة الشعبية فالبعض يقول أنه نفي إلى الشام والبعض الأخر يقول أنه التحق بفلسطين، أو تركيا فلما لا نسلط الضوء على تاريخ الرجل وننصفه ونخلد لذكراه.

بعد مرور قرن من الزمان على تاريخ اندلاع ثورة 1916 كان لزاما علينا أن نبحث عن تاريخ هاته المقاومة، وعن قائدها المدعو: "عمر أو موسى عقيني" من عرش لحليمية، وأصيل قرية تاجنانت ببلدية وادي الماء، وهو ثائر من ثوار الأوراس أو بالأحرى أسد مستاوة.

كثير من المؤرخين يرجعون أسباب فشل ثورة 1916 إلى غياب قيادة سياسية وقيادة عسكرية على غرار باقي الثورات، لكن هل يمكن فعلا أن ننسى الدور القيادي الذي لعبه مجموعة من الشخصيات الثورية وعلى رأسهم عمر أو موسى عقيني.

1ـ الأوضاع السياسية والاقتصادية في منطقة وادي الماء قبل اندلاع ثورة 1916

قبل الخوض في الأوضاع السياسية والاقتصادية يجب التذكير أن ثورة 1916 بالأوراس لم تكن إلا امتدادا لمقاومات أخرى شهدتها المنطقة مثل انتفاضة 1848، و1871 بجبل مستاوة ومنطقة بلزمة، فلابد أن ذاكرة سكان هذه المناطق لم تنس الجحيم والانتقام الذي لحق بالمنطقة كنتائج لهذه المقاومات من سقوط الضحايا وتهجير للعائلات واستيلاء على الأراضي والممتلكات وفرض الضرائب والغرامات ومصادرة الأراضي سنة 1903، وما بعدها من أجل إنشاء مستوطنات على أراضيهم في مروانة (كورناي) ووادي الماء (برنال) وسريانة (باستور)، واضطروا أن ينتقلوا إلى غابات بلزمة ولاحقهم حراس الغابات واعتقلوهم وقدموهم للمحاكمة أمام محكمة باتنة التي أصدرت ضدهم أشغالا شاقة مدتها 18 شهرا.[2]

1.1ـ قانون نزع الأراضي واستحداث البلديات المختلطة في منطقة واد الماء

إن الضغط الاستعماري المتمثل في الضرائب ومظالم القياد وسنوات الجفاف وانتزاع الأراضي، والطرد الجماعي نحو السفوح الجبلية سواء من قبل الإدارة والمعمرين، أو من طرف حراس الغابات، كل هذه العوامل كانت كافية لاندلاع الانتفاضة إلى الثورة والتمرد وفوق هذا كله، فإن الاستياء الكبير الذي انتشر لدى الجزائريين فقد كان لمصادرة أراضي السكان في مطلع القرن العشرين بعين التوتة ووادي الماء ومروانة وسريانة بمنطقة الأوراس لإنشاء مراكز توطين للمهاجرين الأوروبيين، وتأسيس البلديات المختلطة منها بلدية بلزمة عام 1904 لتشجيع الاستيطان الأوروبي، وتقديم المساعدات للمستوطنين الأوروبيين بهدف تثبيت الوجود الفرنسي وتكريس السياسة الاستعمارية وتوالت سياسة نزع الأراضي في كامل أنحاء منطقة الاوراس،[3] لإحداث مراكز استيطانية التي تحولت فيما بعد إلى بلديات كاملة الصلاحيات وبلديات مختلطة.[4]

فعلى سبيل المثال بلدية وادي الماء BERNELLE أُسست سنة1899 وألحقت بالبلدية المختلطة بلزمة بمرسوم 1904/09/27 وأصبحت تسمى برنال بموجب مرسوم 1915/12/28،[5] وبلدية مروانة CORNEILLE بداية من سنة 1900 وكانت بلدية وادي الماء تحصي 254 مستعمر

أوروبي ومروانة تحصي 265مستعمر أوروبي،[6] وقد انتزعت الأراضي من أهلها ومنحت للمعمرين وطرد الأهالي إلى سفوح الجبال، وبناء على قول أجرون AGERON فان سكان الأوراس قد بدأو منذ سنة 1914 ينادون جهرة باسترجاع أراضيهم، وكانوا يصرون على الرعي في أراضي المعمرين، وفي الغابات ويتوعدون رجال مصالح الغابات والمعمرين بالانتقام في أية فرصة.[7]

1ـ2ـ سكان منطقة وادي الماء وقانون التجنيد الإجباري

بحلول سنة 1914 كان الجزائريون يعانون المرض والمجاعات المختلفة، خاصة بعد أن توسع قانون الأهالي وبات الوضع في هيجان، وكانت علامات هذا الهيجان بارزة خاصة في عاصفة قانون التجنيد الإجباري، والشباب الذي كان معنيا بالتجنيد يهرب إلى الجبال وينظم حرب عصابات ضد الفرنسيين حيث عارض الجزائريون قرار التجنيد لأنهم كانوا يرون فيه مساسا لشخصيتهم الإسلامية، رغم أن النخبة المثقفة قد قبلت مبدأ الخدمة العسكرية لكنها اشترطت أن تمنح للجزائريين الحقوق السياسية والمدنية سواسية مع المعمرين الأوروبيين، بعد ما كان الجزائريون الذين يعملون في الجيش الفرنسي يعتبرون كمواطنين يتقاضون أجرا لجأت فرنسا مع بداية القرن العشرين إلى تطبيق مشروع آخر فريد من نوعه لاستنفاذ الطاقات البشرية المتبقية عن سياسة الإبادة والتشريد، وهو تطبيق التجنيد العسكري الإجباري على الجزائريين،[8] حيث أقر مرسوم 03 فيفري 1912 تجنيد الأهالي الجزائريين وأنشأ عروضا خاصة بالعلاوات والمنح،[9] حيث طبقت فرنسا قانون التجنيد الإجباري متجاوزة إطار القوانين الاستثنائية التي كانت تميز الفرنسيين والجزائريين في كل شيء، كما أن ظهور بوادر الحرب العالمية الأولى1914-1918 قد أدى بدوره إلى إصرار الحكومة الفرنسية على تطبيق هذا الإجراء، حيث كونت لجنة خاصة للنظر في تطبيقه، وكان رد الفعل عنيفا من الجزائريين.

كانت فرنسا في 1916 في أمس الحاجة إلى قوات إضافية، لذلك عزمت على تجنيد الشباب البالغ من العمر 17سنة، وإرسالهم إلى جبهات القتال في أقرب الآجال، ومن جهة أخرى، أثراً بالغا في اندلاع الاضطرابات

بالمنطقة مما جعل محكمة الجنايات بباتنة تصدر أحكاما متفاوتة على المتهمين بالسجن وانتقاما من ذلك، رفض الجزائريون الانصياع لقوانين المستعمر، وأعلن الرافضون لقانون التجنيد الإجباري في ديسمبر 1914 بأنهم :"لا يريدون التجنيد ،لا نسلم لكم أبناءنا".[10]

يقول"ديبون Depont": أن أول دوار رفض دعوة التجنيد هم أولاد عوف من بلدية عين التوتة وكان تصرفهم هذا خطيرا جدا لأنهم بهذه الطريقة يحرضون غيرهم على رفض التجنيد الإجباري، وهو ما يهدد الأمن العام ومستقبل فرنسا في الجزائر،[11] وقد شهدت بلدية عين التوتة أحداثا عنيفة في 28 و29 ماي 1912 تاريخ إجراء القرعة الخاصة بالتجنيد حيث لم يحضر المسجلون في قوائم الإحصاء إلى البلدية التي أصبحت مسرحا لمظاهرات أهالي المنطقة وشهدت كذلك منطقة القنطرة في 24 جوان 1912 نفس الأحداث حيث قال أحدهم: "يا حاكم نحن نرفض أن يجند أبناؤنا"،[12] فقد جاء في تقرير المسؤول الإداري:"إن هؤلاء الشاوية عازمون على اللجوء إلى الجبال والثورة على السلطات المحلية إذا طبقت التجنيد الإجباري"[13]

وقد عبروا فيها على أن قانون التجنيد الإجباري كان:

أولا: معاديا للديمقراطية لأنه كان مطبقا على الفقراء فقط.

ثانيا: مهينا للجزائريين لأنه وعدهم تعويضا قدره 250 فرنك وهو تعويض جعلهم يشعرون بأنهم كانوا مرتزقة لا جنودا. (ينظر الملاحق رقم 02و03 و04).

إن السبب الظاهر والمباشر لهذه الانتفاضة هو رفض التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين، وذلك عكس ما كانت تتوقعه الإدارة العسكرية من إقبال الناس على التجنيد لا يجاد حلول لمشاكلهم الاقتصادية المتدهورة خلال أعوام 1914-1916، لقد كانت هذه الانتفاضة في كل مناطق الأوراس وخاصة في كل من عين التوتة ونقاوس ومروانة، ووادي الماء، وبريكة وضواحيها كرد فعل جماعي قوي ضد السياسة العسكرية الاستعمارية المتمثلة في قوانين 1907، والمرسوم الصادر في 03 فيفري 1912 حول

التجنيد الإجباري للشباب وكذا أعمال التسخير في المزارع والمصانع بفرنسا.

كما أن الأخطاء التي ارتكبها حكام البلديات ورؤساء الأهالي وحراس الغابات في حق المواطنين قد ساهمت هي الأخرى في إثارة الحساسيات، وأدت إلى بروز العنف الثوري في الأوراس.[14]

1-3- دور الزاوية الرحمانية في ثورة 1916

على غرار دورها الهام والفعال في ثورة 1871 بفعل تأثيرها الديني قام شيوخ الزوايا في كل مناطق الاوراس بعقد اجتماعات سرية لتقديم الدعم والمساندة للثوار وصنعوا تحالفا مع الثوار،[15] ففي ناحية وادي الماء يوجد بها شيخا صوفيا يدعى بوزيدي محمد بن الطيب الملقب بمول القرقور كان له دور مهم خلال اندلاع الأحداث بالمنطقة خاصة، وأن زاويته كانت قريبة من الجبل، وهذا بشهادة الفرنسيين في تقاريرهم التي أعقبت الحدث، وفي ناحية عين التوتة يوجد الشيخ بلوذيني وبوهنتالة وفي ناحية نقاوس وبومقر نجد الشيخ بوراضي محمد صاحب البرنوس الأحمر الذي كان حاضرا في الاجتماع الذي عقده عمر او موسى ببومقر تمهيدا للثورة،[16] هاته الشخصيات الدينية كان لها تأثير كبير على المواطنين لتوعيتهم وتجنيدهم، كما ساهمت في جمع التبرعات والأموال لثوار 1916.

وقد اتهمت الزاوية الرحمانية بالتحريض على الثورة ودعم سكان الأوراس وانسجامها مع فطرتهم في النهي عن النكر والأمر بالمعروف.[17] ويرى لويس رين louis Rinn أن الحركات الدينية كانت تسعى لتوحيد الأهالي تحت سلطة رجال الدين، وأنهم الفضل الخفي الذي تقوم به الطرقية الإسلامية.[18]

2- الدور السياسي والعسكري الذي لعبه عمر أو موسى في قيادة ثورة 1916

خلال هذه الفترة المليئة بالمظالم والضيم والقهر الذي كانت تعيشه المنطقة جراء القوانين الجائرة سواء تعلق الأمر بقانون الأهالي، أو نزع الأراضي أو التجنيد الإجباري لأبناء المنطقة ظهر المقاوم عمر بن موسى عقيني في جبل مستاوة، باحثا عن مخرج لإنقاذ أبناء وطنه من مخالب

ومظالم الاستعمار، وينتمي بدوره إلى فرسان القمم المتمردين على الإدارة الفرنسية أمثال بن النوي والمسعود بن زلماط.

2.1ـ أهمية جبل مستاوة في احتضان ثوار 1916

مستاوة ذلك الجبل الشامخ الواقع جغرافيا شمال بلدية وادي الماء ويتوسط كل من بلديات وادي الماء،سريانة، عين جاسر، ومروانة وتمتد سفوحه إلى سهول بلزمة والجبل ذو تسمية شاوية ويقصد بمستاوة ثمستاوث/مذكر امستاو= المكان العاري لا نبات فيه.[19]

لطالما كان جبل مستاوة مقبرة للغزاة ورمزا للتمرد والعصيان عبر مرور الزمان والعصور من العهد العثماني إلى التواجد الفرنسي فقد شهد الجبل ثورات متعددة سنة 1771 ضد صالح باي، وسنة 1794ضد مصطفى باي الوزناجي، وسنة 1811 ضد نعمان باي ، وسنة 1818 ضد محمد شاكر باي فقد كانت هذه الثورات ضد سياسة الضرائب المرهقة التي كانت تتبناها الدولة العثمانية التي أنهكت المواطنين.

كما أن هذا الجبل كان شاهدا على ثورة أو ما يسمى في كتب الفرنسيين تمرد 1871ضد الفرنسيين،[20] ووصفت معركة مستاوة 17ماي 1871 التي دامت أربعة أيام بأنها الحرب الأكثر دموية في إفريقيا للجيش الفرنسي حيث خسر فيها الفرنسيون30 ضابطا وأصيب سبعة آخرون بجروح، أما الجنود فقد قتل منهم 13وأصيب 111بجراح.[21]

ولعل أصدق تعبير عن المأساة التي تعرض لها الأهالي بجبل مستاوة هو ما جاء على لسان الشاعر أحمد لوصيف شاهد عيان للأحداث في قصيدة شعرية كانت تردد في الأوساط الشعبية ونصها :

من مستاوة الى عين ازال كثرت فيها الاهوال
ذبحت فيها الاموال واتخذت العربية
رجال دهموا الجبال والسلقان جاب حنابل
حياك والزربية المدفع والكورنيير
والقياد والدواوير في الرجال تخير والرومي متحزم بطريق
يارب لالي رفيق حل علي هذا الطريق.[22]

2.2ـ عمر أو موسى ودوره في تفجير الثورة في ناحية وادي الماء

عرفت منطقة وادي الماء البوادر الأولى للانتفاضة سنة 1914، وتميزت بالتجمعات المختلفة للأهالي المتذمرين، وحدث أن تم رشق المقار العمومية بالحجارة وكما هو الحال في مقر المركز الأوروبي لكورناي في نفس الفترة، وقد وجهت الإدارة الفرنسية أصابع الاتهام للثائر عمر اوموسى عقيني لضلوعه المباشر في الأحداث بصفته المحرض والعقل المدبر لها.

خرج هذا المجاهد بعدد قليل من رفاقه منذ 1915 بعد خلافاته مع حراس الغابات وورشة عمال النجارة لأحد معمري وادي الماء، فقام بإحراقها وقتل أحد عمالها فأصبح مطاردا وهاربا من قبل قوات الدرك والقياد، وصادفت هذه الأحداث بداية تطبيق التجنيد الإجباري فقام على تشجيع الفارين والرافضين، وأخذ ينظم المجاهدين ليفتح جبهة مستاوة ضد الاستعمار.[23]

عقد اجتماعا مع الأعراش وطالبهم بجمع الأسلحة وتقديمها للقادرين على حملها وفتح الطريق لكل من يريد الانضمام إليه، وأشترط عليهم أن يكونوا مسلحين وخاطب الحاضرين :"أيها الناس إنها الفرصة الأخيرة لنا ومن خرج منكم مجاهدا في سبيل الله فإنما يجاهد لنفسه وعرضه"، وتؤكد المصادر الشفوية بأن الحاضرين قد وافقوا على الخطة وبدأ المتطوعون يتقاطرون على مستاوة من كل الجهات المجاورة، أما عن انطلاق الثورة فإنه قد أشار بأنها ستنطلق في نقطة ما ؟ لكن ما نرجوه هو الحفاظ على السرية وتلبية نداء الجهاد بسرعة كما يجب على كل دوار أن يبدأ في تنظيم الهجومات على المعمرين ومصادرة أموالهم وإضرام النار في ضياعهم مع تهديم الجسور ليلا، وتخريب وإحراق أبراج حراس الغابات بالإضافة إلى تهديد القياد وحراسهم، وأخيرا ختم كلمته :"والآن يمكنكم أيها الإخوان أن تنصرفوا واعلموا أن هذه الثورة تحتاج إلى الرجال والمال والسلاح ".[24]

وقال مخاطبا الحاضرين في موضع آخر من كلامه:" أنه لا يخفاكم أن العدو يملك إمكانيات كبيرة أما أنتم أيها المتطوعون فكونوا قلبا واحدا ويدا واحدة ولا نتراجع عن هذا الأمر حتى ننتصر، أو نهلك دونه وعندئذ نفوز بالنصر أو الاستشهاد أما أنتم أيها الشيوخ فاطلبوا الله أن ينصرنا،

ويثبت أقدامنا على الكفار، ثم إياكم وإفشاء السر، وأن باب التطوع مفتوح لكل من يرغب في الجهاد".

هكذا بويع عمر بن موسى ورفاقه على بداية إعلان الجهاد ضد الكفار، واسترجاع ما أخذ من السكان، ثم محاولة إنقاذ الرجال والشبان المدعوين إلى الحرب أو العمل في فرنسا.

2.2.1. نشأته الاجتماعية

ولد عمر أو موسى عقيني (عمر بن موسى) سنة 1885، وهناك من يقول 1889 بمشتة تاجنانت بوادي الماء من أب يدعى موسى والأم مسعودي مرزوقة حيث نشأ وترعرع فيها وينتمي لعرش لحليمية، يمتاز بالأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن، أنيق في هيأته زادته لحيته الكثيبة مهابة مولع بالفروسية والصيد وحياة البداوة يحترمه الكبير والصغير يحضرالاجتماعات التي يعقدها أعيان الأعراش للصلح وجمع الشمل، وكانت كلمته مسموعة لدى الجميع رغم صغر سنه، وهو صاحب المواقف الحاسمة في كبره، ولم يكن من قطاع الطرق، ولا من الصعاليك كما كانت تصفه السلطة الفرنسية بعد قيام ثورة1916[25]

أنجب بنتا وحيدة والمسماة تركية المولودة سنة 1917 والمتوفية في 11 مارس 2002، ومما تداولته الروايات الشفهية أنه بقي في اتصال معها عن طريق التراسل إلى بداية الخمسينات.

أثناء عمله الاجتماعي داخل المجتمع كان يشعر بالظلم المسلط على الشعب من طرف فرنسا بقوانينها (قانون الأهالي)، واغتصاب أراضي المواطنين التي كانت ملكا لهم منذ قديم الزمان وتوزيعها على المعمرين الذين جلبتهم فرنسا من أوروبا وكذلك على قدماء المحاربين الفرنسيين.

2.2.2. نشاطه في التحضير للثورة

إنضم إليه العديد من أبناء المنطقة سواء من ناحية وادي الماء أو مروانة خاصة الفارون من الخدمة العسكرية وعقد اجتماعا لكبار الأعراش في مكان بين وادي الماء ومروانة، وأعلن أمامهم عن قيام الثورة لمحاربة فرنسا وطلب من المشايخ ومن الأعيان مساندته وتوعية الشعب، وألقى أمامهم خطابا هاما يطلب منهم المساندة لأن الثورة تحتاج إلى الرجال

والمال والسلاح وحثهم على جمع الزكاة من الحبوب والحيوانات وعلى جمع التبرعات.[26]

3.2.2 العمليات الأولية

قام عمر او موسى بتنظيم قيادته وقواته لمواجهة العدو الفرنسي، واتخذ جبل مستاوة مقرا لو ومركزا للتموين لحصانته ومناعته ودروبه الصعبة وغابته الكثيفة ومغاراته المتعددة حيث قام ورفاقه بمجموعة من العمليات أهمها:

- في 27 أكتوبر1916 شهدت منطقة بلزمة عدة عمليات، وهجومات ضد العدو وعدة اغتيالات أسفرت عن اغتيال حوالي18 شخص وإحدى وعشرين عملية تخريب وتدمير لضيعات المعمرين ومعمل الخشب بوادي الماء.
- في 8 نوفمبر 1916 نصب المجاهدون بقيادة عمر او موسى كمينا لقوات العدو الفرنسي المكونة من الجندرمة والزواف في مضيق غابة تاجنانت قرب وادي الماء.
- في 30 نوفمبر 1916 هاجم المجاهدون بقيادة عمر اوموسى الدورية المكونة من عساكر الزواف وعددهم 50 في الطريق الرابط بين وادي الماء وباتنة، وأنقذ الشباب المجندين بالقوة للخدمة العسكرية، وبعد العملية دخل مدينة مروانة بقوة واحرق مقر البلدية، وحاصر حاكم الحوز في مقر سكناه وأطلقوا عليه وابلا من الرصاص من غير إصابة، [27]، هذه أهم العمليات الجريئة الناجحة التي قادها عمر اوموسى عقيني.(ينظر الملحق رقم 01).

3.2 موقف فرنسا وردود فعميا إزاء الثورة ومصير عمر اوموسى بعد فشل الثورة

في 16 نوفمبر 1916وضع الجنرال MINIER تحت تصرف الوالي العام الذي أسند كل الصلاحيات العسكرية والمدنية إلى رئيس دائرة باتنة الذي طلب النجدة العسكرية، وفعلا وصلت الوحدات المكونة من السنغال، و8 فرق من الزواف وارتفعت هذه القوات إلى 13892عسكري، و275 ضابط، وأسندت قيادة هذه القوات إلى الجنرال BONIVAL الذي أعطى إشارة الانطلاق لمحاصرة جبل مستاوة من أربع جهات والقيام بعملية

التمشيط، ووقعت معارك ضارية منها المعركة التي قادها عمر او موسى واستعمل فيها الجيش الفرنسي المدفعية والطيران وقام بحرق المنازل وسلب الأموال من المواطنين العزل، وقتل العديد من الثوار والمدنيين والقي القبض على آخرين،[28].

ونظرا لهذه الأعمال الوحشية فشلت الثورة ناحية وادي الماء وتراجع البعض عن مساندة البطل الثائر عمر او موسى، وبقي مطاردا في الجبال دون أن تتمكن فرنسا من القبض أو القضاء عليه، وفي سنة 1918 انتقل من جبل مستاوة إلى جبل شيليا حيث مكث هناك هاربا لمدة من الزمن، ثم انتقل إلى القالة متنكرا واتصل بأحد المعمرين من أصل كورسيكي باحثا عن عمل فاشتغل عنده راعيا للبقر، وبعد فترة من الزمن اضطر أن يكشف للمعمر عن هويته ووضعيته طالبا منه ان يساعده للتوجه للمشرق العربي او تركيا، فاستجاب لو وساعده واحضر لو وثائق وأرسله مع تجارته في باخرة متوجهة للشام، ومن هنالك توجه إلى تركيا ويروى كذلك انه بعث برسالة لأهله في وادي الماء يخبرهم فيها انه سيتوجه إلى فلسطين للمشاركة في ثورة1948، [29]مواصلا رحلة الجهاد ضد الكفار حتى خارج الوطن،وهو أخر خبر عن البطل المقاوم الثائر هذه مسيرة رجل عظيم ثائر شرف الاوراس بنضاله وكفاحه وجهاده رغم قلة الإمكانيات والوسائل إلا أن إيمانه بعدالة القضية منحه القوة والعزيمة لمجابهة جبروت ووحشية فرنسا الإستعمارية.

الخاتمة

برهنت ثورة 1916 بالأوراس عامة وبمنطقة بلزمة خاصة مرة أخرى لفرنسا المتجبرة أن المقاومة الشعبية الجزائرية لم تنته، وأن الجزائريين يرفضون القيود الاستعمارية التي فرضت عليهم منذ الاحتلال الاستعماري لأرضهم، ومن نتائج هذه الثورة أنها أخرت على الأقل الزج بشباب المنطقة إلى الانتحار والموت بوقوفها ضد التجنيد الإجباري.

رغم غض الطرف الفرنسي عن ثورة 1916 بالأوراس إلا انه لا يمكن تجاهل أهميتها، وذلك من خلال ردود الفعل حولها، فبمجرد قيام الانتفاضة سارعت فرنسا إلى نقل لوائين من ميدان القتال إلى الاوراس من اجل إخماد

الثورة التي تهدد الوجود الاستعماري بالإضافة إلى استقدام الطيران وكتائب الزواف والسنغال من تونس ومن مناطق أخرى من الجزائر، وذلك باعتراف الكتاب الفرنسيين أنفسهم.

ثورة 1916 مرحلة هامة من تاريخنا وصفحة مشرقة في تاريخ نضال الشعب الجزائري ضد فرنسا التي منذ وطأت أقدامها ارض الجزائر لم تنعم يوما بالسلم والطمأنينة ففي كل مرة تنفجر ثورة، أو انتفاضة أو تمرد في منطقة ما من أرض الجزائر.

على الرغم من كون آمال الجزائريين لم تتحقق في التخلص من الاستعمار وتسلطه في مقاومة الأوراس لعام 1916، إلا أن آثار هذه الانتفاضة ومآسيها بقيت ماثلة في أذهان سكان المنطقة وفي كتابات المؤرخين وقصائد الشعراء حتى اندلاع ثورة أول نوفمبر المجيدة.

فمن محاسن الصدف التاريخية أن تكون آخر ثورة شعبية عرفتها الجزائر كانت في شهر نوفمبر بالأوراس، وتنفجر شرارة ثورة أول نوفمبر 1954 من الاوراس كذلك، ونحن نقلب صفحات كتب التاريخ باحثين عن مصادر ومراجع لثورة الاوراس 1916 لا نجد لها ذكرا إلا اليسير من المعلومات وأغلبها منقولة من روايات شفهية لأناس عايشوا المرحلة أو تناقلوها شفهيا عن آباءهم وأجدادهم مما يجعلنا مسؤولين معنويا وأدبيا ونحن أبناء المنطقة عن كتابة وجمع بعض ما كتب وقيل عن هذه الثورة ليكون سندا ومرجعا لتدوين صفحة ناصعة من تاريخ نضال شعب حر ومنطقة مجاهدة بطبعها ضد قوى الاستعمار.

اليوم ونحن نحتفل بمئوية هاته الثورة علينا أن نكتب تاريخها بكل موضوعية وجدية بعيدا عن الأنانية والذاتية وتقديس العرش أو الشخص، فثورة 1916 تاريخ وإرث مشترك للجزائر بصفة عامة وللأوراس والمنطقة بصفة خاصة.

الملاحق

الملحق رقم 01:

وثيقة صادرة عن الإدارة الفرنسية تؤكد البحث عن عمر عقيني بن موسى باعتباره خارجا عن القانون وانه مسلح ببندقية حربية ومزود بذخيرة وخراطيش كثيرة ومحكوم عليه ب20 سنة اشغال شاقة بعد مشاركته في انتفاضة1916 واغتيال احد القياد سنة1917 والهجوم على سيارات عمومية تقوم بالخدمة بين المعذر وسريانة سنة 1918.

COMMUNE MIXTE DU MELMELA

Exécution de la note du 28 Avril 1921 n°2711 de M.le Sous-Préfet.

MALFAITEURS A ARRETER

1?-AGGUINI(Amor ben Moussa),38 ans,haute taille,teint coloré,moustache et barbe noirs,vêtu de deux burnous usagés,d'une chemise et d'une gandoura;coiffé d'un turban;chaussé de sandales en peau de boeuf.

2?-AGGOUN (Hamenna ben Ahmed),36 ans,teint brun,moustache et barbe noires taille 1,60;vêtu d'un burnous usagé,d'une chemise et d'une gandoura.

Ces deux malfaiteurs sont armés de fusils de guerre et bien approvisionnés en cartouches.

Ils sont tous deux condamnés par contumace à 20 ans de Travaux forcés et 20 ans d'interdiction de séjour pour participation aux événement insurrectionnels de 1916.Ils ont,en 1917 participé à l'assassinat de l'indicateur [redacted] Mohammed,et en 1918 à l'attaque à main armée des voitures publiques faisant le service d'El Madher à Pasteur.

L'ADMINISTRATEUR,

الملحق رقم 02:

جدول احصائي للرافضين للتجنيد الاجباري الموقوفين والمقدمين امام اللجنة التاديبية

INSOUMIS DE LA CLASSE 1917 ARRETES ET DEFERES DEVANT LA COMMISSION DISCIPLINAIRE

COMMUNES	Nombre	Incorporés	Envoyés à Tadmit	Acquittés	Décédés
AÏN-EL-KSAR	1	1	-	-	-
AÏN-TOUTA	92	64	15	13	-
AURES	3	3	-	-	-
BARIKA	45	35	4	6	-
BELEZMA	170	150	13	4	3
KHENCHELA	9	8	-	1	-

الملحق رقم 03:

جدول احصائي للتطور التجنيد الاجباري بين سنوات 1912-1917

EVOLUTION SERVICE MILITAIRE OBLIGATOIRE DE 1912 A 1917 DANS LES COMMUNES MIXTES

AÏN-TOUTA - AURES - BARIKA - BELEZMA - KHENCHELA

Communes / Années	1912	1913	1914	1915	1916	1917	Total par Commune
AÏN-TOUTA	8 sur 40 Pr - 8 Ap 317 Io sur 402 Ins	exemption	40 sur 52 Pr - 27 Ap - 13 Rp	30 sur 36 Pr - 23 Ap - 7 Rp	55 sur 55 Pr - 46 Ap - 9 Rp	180 sur 464 Ins - 111 Ap - 69 Io	313 sur 647 Prévus 48,34 %
AURES	exemption	40 sur 42 Pr - 30 Ap - 6 Rp - 4 Ev	exemption	59 sur 59 Pr - 33 Ap - 8 Rp - 18 Ev	97 sur 97 Pr - 69 Ap - 28 Rp	287 sur 600 Ins - 287 Ap	483 sur 798 Prévus 60,53 %
BARIKA	exemption	81 sur 81 Pr - 18 Ap - 63 Ev	exemption	34 sur 35 Pr - 13 Ap - 5 Rp - 16 Ev	50 sur 50 Pr - 42 Ap - 6 Rp - 2 Ev	116 sur 356 Ins - 116 Ap	281 sur 506 Prévus 55,53 %
BELEZMA	exemption	86 sur 86 Pr - 86 Ev	exemption	52 sur 52 Pr - 38 Ap - 6 Rp - 8 Ev	60 sur 60 Pr - 51 Ap - 9 Rp	294 sur 571 Ins - 144 Ap - 150 Io	492 sur 769 Prévus 64 %
KHENCHELA	29 sur 29 Pr - 18 Ap - 11 Rp	exemption	28 sur 28 - 25 Ap - 3 Rp	31 sur 31 Pr - 21 Ap - 10 Rp	212 sur 212 Pr - 180 Ap - 32 Rp	453 sur 1047 Ins - 453 Ap	753 sur 1359 Prévus 54,41 %

Abréviations : **Ap** = Appelé ; **Ev** = Engagé volontaire ; **Ins** = Inscrit ; **Io** = Inscrit d'office ; **Pr** = Prévus ; **Rp** = Remplaçant

الملحق رقم 04 :

معلومات إحصاء المطلوبين للخدمة العسكرية والمجندين وقدماء الجيش وعمال مصانع الدفاع بمنطقة بلزمة لسنوات 1915-1916

Renseignements militaires fournis par l'administrateur de la commune mixte de Belezma, extraits d'un rapport au préfet de Constantine en date du 12 octobre 1916

- Appelés classe 1915 : 52
- Appelés classe 1916 : 60
- Anciens militaires mobilisés : 1
- Engagés du 2 août 1914 au 1er janvier 1916 : 11
- Engagés pour la durée de la guerre jusqu'au 15 juillet 1916 : 105
- Engagés du 1er janvier au 1er octobre 1916 : 50

TOTAL = 279

- Travailleurs pour les usines de la défense nationale : 15

TOTAL GENERAL = 294

الهوامش والمراجع:

1- Rapport de l'inspecteur générale des communes mixtes concernant les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna en.1916

2- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين ، ثورات العشرين ، وزارة المجاهدين ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2009،ص42.

3-الأستاذ أشرف مصطفى ، الجزائر الأمة والمجتمع ، (ترجمة) الدكتور حنفي بن عُيسى ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب ، 1983ص ص ، 13.

4 -Situation Alsaciens Lorans en Algérie Rapport de MR. Guynemer (ancien Priver Saverne), Paris 1873 , p 70.

5 -SERVICE DE COLONISATION.ANDRE BROCHIER.ARCHIVES NATIONALES.AIX EN PROVENCE.2002.P8

6 - Rapport de l'inspecteur générale des communes mixtes concernant les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna en 1916.

7 -AGERON(Charles-Robert) :Histoire de l'Algérie contemporaine, t. II, 1871-1954. - Paris, 1979.

8- ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط04، ج2، ص132.

9- محفوظ قداش ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939 ، (ترجمة) محمد بن البار ، دار الأمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،2011،ج1،ص124.

10- جمعية أول نوفمبر، ثورة الاوراس 1916، باتنة، 1996، ص176.

11- عبد الله الشافعي، ثورة الاوراس 1916 ضد التجنيد الاجباري الفرنسي للجزائريين، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1984، ص118.

12 -Gilbert Meynier ,l'Algérie réveillée ,la guerre de 1914-1918 et le premier quart du 20siecle, libraire droze,Genéve,1981,p98

13 -Ageron charles-Robert,les Algeriens musulmans et la France(1871-1919),T2,presses universitaires deFrance,Paris,France , 1968,p1082.

14-عبد الله الشافعي، ثورة الأوراس 1916 ، جمعية جمعية اول نوفمبر، مطبعة عمار قرفي، باتنة، 1996 ، ص131.

15 -Raport de l'inspecteur générale des communes mixtes concernant les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de Batna en 1916.

16- ثورة 1916 مرجع سابق ص563.

17عباس كحول،دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي،1849-1859،دراسة غير منشورة ، قسم التاريخ،جامعة الجزائر ،2010-2011،ص323

18 - Louis Rinn ; Marabout et khouan ,étude sur l'islam e n Algérie ,Adolphe jourdan ,libraire de l'académie iiiv ,1884 ,p433.

19- خديجة ساعد، أموال عربي امازيغي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص113.

20 - Louis Rinn,Histoire,de l'inseruction de 1871 en Algérie ,librairie Adolphe jourdan,Alger,1891,p472.

21- عبد الحميد زوزو، ثورة الاوراس سنة 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1986،ص26.

22- مختار فيلالي، ثورة 1916 في الاوراس أسبابها وسيرها ونتائجها، جمعية اول نوفمبر، مطبعة عمار قرفي ، باتنة ،1996، ص39.

23-ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص179.

24- ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص180.

25- ثورة الاوراس 1916، انتاج جمعية اول نوفمبر لتخليد ماثر الثورة في الاوراس ، باتنة،1996 ،ص561

26- ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص561.

27- ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص563.

28- ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص565.

29- ثورة الاوراس 1916، مرجع سابق،ص567.

الذاكرة الشفاهية وأسطورة الثائر" بن زلماط" ـ مقاربة أنثروبولوجية

د. سليم درنوني - جامعة بسكرة

مقدمة

ظلت "الشفاهية"، ولاتزال، مصدرا مهما من مصادر المعرفة عامة، والمعرفة التاريخية على نحو خاص، وإذا ما تذكرنا عدد اللغات واللهجات غير المكتوبة، التي لا تملك خطوط كتابة خاصة بها في العالم قديما وحديثا، أدركنا مدى أهمية المشافهة في تاريخ الإنسانية بشكل عام.

وفي هذا الإطار يلزمنا عملنا العلمي الاعتراف بأهمية "التاريخ الشفاهي" في كشف غوامض المناطق المجهولة في تاريخ الإنسانية، خاصة لدى تلك الجماعات التي تمتلك لغات ولهجات غير مكتوبة، ولا يزال المؤرخون يعتمدون على الشهادات الشفاهية للرجال والنساء الذين أسهموا في صنع الأحداث السياسية والثقافية والفنية وغيرها؛ لاستكمال صورة الفترة التاريخية التي يدرسونها.

إن البحث عن محتويات الذاكرة كما يرى البروفيسور محمد أركون يعتمد على اللهجة التي يستعملها أعضاء الجماعة، ولا يمكن الاعتماد على ما كتب عن الذاكرة، فما يكتبه العلماء الباحثون عن الذاكرة يعتمد على المكتوب لا على الشفاهي اليومي، في حين أن الشفاهي اليومي حامل لألفاظ تعيدنا إلى تاريخ الذاكرة الجماعية الحقيقية، وهذا أمر لم نعتن به بعد في مجتمعاتنا العربية بسبب الفصل الذي استمر في جميع المجتمعات العربية بين اللغة المكتوبة واللغة الشفاهية.[1]

أهملنا اللغة الشفاهية لأننا لم نعتن بالعلم الذي يدرس الذاكرة الشفاهية، وهذا العلم له اسمان:علم الأثنوجرافيا الذي يعتني بالوصف الدقيق لجميع مظاهر الحياة اليومية للجماعة، والخطوة الاثنوجرافية في البحث عن الذاكرة الجماعية يكملها ويتبعها البحث الأنثروبولوجي عن الذاكرات الجماعية المختلفة المتساكنة في مجتمع من المجتمعات حتى ندرك كيف تفاعلت بينها أثناء تاريخها، وأثناء الصراعات التي وقعت في مجتمع بين الذاكرات المختلفة، وهذا يمكننا من أن نتحرر مما يتلقاه المخيال الاجتماعي أثناء الصراعات السياسية ليدافع عن هوية كل ذاكرة

دون أن يهتم بالرجوع إلى القاعدة الثقافية والتقليدية التي تشترك فيها الذاكرات.

نحاول بهذا التمشي المعرفي، النبش في الذاكرة الجماعية التي تعتمد على اللغة الشفاهية، وتسليط الضوء على تفاصيل قصة حياة ثائر في جبال الأوراس شمال شرق الجزائر، يدعى"**مسعود بن زلماط**" أو "**أوڤزلماظ**" بالتعبير المحلي، تحولت ملحمته التي صنعها بين سنتي 1912-1921 كما تدل على ذلك الوثائق التاريخية المحفوظة في أرشيف فرنسا،[2] إلى أسطورة نسجت خيوطها الذاكرة الجماعية عبر الأجيال بالاعتماد على الشفاهيات (روايات حول قصة حياته، بطولاته، أغاني تخلد هذه البطولات...).

كل ذلك نحاول أن نعطي له قراءة أنثروبولوجية نكشف من خلاله علاقات التجاذب والتنافر بين الأعراش والقبائل في الأوراس، والكشف على أن نفس الأحداث ونفس الشخصيات، قد يكون لها معنى في موقف، وفي موقف آخر يتغير المعنى.

الإشكالية

إن التراث الثقافي اللاّمادّي لا يتحدّد بمحتوياته الإتنوغرافيّة في حدّ ذاتها بقدر ما يتحدّد بآليّات استمراره واستخدامه فهو عبارة عن كيان في سيرورة لا تنقطع، لأنّه ملتصق بجملة من الذوات الجماعيّة الخاضعة لقانون التغيّر وفقا لمقتضيات الواقع.

ولئن كانت الذاكرة الجماعيّة هي الجهاز الجبّار الّذي يؤمّن عمليّة مواترة التراث الثقافي اللاّمادّي بما يحفظه من التآكل والاضمحلال، فإنّها لا تفعل ذلك إلاّ وهي تنتحل لنفسها أطرا تتموضع فيها سمّاها البعض أماكن الذاكرة lieux de mémoire، ولعلّ من أهمّها الرّموز بمختلف تصنيفاتها.

وفي هذا السّياق توفّر لنا الذاكرة الجماعيّة مدوّنة كاملة من الرموز البشرية مجسّدة في سلسلة من الشخصيّات التي حافظت عليها فاحتفت بها في مختلف عطاءاتها الشفويّة كالسّير والأذكار والملاحم الشعبيّة وسرديّات التأسيس، وحسبنا أن نستحضر شخصيّة مسعود بن زلماط الّتي مثلت أيقونة الرجل المثال في المتخيّل الشعبي عبر تجسيدها لقيم البطولة والثورة

والإباء؛ إنه الشخص الّذي خلّدت ذكراه بعض الأغاني الشعبيّة في شجن ملحمي يصور لنا تاريخه البطولي.

إنّ الذاكرة الجماعية لا تتقيّد دائما بمعطيات التاريخ طالما أنّها لا تحتفظ بالماضي وإنّما تعيد تركيبه وصياغته لأنّ رهاناتها تتعلّق بتشكيل الهويّة في الحاضر. لهذا لم تتورّع عن عقد صلة بين شخصيّات تنتمي إلى أزمنة مختلفة على النّحو الّذي نجده في العلاقة بين بن زلماط الأول وبن زلماط الثاني، وبين بن زلماط وبوزيان القلعي بالغرب الجزائري سنة 1863، وبين بن زلماط وأرزقي أولبشير بالقبائل الكبرى بين سنتي 1890-1895م.

إنّ أكثر هذه الشخصيّات الأسطورية قد انزاحت عن وجودها التاريخي الواقعي لتتسربل بمسحة من القداسة والخيال بما جعل منها نماذج متعالية هي بمثابة صور تتمفصل حول المدوّنة الرّمزيّة الّتي تحفل بها الثقافة الشعبيّة التقليديّة كما تتجلّى في الغناء ومختلف الشفاهيّات بأنواعها.

مسألة المنهج

المنهج الرمزي اللغوي

إننا سنقتدي هنا بالأنثروبولوجيين الذين اهتموا بالتحليل الرمزي اللغوي للشفاهيات، بعناصرها المتعددة، من أساطير وحكايات وأغانٍ وأمثال شعبية، ذات الصلة بموضوع بحثنا المتمثل في قصة حياة مسعود بن زلماط؛ كما نستلهم من التجارب المنهجية لهؤلاء والتي انصبت على تحليل أشكال التعبير الشفهي والدلالات الرمزية المتضمنة فيها، وقد حاول دِل هايمز Dell Hymes في دراسته للأثنوجرافيا الكلام Ethnography of speaking أن يملأ الفجوة بين ما يُوصف على أنه قواعد Grammar وما يُوصف على أنه أثنوجرافيا، حيث إنهما - أي القواعد والكلام - يستخدمان شواهد، أو أدلة على وجود أنماط فكرية، أو رمزية معينة،[3] وبالإضافة إلى ذلك يسعى المنهج الرمزي اللغوي إلى تتبع العلاقة بين ظهور أنماط معينة من البلاغة والتعبيرات اللغوية، مثل: المجاز أو الاستعارة والمجاز المرسل والدلالات والمعاني الرمزية المتضمنة فيها، وبصفة خاصة في مضمون الفعل الاجتماعي.

للرموز المجازية، أو ما يسمى في لغة الفن الأدبي أشكال الاستعارة والكناية، دور أساسي في فهم الأنماط السلوكية والأشكال الثقافية، وبصورة أكثر تحديداً سنجتهد في سبيل تأويل بعض العبارات والقضايا، وما يرتبط بها من أفعال وشعائر وطقوس معينة تبدو لنا في ظاهرها أحيانا أنها عبارات وشعائر غريبة أو غير منطقية، فعلى سبيل المثال قول السكان المحلين (أمونافق أو bandit إنه "منافق" أو (أَخَمّاتِي) باللغة المحلية، الرجل الذي اتخذ من الغابة مأوى له (يُوغَا الْغَابَثْ) أو سكن الغابة، أو قول ناس البادية (أُوشّنْ الْغَابَثْ)، أي ذئب الغابة؛ إن اللغة المحلية تلزم من يستخدمها من المواطنين أن يحقق نوعاً من الاتساق والتكامل بين الخصائص الأخلاقية والفيزيقية للشخص، في وحدة واحدة، داخل الرحم الفيزيقي للجسد البشري.

ومثل هذا المنهج في التحليل الرمزي اللغوي من شأنه أن يثري مثل هذه الدراسات من خلال تطبيقه على الاستخدامات اليومية لأشكال التعبير الشفهية من مرددات، وأمثال، وأغانٍ شعبية. فعند تحليل نعت الناس للثائر مسعود بن زلماط على أنه ذئب "ذيب" نجد أن ذلك التشبيه يرتبط ارتباطًا قويًا بطبيعة الحياة التي يعيشها الناس في البادية أنذاك، إذ أن العمل الرئيسي للبدو هو رعي الحيوانات من إبل وأغنام، وغالبًا ما تتعرض هذه الحيوانات - خاصة الأغنام - إلى هجمات شرسة من الذئاب، فالذئب يمثل تهديداً للحيوان الضعيف، ومن ثمة فإنه يرمز للقوة والبطش والدهاء، فمن يتعامل مع الذئب يجب أن يكون ذئبًا، أي يجب أن يكون قويًا وماكراً في آنٍ واحد، ويتسع هذا المجاز ليشمل علاقة البدوي بالأفراد الذين يكنون له العداوة، إذ يكشف لهم عن قوته وشجاعته ومكره بقوله: إنه ذئب، وليس من السهل النيل منه، وباختصار، من الحالات الإثنوجرافية السابقة، يظهر دور التحليل اللغوي جلياً في إلقاء الضوء على الجوانب الرمزية المميزة لأنماط فكرية معينة من خلال التركيز على الأشكال اللغوية من المجاز المرسل أو الكناية والاستعارة التي هي شكل من التعبير الرمزي.

منهج التأويل الرمزي

يمثل منهج التأويل الرمزي Symbolic-hermeneutic مرحلة تبلور مناهج التحليل الرمزي، التي تنطلق من الاستخدام المجازي للتراث أو الثقافة، على أنها نص Texte، وهذا النص يحتاج للقراءة والتأويل، وأن عملية كتابة النص يشترك فيها الإثنوجرافي، والإخباري أو حامل التراث، حيث يعكس ذلك النص رؤية المواطنين، وحساسية، وحصافة الإثنوجرافي في وحدة واحدة.

نسعى باستخدام للمنهج الإثنوجرافي المكثف، إلى الكشف عن رؤى الناس من السكان المحليين حول شخصية بن زلماط، مع التركيز على كيفية تأثير الأبنية الثقافية المختلفة مثل الأغاني التي قيلت حول شخصيته على الفعل الاجتماعي المحلي؛ ذلك لأن ما نواجه كإثنوغرافيين ليس مجرد ظواهر متفرقة، بل هو عدد كبير من الأبنية التصورية المعقدة المتداخلة فيما بينها، والتي تتطلب نوعًا خاصًا من الوصف الإثنوجرافي المكثف، وليس مجرد جمع وتبويب وتصنيف المعطيات، أو المادة التراثية ذات الصلة بأسطورة بن زلماط، وحفظها في أرشيفات.

وطبقًا لآراء جيرتز، فإن الثقافة ينظر إليها على أنها حوار للمعاني، ونقاش يتعلق بالرموز المتضمنة لتلك المعاني، فالثقافة لا ينحصر مفهومها على مجرد التصورات والأفكار والجوانب المعرفية في عقول الأفراد، إذ أنها عامة وخارجية، وتخضع للدراسة العلمية، وبعبارة أخرى: الثقافة تكون متضمنة، ويعبر عنها في رموز عامة، وهذه الرموز العامة تشير ليس فقط إلى الجوانب المعرفية "من أفكار وتصورات ورؤى العالم) بل أيضًا - وفي وحدة واحدة - إلى الجوانب المعيارية والتقييمية والوجدانية، أو ما يطلق عليه روح الثقافة".(4)

وما دام موضوع الدراسة هو نسيج المعاني والرموز المؤلف لأسطورة بن زلماط، فإنه يتطلب التحليل الوصفي التأويلي الذي يبحث عن المعنى. ومن أجل تفسير المعنى فإن العمل الأنثروبولوجي يلزمنا بالبحث عنه بين الناس في تفاعلهم الاجتماعي؛ إذ إن هؤلاء الناس هم الذين أضافوا أو فرضوا المعنى على شخصية البطل التي يتعاملون معها، بمختلف أفعالها.

وسنعمل بواسطة المنهج التأويلي الرمزي على مستويين، **أولاً:** تقديم تقارير مكثفة عن الفضاء الذي يعيش فيه بن زلماط، وهذه التقارير تكون من الداخل، أو طبقًا لرؤى الناس ومقربيه أنفسهم، وهذا ما يعرف باسم الدراسة من الداخل، أو من وجهة نظر الناس الذين عاصروه، أو عايشوا الأحداث التي وقعت في مطلع القرن الماضي خاصة بين سنتي 1916-1921.**ثانيًا:** التفكير بإمعان في الأسس المعرفية والفكرية والشواهد الإثنوجرافية الميدانية لهذه التقارير، بغرض استنتاج الرموز، أو أنساق الرموز والمعاني المرتبطة بها، ويعرف ذلك بالدراسة من الخارج أو الدراسة الإجرائية التي تخضع للملاحظة الموضوعية.

إن الإثنوجرافيا تشبه قراءة النص، أو هي تحليل للنص، فقراءة النص تعني هنا العملية التي من خلالها تصبح الأنماط غير المكتوبة - من السلوك، واللغة، أو الكلام، أو التراث الشفاهي، والمعتقدات، والشعائر– مؤلفة لنص متسق ذي معنًى ومغزى، ودور الإثنوجرافي يتمثل في التعامل مع الأحداث الاجتماعية وأفعال الأفراد على أنها نصوص يمكن عزلها مؤقتًا عن الموقف، بحيث يمكن قراءتها وفهم معناها، أي النصوص فيما بعد، وفي غياب الموقف ذاته، ولكن ليست منفصلة عن المضمون.

مفاهيم الدراسة

تعدد التسميات وتغير المعاني

من هو حامي الشرف البانديBandit D'honneur

قاطع الطريق، لص مسلح، طماع، تافه.هذه هي المترادفات التي يمكن لها أن تقرب لنا معنى كلمة (باندي Bandit) من ناحية الاستعمال القاموسي.[5] لكن في لغة الحديث اليومي عندما يستعمل الناس في سياق الكلام هذه الكلمة فإنهم يقصدون من وراء ذلك معاني مختلفة، وذلك حسب السياق الذي ترد فيه، وخلال ذلك قد يعكس هذا ذلك الاستعمال بعض من هذه المعاني وقد لا يعكسها على الإطلاق.

ومن المعاني الأساسية Le Bandit D'honneur، هو الشخص الذي يعلن عصيانه وتمرده على النظام الحاكم عقب ارتكابه لجريمة أو لعدم امتثاله لأوامر السلطة التعسفية برفضه لقوانينها الجائرة، لا يعترف

بعدالتها، يفضل الاحتكام إلى القوانين العرفية والحكم بها في فض نزاعاته أو نزاعات غيره، يكون هذا التمرد في كثير من الأحيان مبادرة شخصية يلجأ إليها صاحبها إلى الجبال، يعتصم بها حيث تصبح ملجأه وملاذه، وهناك يلتقي بمن سبقوه أو بمن سيلحقون به، فيشكلون معا جماعة تزعج النظام وتهدد استقراره، يعودون إلى المجتمع لنصرة مظلوم أو لفض نزاع قائم بين أفراد المجتمع يتزودون من الأغنياء، أو من الموالين للنظام وعملائه.

والباندي، Le Bandit D'honneur قد يعني في نظر المجتمع بطل، بل من أهل التقدير والإحترام، فهذا حب ينهله المجتمع، حيث يقوم بنصرته، لأنه يرى فيه العدل والشجاعة، فهو الذي ينتقم له ممن لا يكف عن إيذائه واضطهاده، ينفذ له ما يعجز عنه، من خلاله يرى المجتمع استمراريته واستمرارية مقاومته، وعدم الخوف من الظالم والمستبد حتى بعد فشل بعض المحاولات الجماعية هنا وهناك، ذلك ما يساعد على بعث الأمل من جديد، ويتطلع المجتمع إلى المستقبل بتفاؤل، فيصبح الحلم ممكن التحقق وإن طال العهد.

الباندي، Le Bandit D'honneur هو الذي يلتف الشعب حوله، متضامن معه، يناصره ويؤازره في حله وترحاله، في حركاته وسكناته، يمده بالمؤن والذخيرة وبكل ما يحتاج إليه على الرغم من حدوث تواطأت من بعض الأقرباء والأهل نتيجة خوفهم أو ضغوطات العدو عليهم، والبيئة الريفية بيئة مناسبة لمثل هذه التمردات على السلطة الجائرة، كما أنها مساعدة ومواتية للالتفاف الشعبي حول المتمردين ومؤازرتهم.

على كل الباندي Le Bandit D'honneur أو حامي الشرف كما يعرفه لنا E.J.Hobsbawn :"هو واحد من الفلاحين خارج عن القانون، يعيش بين الأهالي الذين يرونه شجاعا وباسلا، بطلا عادلا يثأر لهم، وقد يوكون محررا لهم".(6)

بطل Héros: باسل شجاع...

هناك خطأ شائع في فهم معنى كلمة (بطل). الناس يفهمون المعنى على أنه شخص غير طبيعي، خارق، فوق العادة.. الخ، وهكذا وصلت إلينا الأساطير التاريخية حينما عرضت لنا أشخاصا فوق العادة وأصبحوا نماذج

أدهشوا من عاصرهم، وحيّروا من جاء بعدهم، وهكذا... ولكن على أغلب الظن هؤلاء كانوا أشخاصا عاديين أظهروا من خلال أعمالهم ما هو مألوف في صورة غير مألوفة، أفعالهم التي قاموا بإنجازها أهلتهم لنيل هذا اللقب، الأمر الذي دفع بالذاكرة الجماعية بمرور الزمن نسج حكايات وقصص حول شخصياتهم.

حين تطلب من العامة الحديث عن رجال عظماء، يفكرون على التو في المحاربين، إنهم لا يفكرون في المسالمين إلاّ نادرا. أجل؛ كيف يراد لهم التفكير في أشخاص مسالمين حتى، وإن كانوا عظماء، والتاريخ في غالبه يؤرخ قصص المحاربين.

الثائر: إن مادة ثار يثور ثورة، من حيث اللغة، تفيد الهياج وحدّة الغضب؛ تقول: ثار الدخان والغبار وغيرهما، يثور ثوراً وثوراناً: ظهر وسطع...

إن الثائر في حرب العصابات " مدني " إلى أن ينفذ العملية المكلف بها وهو مواطن عادي إلى أن يضرب العدو في الموقع والزمان المحددين.ان الثوار يلقون تأييد السكان، متى ما عبرت الحرب التي يخوضونها عن تطلعاتهم. ويكاد يكون القاسم المشترك، والعامل الحاسم في قيام واستمرار حرب العصابات، هو قيام التأييد السكاني. فهم للثوار ملجأ ومنهم تستقى المعلومات عن تحرك العدو ومواقعه وخططه، ومن خلال تأييدهم تتجذر نضالات الثوار في حرب العصابات. وبدون هذا التأييد يختنق الثوار ويسهل على العدو حصرهم، ومن ثم الاجهاز عليهم بأقل التكاليف والخسائر.

الآخذ بالثأر Vengeur : **المنتقم، المعاقب**

من الثأر إلى الثورة:

تعريف الثأر في اللغة

جَاءَ فِيْ لِسَانِ الْعَرَبِ لابْنِ مَنْظُوْرٍ: الثَّأْرُ وَالثُّؤْرَةُ: الذَّحْلُ. قَالَ ابْنُ سِيْدَةَ: الثَّأْرُ: الطَّلَبُ بِالدَّمِ، وَقِيْلَ: الدَّمُ نَفْسُه ، وَالْجَمْعُ: أَثْآرٌ وَآثَارٌ ، عَلَىْ الْقَلْبِ. وَقِيْلَ: الثَّأْرُ: قَاتِلُ حَمِيْمِكَ، وَالاسْمُ: الثُّؤْرَةُ. قَالَ الأَصْمَعِيُّ: أَدْرَكَ فُلاَنٌ ثُؤْرَتَهُ: إِذَا أَدْرَكَ مَنْ يَطْلُبُ ثَأْرَهُ. وَيُقَالُ: ثَأَرْتُ الْقَتِيْلَ وَبِالْقَتِيْلِ ثَأْراً وَثُؤْرَةً ، فَأَنَا ثَائِرٌ: أَيْ قَتَلْتُ قَاتِلَهُ. وَالثَّائِرُ: الَّذِيْ لاَ يُبْقِيْ عَلَىْ شَيْئٍ حَتَّىْ

يُدْرِك ثَأْرَهُ. وَأَثْأَرَ الرَّجُلُ وَاثَّأَرَ: أَدْرَكَ ثَأْرَهُ. وَثَأَرَ بِهِ وَثَأَرَهُ: طَلَبَ دَمَهُ. وَيُقَالُ: ثَأَرْتُ فُلَانًا وَاثَّأَرْتُ بِهِ: إِذَا طَلَبْتَ قَاتِلَهُ. وَالثَّائِرُ: الطَّالِبُ. وَثَأَرْتُ الْقَوْمَ ثَأْرًا: إِذَا طَلَبْتَ بِثَأْرِهِمْ. قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: ثَأَرْتُ فُلَانًا وَثَأَرْتُ بِفُلَانٍ: إِذَا قَتَلْتَ قَاتِلَهُ. وَثَأْرُكَ: الرَّجُلُ الَّذِي أَصَابَ حَمِيمَكَ. وَالْمَثْؤُورُ بِهِ: الْمَقْتُولُ. وَتَقُولُ: يَا ثَارَاتِ فُلَانٍ: أَيْ يَا قَتَلَةَ فُلَانٍ.[7]

تعريف الثأر في الاصطلاح:

الثأرُ هو أن يقوم أولياء الدم «أقارب القتيل» بقتل القاتل نفسه أو قتل أحد أقاربه انتقاماً لأنفسهم دون أن يتركوا للدولة حق إقامة القصاص الشرعي، والقتل وفقاً لأعراف القبائل إما أن يكون نتيجة لهزة مستثارة، مثلاً "اثنان واقفان في السوق، وشتم الأول الثاني فحصل بينهما مهاترات فحصل أن قتل الأولُ الثاني" أو نتيجة لأمر معيب بما يسمى عند بعض القبائل بالعيب الأسود أو الأجذم بمعنى أن يقتل رجل رفيقه في السّير أو يقتل نسيبه أو يقتل مَتِيْعَهُ (وهو مَنْ تَشَارَكَ معه في الطعام) ، أو يقتل امرأة أو طفلاً مما تعارفت عليه القبائل.[8]

الثأر في الثقافة الشعبية:

منذ بدء الخليقة وعلى مر العصور، وجريمة القتل تعيش مع الإنسان وتلازمه ملازمة الظل، فهي قديمة قدم الإنسان وباقية ما بقى المجتمع الإنساني، وتاريخ الإنسانية منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا حافل بواقع ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وتجنيه على حياته وإراقته لدمه غدراً وعدوانًا.

ويرى البعض أنه ليس هناك اتفاقا حول الأصول التاريخية للثأر، ومن الأرجح أن ظاهرة الثأر تقليد بدائي موروث نشأ في ظل المجتمعات القبلية التي تصرف شئونها الخاصة في ضوء نظم تستخلصها من تجاربها، وما تتناقله الأجيال من عادات وتقاليد تقوم أساسا على التعصب للأهل والعشيرة والقبيلة، أما شئونها مع غيرها من الوحدات الأخرى فكانت تحتكم فيها إلى القوة، وللقوة وحدها الكلمة الأولى في النزاع.[9]

وتدلنا الكثير من الدراسات أن فكرة الأخذ بالثأر فكرة قديمة توجد عادة بين الأجناس الثائرة كما هو الحال بين سكان جزيرتي كورسيكا، سريدينيا، وبعض أقاليم إيطاليا وجنوب اسبانيا وبعض جهات أمريكا

اللاتينية،[10] وكذلك وجدت في فارس وتركيا والأندلس، بل نجدها في قبرص والهند[11]، كما أن الكثير من الدراسات الأنثروبولوجية دلتنا على أن هذه الظاهرة كانت منتشرة في كثير من المجتمعات كما أوضح "أمريس بيترز" (Emerys Peters)[12] الذي ركز بحثه على البدو من سكان برقه، ايفانز برتشارد Evans Pritchard في دراسته عن قبائل النوير وغيرهم.

يقرر "محمد البابلي" في مؤلفه "الإجرام في مصر" أن الثأر من العادات المأثورة عند العرب وله نظمه وأحكامه وقوانينه التي تنظمه وتحافظ عليه، فترى العربي منذ نعومة أظافره ينشئه أبوه وأمه على تقديس فكرة الثأر، بل أصبحت تروى في قصصهم وأناشيدهم التي يقولونها ويتناقلونها، مثل "حرب الباسوس"، التي استغرقت أربعين عاما بين "بنى تغلب" و"بنى شيبان"، سيرة "أبو زيد الهلالي"، "الزير سالم"، "امرئ القيس" الذي أقسم أن لا يتطيب أو يقرب النساء أو يأكل اللحم أو يغتسل حتى يثأر لأبيه من بنى أسد، وكذلك قصة قتل "شاس بنى زهير"[13] الذي قتله أحد أفراد قبيلة "غنى" فجمع عليهم أبوه "زهير بن جذيمة" فقالوا له: سل في قتل "شاس"، فقال: إحدى ثلاث لا يغنيني غيرها، قالوا ماهى؟، قال: يحيون لي "شاسا"، أو يملئون ردائي من نجوم السماء، أو يدفعون لي "غنيا" بأسرها فأقتلها، ثم لا أرى أنى أخذت عنه عوضا.

وتنبئنا الكثير من الدراسات الأنثروبولوجية بأن حوادث الثأر منتشرة في كثير من دول العالم، ففي السودان وبخاصة في المناطق النائية منه تقع حالات الثأر القبلية لمحاولة كل قبيلة السيطرة على موارد المياه والمراعى - كما هو الحال في بادية الكبابيش بغرب السودان - حيث تتنازع قبيلتا الكواهلة والكبابيش منذ أمد بعيد، كما كانت القبائل تتناحر بسبب الحصول على النحاس، وكان شر ما تمنى به القبيلة أن يغنم نحاسها أعداؤها في معركة ما، فإن ذلك سبة الدهر وعار يلاحق القبيلة حتى تدفعه بالانتصار ورد النحاس إليها.[14]

إن قوة الثأر في المجتمعات المحلية لا تسقط مع الزمن ولا تمحوها السنون، فالثأر من أقوى التقاليد سلطانا، فيحظى بالقدسية والاحترام دون حاجة للمناقشة أو إخضاعه للتفكير، وله قوة تفوق قوة القوانين، لأن

المجتمع يحمى تقاليده ويعاقب من ينتهكها، ولذلك كان من الأيسر على الكثيرين أن يرتكبوا الجريمة التي يجرمها المشرع احتراما للتقاليد التي تقضى بارتكابها، فالقاتل الذي يقتل أخذاً بالثأر يعلم تمام المعرفة ما قد يؤدى إليه فعله، ولكن ذلك لا يرده عن أداء فريضة التقاليد التي تأخذ بخناقه وتطالبه بالثأر، وإن لم يفعل ذلك يوصف بالضعة والجبن والخوف.

وتتجسد معالم الثأر في الأدب الشعبي كما ترويها الأمثال الشعبية بوصفها لغةً وأدبًا شعبيًا، فهي بالتالي نشاط اجتماعي ومظهر ثقافي يعكس تفكير المجتمع والتجربة الإنسانية التي يعانيها في أعماقه، ويقدم لنا صورة صادقة لباطن الجماعة وظاهرها من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية، وعن طريقها تنتقل الأفكار الداعية للعمل في مختلف مجالات الحياة، ويشكل تداولها بذلك أداة من أدوات الضبط الاجتماعي والتأثير على سلوك الأفراد والجماعات وتوجيه اتجاهاتهم.[15]

وما دامت الحياة الاجتماعية في الريف تترجم في صورة أدبية شعبية، فمن الضروري إذن أن نعثر بين ثناياها على أصداء قويه لبعض التقاليد الاجتماعية الراسخة "كالثأر"، فيعبر عن هذا التقليد بالكثير من الأمثال والأزجال والحكم والمواويل بطريقة ترسم صورة تكاد تكون متكاملة الملامح لهذه الظاهرة من خلال ما يرويه القوم في مواطن الثأر كالسخرية من شخص يتخاذل عن الأخذ بالثأر أو شحذ الهمم للانتقام من الأعداء أو الإشارة ببطولة الشخص المنتقم أو التحذير من قبول مبدأ الصلح من الخصم، ومن هنا يمكن أن نعرض بإيجاز للأبعاد الثقافية للثأر من خلال الأمثال الشعبية التي تتناقلها ألسنة الناس في المناطق التي يغلب عليها الأخذ بالثأر في مجتمع الدراسة كما يلي خاصة في زمن الاستعمار:

يرى علماء الاجتماع أن نظام الثأر بين الجماعات المختلفة في الماضي كان ضرورياً كعامل رئيسي من عوامل الضبط الاجتماعي بتنظيم علاقاتهم فيما بينهم، حيث لا توجد سلطة مركزية تحسم الخلافات بين الجماعات وتحميها من محاولات العدوان على بعضها البعض، وتضمن تصرف الشئون المشتركة فيها بدرجة كافية من العدالة، ويكون من الضرورة بأن تعتمد

تلك الجماعات على نظام تلجأ إليه في هذا الشأن، وقد كان الثأر هو النظام في بعض الحالات، وقد أدى الوظيفة التي قام لتحقيقها إلى حد ما.

فالمشكلة إذن ليست في نشأة الثأر، وإنما في بقاء هذه الظاهرة في مجتمعات تخضع الجماعات القرابية المختلفة فيها لسلطة مركزية قوية وعادلة، ففي مجتمعنا الحاضر قانون ينظم العلاقات بين الناس ويقضى بتجريم بعض التصرفات ويحدد العقوبات التي توقع على من يقترفها، مع توافر جهاز قضائي للفصل في المنازعات، وجهاز أمنى قادر غير متحيز، ولكن كل هذا لم يحل دون استمرار ظاهرة الثأر.

الوظيفة الاجتماعية للثأر: ليس هناك خلاف حول الوظيفة التي تقوم بها ظاهرة القتل بدافع الثأر، فالأمر الذى لا شك فيه أن ظاهرة بهذه الخطورة لا يمكن أن يكون وجودها عرضًا أو صدفة، ولكنها وجدت لتحقيق وظيفة اجتماعية ضرورية هي وظيفة الضبط الاجتماعي.

ومن المعروف أن المجتمع الذى ينتشر فيه الثأر بانقسامه إلى وحدات منعزلة اجتماعيًا إحداها عن الأخرى، ثم دخولها كلها - أو بعضها- في علاقات عدوانية تستمر لفترات طويلة، وإن كان يمكن القول في الوقت نفسه إن هذا التنظيم الانقسامي هو من أهم العوامل التي تؤدى إلى ظهور الثأر كنظام اجتماعي يدخل في تكوين البناء الكلى ويعتبر من أهم خصائصه ومميزاته، وهذا يعنى أن الثأر نظام يتبع في هذا المجتمع المحلى لتحقيق ذلك التعادل الذى كان قائما بالفعل قبل أن تحدث أول جناية قتل استتبعت قيام تلك السلسلة الطويلة من حوادث الثأر وعداوات الدم، والثأر يحقق ذلك التعادل أو التوازن بين هذه الجماعات المتقابلة بطريقة سلبية وذلك عن طريق إنقاص الجماعة المعتدية بنفس النسبة التي نقصت بها الجماعة المعتدى عليها، بيد أن هذا التوازن يتحقق في الوقت نفسه بطريق آخر أكثر إيجابية، فالاعتداء على حياة شخص ما يعتبر بالضرورة اعتداء على كل البدنة التي ينتمي إليها مما يترتب عليه تعرض المركز الاجتماعي الذى تحتله هذه البدنة في النسق الاجتماعي التقليدي للخطر، فالأخذ بالثأر يؤدى إلى رد اعتبار هذه البدنة واستردادها لمكانتها الاجتماعية التقليدية، وعلى ذلك فإنه يؤدى إلى إعادة التوازن القديم.[16]

وقد اعتبر البعض الثأر عاملا من عوامل التوازن الاجتماعي، وإن يكن عاملا من نوع خاص يتطلب وجود مجتمعات ذات بناء خاص أو تتبع نموذجا خاصا كما هو الحال بمجتمعات الدراسة وغيرها من المجتمعات التي تسود بها ظاهرة الأخذ بالثأر، ويتميز هذا النموذج البنائى بأهمية النسق القرابى الذى يعتمد على روابط القرابة العاصبة بحيث تعتبر تلك الروابط القرابية أساسا لكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك إلى جانب ضعف سلطة الحكومة، أو عدم فاعليتها في فرض النظام واستتباب الأمن في المجتمع.[17]

ومهما يكن من شئ فالواقع أن الثأر بقيوده وأحكامه ومنطقه والتزاماته القاسية الدقيقة يحتل في نظر الناس منزلة القانون الصارم الذى يقبله المجتمع المحلى ويتمسك به رغم كل ما قد يبديه الأفراد من آراء وأفكار شخصية تعارض الالتجاء إلى الثأر كوسيلة لتصفية الموقف بين البدنات المختلفة، وليس من شك في أن الناس يخشون سطوة الثأر ويعملون لها حسابها من ناحية ويتدبرون أمره ويتفكرون فيه ويرسمون له الخطط الدقيقة ويحصلون من أجله على أفتك وأسرع الأسلحة من الناحية الأخرى، وهم في هذا كله يدركون مدى ما يتحملونه من جهد ونفقات وخسائر في الأرواح والممتلكات،[18] بحيث يمكن القول إن معظم الناس يكرهون الواقع الذى يعيشون فيه معرضين للقتل والقصاص، ويبدو هذا واضحا عند كثير من الأشخاص الذين أمضوا فترات طويلة في السجون، أو الذين عاشوا مدة طويلة في المدن الكبيرة بعيداً عن القيم الاجتماعية الجماعية المحلية التي ترتكز على روابط القرابة والانتماء للبدنة وإنكار قيمة الفرد.

نخلص مما سبق: أن الثأر وسيلة فعالة لاسترداد المجتمع لتوازنه التقليدي عن طريق إنقاص الجماعة القرابية المعتدية بنفس النسبة التي أنقصت بها الجماعة المعتدى عليها، وبالتالي استرداد الجماعة الموتورة كرامتها وشخصيتها التي أهدرت حين قتل أحد أفرادها، هذا بجانب أن الثأر يعتبر مسئولية جماعية تقع على عاتق الجماعة القرابية التي يستمد منها الفرد كيانه ومقوماته ومكانته الاجتماعية.

البطل المنتمي للجماعة والمنفصل عنها

تبدأ قصة حياة البطل **"مسعود بن زلماط"** كأي قصة لأي بطل من الأبطال، عادة بحدث ما يستدعي بداية الرحلة البطولية، وهذا الحدث يؤثر على البطل بشكل مباشر، أو يؤثر على بيته، أو أسرته، أو أصدقاءه، أو مجتمعه، أو مبادئه ومعتقداته، وهنا يكون على البطل اتخاذ عدة مواقف، كما سيحدث مرات عديدة على مدار رحلته؛ وعلى مستوى الجماعات أو الأعراش المتواجدة بكتلة الأوراس وضواحيها من الجهات الأربعة، **"البطل بن زلماط"** جسد منظومة من القيم كانت هذه الجماعات تسعى لتثبيتها وتعزيزها، لذلك حظى هذا البطل بمكانة كبيرة في الممارسات الاجتماعية في كامل أنحاء الأوراس والمناطق المجاورة لها، بل تعدت سمعته حدود هذه المناطق ليصبح لها بعدا إقليميا ووطنيا. وقد أعطته طقوس الاحترام تفرداً وجعلت منه قيمة مثلى ونموذجاً يحتذى به، وفي الاستخدام الشائع رمزا للإنجاز المتفوق في مجال التحدي والثورة على الأوضاع السائدة آنذاك.

البطل "بن زلماط" في الحياة العادية "الواقعية" ما هو إلا رجل لديه شجاعة، وغيرة على شرفه وعرضه وأرضه، وربما تختلف شجاعته عن شجاعة غيره من أهله وعشيرته، في أنها شجاعة استثنائية، لقد نبل وعظم وشرف بهذه الشجاعة، وهذه هي ميزة أي بطل يتميز بالشجاعة والقوة والنبل، من طراز مختلف وحين يحارب من أجل أي قضية فإنه يجعلها قضية ذات أبعاد حقيقية ويجعل الناس يؤمنون برأيه ويسيرون على نهجه وطريقته، وفي الميثولوجيا الكلاسيكية يجري الاحتفال بالقوة الكبيرة والشجاعة والجرأة التي يمنحها الله للبطل فتولد معه لتكوين معان أخرى للحياة التي ينشأ فيها، وكذلك في الأساطير اليونانية نجد أن كاهنة أفروديت هي البطلة فقد قتلت نفسها بعد أن غرق صديقها ليندر وهو يحاول السباحة لرؤيتها، في الميثولوجيا[19] والأساطير هناك اعتقاد أن البطل الذي يمنح هذه القوة هو آلهة أيضا أو من نسل الآلهة التي تستحق التبجيل مثل (هرقل[20] وأخيل[21]) وقد استخدم السياسيون بطلا لتأليه (أي عبادة الشخصية)، والتي لعبت دورا هاما في الأديان اليونانية القديمة. هناك أيضا أسماء مختلفة للبطل، فهو المدافع، الوصي، الحامي، الزعيم، المقاتل.

البطل حاجة اجتماعية وثقافية، وما يؤكد ذلك هو أن الثقافات التي يشحّ واقعها بالأبطال الحقيقيين تلجأ إلى اختراعهم جملة وتفصيلاً. فمن ليس عنده عنترة العبسي، يمكنه أن يخترع «سوبرمان».. وعلى الرغم من الفوارق التي لا تعد ولا تحصى ما بين هذين البطلين أو كل الأبطال المنتمين إلى نوعيهما، فإن وظيفة البطل واحدة: ملء فراغ لا يمكن لغيره أن يملأه في ثقافة المجتمع، أي مجتمع، ونظرته إلى نفسه، ويرتبط البطل في الوعي الجمعي للناس بجملة صفات إيجابية، عاش بعضها قروناً طويلة من الزمن، وتبدّل بعضها في العصر الحديث بفعل التغيرات الجذرية التي طرأت على حياة المجتمعات أينما كان في العالم بعد الثورة الصناعية، وبشكل خاص خلال القرن العشرين.

وبشكل عام، تبقى صفات البطل كامنة في قدرته الخارقة على إنجاز ما لا يستطيع أي كان إنجازه. إنه الشخص المستعد لمواجهة الصعاب حتى حدود التضحية بالنفس من أجل مصالح مجتمعه، أو من أجل الدفاع عن قيمه ومعتقداته، التي غالباً ما تكون منحازة إلى مصالح غالبية الناس من حوله، فينظر إليه هؤلاء على أنه حاميهم والمدافع القوي عن الآخرين، بعبارة أخرى، إنه منقذهم.

وتشكّل البطولة طليعة المفاهيم التي تبدأ بالتغلغل في عقل الإنسان منذ طفولته، من خلال قراءاته الأولى لكتب الحكايات، أو حتى منذ قدرته على فهم معانيها وهو يسمعها من ذويه يتلونها عليه قبل النوم. ومهما تقلب مفهوم البطولة في عقل الإنسان عندما يكبر، فإنه يبقي على جوهره التربوي من خلال مجموعة صفات حميدة أبرزها درء اليأس ما أمكن أمام الصعاب، والإيثار الضروري لحسن الحياة في المجتمع.

من النادر أن يكون مجتمع ما قد عرف أبطاله حقيقة عن قرب، أو حتى أن يكون قد عاش في عصر هذا البطل. فالوجدان الشعبي لا يبدو مكترثاً بالحقيقة التاريخية للبطل بقدر ما هو مهتم بصورة هذا البطل كما صاغها الأدب أو الفن، فجردها من عيوبها الإنسانية الصغيرة، وجمّل ما أمكن تجميله من صفات هذا البطل. ولذا يبدو انبهار الإنسان (وحتى المجتمع ككل) ببطل معيّن، هو أقرب إلى أن يكون تعبيراً عن تطلعات وأمنيات، منه إلى تكريم

البطل الحقيقي لإنجازاته العظيمة. وكأن المطلوب من البطل أن يكون صورة تحظى بالإجماع على احترامها، ويجب على المجتمع أن يرتقي إلى مستواها في مواجهة تحدياته.

المولد والنشأة

مسعود بن زلماط، أسطورة منطقة الأوراس، تضعه الذاكرة الشعبية للمجتمع المحلي بطلا شعبيا عاش في منطقة الأوراس، ثار ضد المستعمر الفرنسي، وسجل اسمه بين الثورات المتتالية ضد فرنسا دامت ثورته من 1917 وانتهت 1921 تاريخ مقتله، حيث يعود ميلاد "مسعود بن زلماط" حسب الوثائق الإدارية إلى سنة (1894- 1921) في "لمسايل" قلعة بني بوسليمان بـ "تافرنت"، دوار زلاطو هو ثالث أخوين هما: "علي " و"أمحمد"، أبوهم يسمى "محمد بن مسعود"، وأمهم تسمى "عائشة بنت زروال"، اعتبرته السلطات الاستعمارية في ذلك الوقت كلص على عكس أهالي المنطقة الذين لازالوا إلى اليوم يتغنون ببطولاته.

عاش بن زلماط يتيما تحت كفالة خاله أحمد بن زروال بن علي بن زلماط، يتنقلون في رحلة الشتاء والصيف، بين تافرنت وتاجرة، وأحيانا بيت التل والجبل والصحراء.

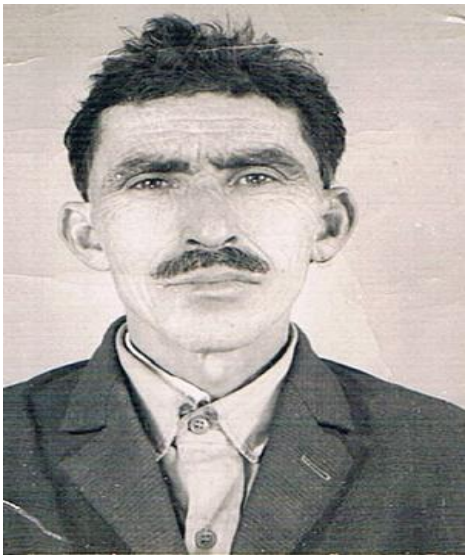

1 صورة لـ: حابه بلقاسم بن علي شقيق بن زلماط من أمه يقال أن بينهما شبها كبيرا

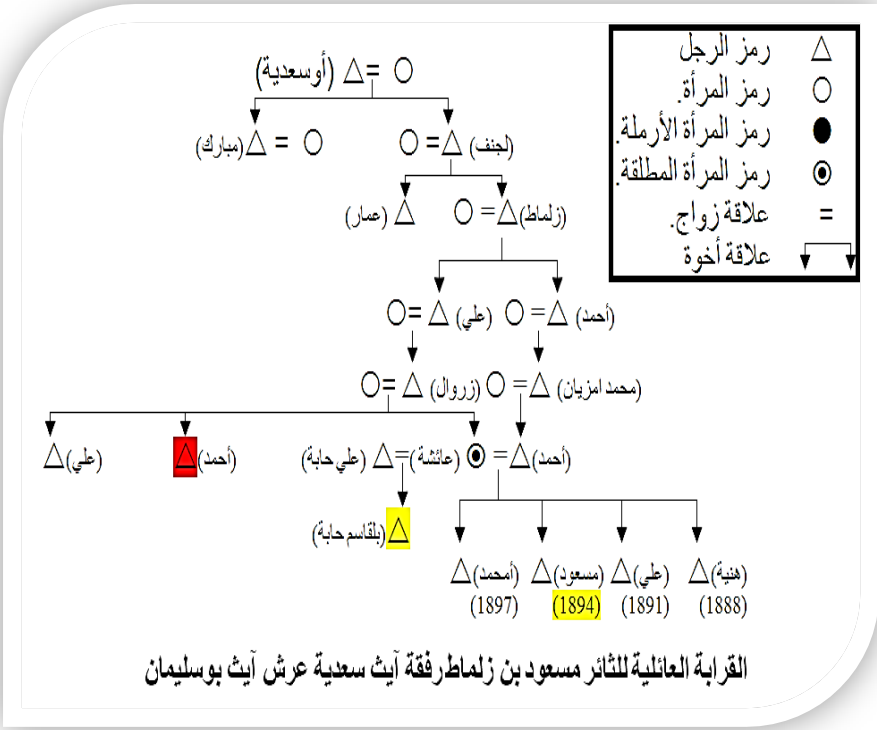

القرابة العائلية للثائر مسعود بن زلماط رفقة آيث سعدية عرش آيث بوسليمان

ثورة مسعود بن زلماط:

في 14و 15 أكتوبر 1917، تعرضت فم الطوب قرية المعمرين الفرنسيين لهجوم مسلح من طرف جماعته، كل البيوت أفرغت من أموالها وأشيائها الثمينة، احتل بن زلماط القرية ليلة كاملة وغادرها في الصباح تاركا وراءه المعمرين مربوطين خائفين في العراء، حكم عليه القاضي المستعمر واعتبره خارجا عن القانون في 1917 و قررت السلطات مطاردته في كل مكان يتواجد فيه، وبدأت حكايته منذ ذلك الوقت، قام عساكر الدرك الفرنسي في باتنة بـ 1423 مداهمة و تفتيش و972 عملية تمشيط تكللت بإلقاء القبض على 632 من الثوار منهم 179 فار من الجيش الفرنسي، 433 فار من الخدمة و 20 محكوم عليه لكن فشلوا في إلقاء القبض على مسعود بن زلماط.

بن زلماط لم يشفق حتى على خاله

قرر بن زلماط الفرار واتخاذ الغابة ملجأ له، تعبيرا عن رفضه التام للتجنيد الإجباري، حيث شن حربا على كل من يتعامل مع فرنسا والإدارة الفرنسية، خاصة القياد والوقافين والدوايز، وهم الذين يقهرون الشعب، ويصادرون ممتلكاته. وللقبض على بن زلماط المتمرد والمنتقم، لجأت إدارة الإحتلال الفرنسي إلى الضغط على أقارب بن زلماط، حيث ركزت على خاله "أحمد أزروال" الذي سلمت له بندقية من نوع 86، ففرنسا تعلم ما للعلاقات القرابية في العائلة الجزائرية من دور في التأثير على الأشخاص، خاصة وأنها تعلم أن بن زلماط تربى وترعرع في منزل خاله، وبعد مدة ليست ببعيدة عن تاريخ تسلم خاله للبندقية نصب فخ من طرف الخال للإيقاع بالحفيد، في دشرة تاجرة هانداكث (تاجرة أولاد سعدية)، فتم الإيقاع به بالفعل بعد أن قدم من تافرنت قاصدا منبع الطمايس يتواجد في مكان يسمة (أصراف) بتاجرة هانداكث، ولما انحنى إلى المنبع ليتناول شربة ماء بحفنة يديه، وجه له خاله ضربة إلى الرأس فأوقع به، وسيق مربوط الأيدي مع جماعة من أولاد سعدية إلى الحاكم، لكنه عرف كيف يفر من قبضة العدو، وانقلب على خاله كريح صرصر، الأمر الذي دفع بخاله إلى الاستنجاد بالقوات الفرنسية طلبا للحماية، لكن كل ذلك لم يجدي نفعا مع عزيمة شاب أجبر على العصيان والإنتقام من خاله، والإستحواذ على البندقية التي سلمتها له الإدارة الفرنسية، حينها اقتنع الفرنسيون بأن الذي جرأ على قتل خاله لا يتوان في قتل كل من يعترض طريقه، فهذا يملك شجاعة ولا يشفق على أحد.

عيسى الجرموني يخلد بن زلماط

ظل الغناء الجماعي السمة الغالبة على الأداء الأوراسي، إلى أن ظهر صاحب الصوت الجوهري "عيسى الجرموني" الذي كسر كل التقاليد المتعارف عليها في هذا الشأن، وخاض تجربة الغناء الفردي في وقت كان فيه هذا النوع من الغناء يتعارض مع أعراف الأوراسيين، الذين ينظرون إليه على أنه عار وعيب في حق الجماعة، ورغم ذلك أحب الأوراسيون هذا

الصوت المتميز، وغنوا كثيرا من أغانيه التي أصبحت جلها من التراث الأوراسي، ومن أغانيه التي رددوها أغنية "ابقاو بالسلامة".

وقبله تعرف المنطقة نوعا قديما من الغناء الفردي يسمى (أصراوي) المأخوذ من كلمة أمازيغية (أصراواث) بمعنى المرتفعات، وقد نسب هذا النوع الغنائي إلى هذه المرتفعات. لأنه يؤدى بالجبال من قبل الرعاة، الذين يستعينون بالقصبة كما أداه المزارعون في حقولهم، ويحتاج هذا النوع إلى قوة الصوت وحدته وطول النفس وإلى مدّ طويل جدا أثناء الأداء.

ونادرا ما يؤدي هذا النوع من الغناء في مناسبات رسمية كالأعراس أو غيرها، إنما ظل غناء فرديا يردد أثناء انشغال أحدهم بعمل ما، كالرعي أو الحرث والدّراس خصوصا في عمليات (تْويزه) وغير ذلك ،أما فيما يخص أغاني الأحزان والشجن، فتسمى بالمنطقة (عيّاش) وهو ذو مسحة حزينة. يتغنى به الرجال والنساء على السواء. يعتمد الصوت فقط وأحيانا أخرى على (الـفْصبة) التي تساعد على استثمار المشاعر والأحاسيس، وغالبا ما تكون مواضيعه مستمدّة من معاناة الناس كهجرة حبيب أو زوج، أو ابن أو رثاء أحد الأعزاء، وعموما كل ما تعلق بالمعاناة والآلام والأحزان لأن (عيّاش) يساعد على تخفيف الآلام والتنفيس عن الروح.

أما عن مضامين الأغنية الأوراسية. فتعددت وتنوعت حيث ارتبطت بالواقع الاجتماعي. ورصدت أفراح وأحزان الشعب وطقوسه واعتقاداته، وأهم ما ميز مساره الحضاري. فأفرزت بذلك أغاني ذات مضامين اجتماعية وأغاني ذات مضامين اعتقاديه أو دينية وأغاني ذات مضامين ثورية فازت بحصة الأسد من هذا المورث الغنائي الضخم، حيث مازال الشعب يرددها في مناسباته المختلفة إلى يومنا هذا، والأغنية التي خلد من خلالها الفنان عيسى الجرموني البطل بن زلماط جاءت وفق النسق التالي:

أبقاو بالسلامة أبقاو بالسلامة
أبقاو بالسلامة عرب مروانة
أحنا نوصلوا ديما لبلادي البعيدة
صبر واثبغيذ أجوجة وامانية
نتشنين ذيمغبان نتشني ذيمغبان

نتشنين ذيمغبان ذيثمورث أنيوذان
صبر واثبغيذ أجوجة وامانية
ربي ذاحلاق إخلق أو يتفراق
دقلة إسنداق لقصب لفراق
صبر ياماني مات اييبلان
أكرد أنهمل وأكرد إيوا نهمل
أكرد إيوا نهمل أومام أث يهبل
صبر واثبلان ياجوجة وامانية
جباد ف الطاق، جباد ف الطاق
جباد ف الطاق، السالف ذا شوراق، وڤصعب لفراق.
صبر ياربي مات واثبلان إيواه.
أكرد إيواأنوڤير، أكردإيوا أنوڤير.
أكرد إيوا أنوڤير، واڤبعذ وابريذ، غر منعة ذو شير،
صبر ياربي مات أييبلان إيواه.
الفوشي أومسمار، الفوشي أومسمار،
الفوشي أومسمار، البلغث ذڤضار، ويذين ذالمسعوذ أوڤزلماظ،
صبر باجوجة مات أهيبلان إيواه.
هاورقيث الماسا، هاورقيث الماسا،
هاورقيث الماسا، أديوسين سي فرنسا، نتشني ذ الجيش نتمورث إيذين إنان ماتا
صبر ياربي مات أييبلان إيواه.
أبقاو بالسلامة أبقاو بالسلامة
أبقاو بالسلامة عرب مروانة
أحنا نوصلوا ديما لبلادي البعيدة
صبر واثبغيذ أجوجة وامانية
نتشني ذيمغبان نتشني ذيمغبان
نتشني ذيمغبان ذيثمورث نيوذان
صبر واثبغيذ أجوجة وامانية

بن زلماط حامي الشرف

شهادة بابتيست كابليتي Baptiste Capeletti

شهادة مهمة تؤكد على شرف مسعود بن زلماط، وهي شهادة إيطالي يحمل الجنسية الفرنسية، عمره خلال 1975 العام الذي سجلت شهادة 100 سنة، اسمه بابتيست كابليتي Baptiste Capeletti، قضى مدة 85 سن في الأوراس، وتزوج من اوراسية بمنطقة وادي الطاقة من عرش أولاد عبدي، تدعى همامة.

نص الشهادة هو: "لص؟ ?Bandit" نعم، لكن لص الشرف، لص يحمي الضعفاء من القياد. وأضيف أنه صديقي. قبل ذهابي إلى ألبانيا للمشاركة في الحرب العالمية الأولى بين سنتي 1914-1918م، قال لي: "بابتيست إذا تعرض أحد بالأذى لأمك وزوجتك الشاوية، وابنك وقطيع غنمك، سأقتله. سافرت مطمئنا على ذلك. وعند عودتي، أكدت لي أمي وزوجتي أن بن زلماط كان يحميهما بالفعل. لقد قام بقتل القائد (القايد)، بعدها قرر ان يعيش حرا طليقا في الغابة، لا يستطيع أحد أن يقتفي أثره، العسكريون يخافون منه، لكن القياد أشد خوفا، أم الشاوية فلا يخيفهم، بل يحترمونه، ويفتخرون به وسعداء بحمايته لهم".[22]

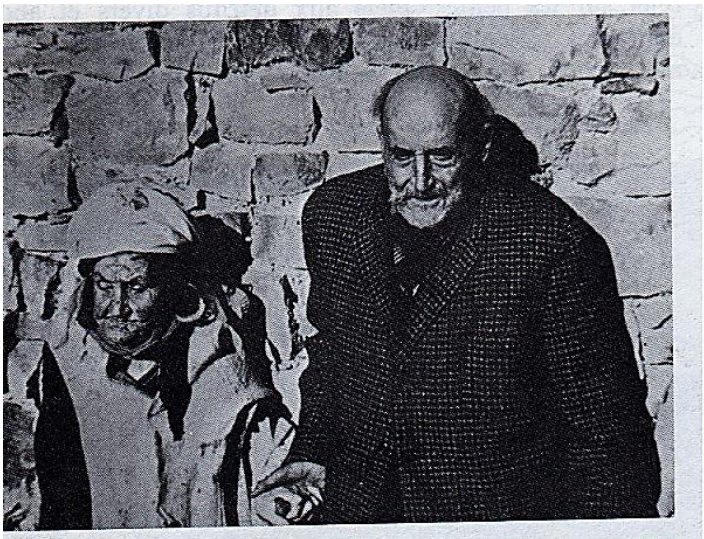

G. 37. — Jean-Baptiste et Hemama Capéletti en 1971 devant leur maison de Bou Ahmar, Aurès (cl. B. Ferré, mars 1971).

روايات عن مسعود بن زلماط

الرواية الأولى:

الرقم	الرواي	تاريخ الميلاد	العرش	الرفقة	الإقامة
01	محمد بن أمحمد بوكريشة	1907	بني بوسليمان	أولاد سليمان بن حمزة	إينوغيسن (زلاطو الشمالي)

مسجل الرواية: سليم درنوني.

مكان التسجيل: إينوغيسن.

تاريخ التسجيل: 2007/01/02.

تاريخ النقل من الشاوية إلى العربية: ديسمبر 2008.

إن الإلحاح من طرف المبحوثين على معرفة الباحث وكل من يسألهم أو يستجوبهم أمر ضروري، وتكاد هذه الميزة تميز معظم الناس الكبار، وفي معظم المناطق، ولدى مختلف الجماعات التي تعيش حياة البادية والريف. ذلك أننا لم نتمكن الدخول إلى موضوع بحثنا إلا بعد أن عرف مبحوثنا أقاربنا وتذكر علاقات الجوار والصداقة وحتى المصاهرة التي كانت بينهم. فسأل عن بعضهم خاصة أقرانه، وأولئك الذين عاش معهم حياة الظعن (موسم العزابة)، وتذكر منهم من كان يهدي له العسل في فترة ما كان فيها مريضا.

يقول: كل ما أرويه لك، أننا حضرنا للثورة وما قبلها، من زمن "بن زلماط الأول". من "علي" ثم "مسعود" إلى "مسعود التالي أو الثاني". فالثلاثة أعرفهم تمام المعرفة، وعايشتهم. فـ"مسعود بن زلماط الأول" أروي لك قصته تماما كما هي: ببداياتها ومجرياتها، وطريقة موته.

أنظر الآن؛ هو "علي بن زلماط" فتح محلا تجاريا مع عم "الحاج قدور بن لمبارك" بتاجرة أولاد حمزة بدون تصريح، إلى الآن آثار البناية لا زالت أمام منزلهم الحالي. عمل ما عمل هو و"محمد الصالح بن ظريفة الأول"[23]. قلت: عملوا ما عملوا؟ لا أستطيع أن أجزم لك أقليل ذلك أم كثير؟ هل طالت مدة شراكتهم أم لا؟ تقاسموا ذلك المتجر. فقرر "علي بن زلماط" نقل متجره إلى دشرتهم المحاذية من الجهة السفلى (الجنوب) المسماة (تاجرة السفلى) أين تسكن عائلة "بغامي" وعائلة "باله" وعائلة

"صوالحي" وعائلة "زلماطي" بالألقاب الحالية. ذلك أن الألقاب الحالية بدأت منذ سنة 1946 بينما في القديم فلم تكن موجودة.

على كل حال فثمة فتح متجره، فهذا "علي" أخ "مسعود". حيكت ضده وشاية، فجاءت فرنسا لتراقب ذلك، ففرضت عليه غرامة مالية، بسبب عدم امتلاكه لتصريح فتح المتجر. إلا أن كان في كل مرة يأته أمر دفع الغرامة يأبى ويرفض ذلك. فجاء الدرك وساقوه إلى السجن بأريس، وكانوا يلزمونه بالأشغال الشاقة، وذات يوم قام بتعبئة حاملة الأوساخ ليقوم بتفريغها وهو مكبل بالسلاسل صحبة أحد الحراس الذي يسمى آنئذ بـ (الدّايَرْثْ)، فاتجهوا جهة الوديان السفلى أين تكثر أشجار الدفلة والزيتون، بغرض تفريغ تلك القمامة. عندما وصلوا إلى مكان التفريخ تظاهر بأنه يريد التستر قصد الإستراحة، فترك حاملة الأوساخ، وذهب حيث تكون شجرة الدفلة بينه وبين حارسه الذي استحى وأعطى له حرية قضاء حاجته البيولوجية، بينما "علي بن زلماط" كان قد قرر الفرار واتجه صوب الغابة المقابلة لمدينة أريس، والحارس عندما أحس بأن انتظاره لسجينه قد طال أخذ يبحث عنه بين أشجار الدفلة الكثيفة المنتشرة على طول الوادي، فلم يجده، فقام بتفريغ حاملة الأوساخ وعاد إلى السجن، فسألوه عن السجين، فقال: لقد فر!

لقد فر! واتخذ من الغابة ملجأ له، وفي مرة من المرات كنا في المرعى أنا وأب "أحمد بن لمبارك" في "شير"- جنوب غرب قرية إينوغيسن- وكان الناس يتناقلون خبر: علي أزلماط "يرول"فر!؟ علي أزلماط"برول" فر!؟ علي أزلماط"برول" فر!؟

الخبر يتم تناقله خفية وهمسا في الآذان من شخص إلى آخر، وكان يتم تناقله بين كبار السن فقط. قلت: كنت مع أب "أحمد بن لمبارك"[24] وإذا بشخص يلوح بيده له من خلف شجرة الدردار (التوزالت بالأمازيغية)، وهو متجه إليه يأمرني بنبرة صوت حادة ويحثني على مراقبة الغنم من اليمين والشمال... وإذ كنت أنا أفعل ذلك طال وقت حديثهما، قررت الاقتراب منهما، فوجدتهما إثنان يتحدثان مع خالي (أب أحمد بن لمبارك). تعرف أنني لا أعرف العربية، و"علي" يتحدث معه بالعربية، وبين الحين

والآخر يأمرني خالي بمراقبة الغنم فأفعل وأعود إليهم. هكذا إلى أن قرّرَا الذهاب، وعدنا نحن في المساء إلى المنزل فكشفت للأهل أن اليوم جاء إلى خالي رجلان يتحدثان معه بالعربية ولم أفهم مضمون الحديث الذي دار بينهم، وكان كل شخص أُعْلِمُهُ إلا ويجر بسبابته اليمنى على خده ويأمرني بكتم ذلك وإلا سيأتي العساكر الفرنسيين ويأخذونك معهم. ومن شدة الخوف كتمت السر، ولا أدري إن كانت مدة فراره طويلة أم قصيرة أمرت فرنسا جنودها بإلقاء القبض عليه مهما كان الأمر، وتحت ضغط فرنسا اتفق أهله بإلقاء القبض عليه وتسليمه لها، وترقبوا قدومه هو ورفيقه-لا أدري إن كان "عشي" أو ملكمي"- وكانا قد قصدا تاجرة السفلى من جهة تافرنت، فداهما منزل عائلة "سباڤ"، وكان المتفقون على علم بذلك فتيقنوا من مجيئهما إلى المتجر، ولما قدما بالفعل بواسطة الطريق المؤدية إلى تافرنت والمعروفة بـ(أَصَرّاف)، وهي مشرعة للماء صوب الوادي الكبير (وادي الأبيض)، حوصرا وألقى خاله (محمد أمزيان) القبض عليه، فكبلوه ونقلوه إلى السلطات الفرنسية في أريس، ولا أدري هل قضى هناك وقتا طويلا أم لا؟ فر مرة أخرى من السجن.

ولما علم خاله بفراره، تيقن أنه إذا التقى به يقتله لا محالة، فاحتمى بالسلطات الاستعمارية، وبقي علي يتنقل من مكان إلى آخر، وكان ينظم إليه خاصة من الغرب - قاصدا بذلك جهة تكوت أو زلاطو- كل من يرتكب جريمة قتل، وكل من يرتكب فعلا شنيعا، أو كل من لم يجد مصدرا للقوت، وكان من بين الأعراش التي يترددون عليها عرش "السراحنة"، فكانت لهم علاقات صداقة مع هذا العرش.

هذه العلاقات دفعته إلى التفكير في اللجوء إليهم، ورافق أخته معه، لتخبز وتطهو له الطعام، لا أدري ما اسمها رحمها الله، فطاب لهم المقام هنالك، ولا أدري هل كانت مدة إقامتهم طويلة أم قصيرة؟ لا أدري هل كانت سنة أم سنتان أم ثلاث سنوات؟ لقد أقسم بأن يصول ويجول حيثما شاء، وينال من كل من يعتدي على متجره الذي نقله هنالك، وكان رجال عرش السراحنة حائرون في كيفية إلقاء القبض عليه وقتله، والاستحواذ

على متجره والفوز بالمبلغ الذي خصته السلطات الفرنسية لكل من يلقي القبض عليه.

ليس من السهل إلقاء القبض على "علي بن زلماط"، ذلك أن فراره يعني انتقامه من كافة العرش دون استثناء، هكذا كانوا يفكرون ويتساءلون عن كيفية قتله -على قول فأنا لم أر شيئا- وكان في كل مرة يعود من تجواله إلا ويلاقونه بالترحيب والتقدير. وكان أحدهم قد تعهد بقتله، وسألوه: قررت بالفعل قتله؟ فأجابهم: نعم؛ سأقتله. وأردف قائلا: ولكن يجب أن تحترسوا من أن ينقلب علي منقلبا لا تحمد عقباه.[25] فنطق آخر وقال: سأتولى هذا الأمر بنفسي. وتساءل الجميع كيف؟ واستقر أمرهم على أن يكون ذلك خلال السهرة، وبواسطة لعبة (الخاتم)، إذ سيفتعلون مشكلة تؤدي إلى اختلافهم وخلافهم مع فريقه. وبالفعل تحقق لهم ذلك، إذ وصلوا إلى هدفهم فنشب الخلاف بينهم وانقض عليه الذي تعهد لهم بقتله، وطعنه بالسكين.[26] لقد قتلوه. وتساءلوا كلهم: ما العمل؟ كيف نخفيه ونخفي آثار الجريمة؟ واستقر أمرهم على اختيار دار مهجورة كان يخزن فيها التبن في الصيف. ذلك أن جل العروش جنوب الأوراس والأوراس الأوسط كانوا يقومون بخزن حبوبهم في المطامر، والتبن في المنازل القديمة، ويرحلون جنوبا إلى المناطق الدافئة شتاء.

مات "علي بن زلماط" ورموه هناك، وكان "مسعود"[27] قد قرر الذهاب إليه لزيارته، عندما وصل وجد البنت وحدها، والذين قاموا بقتل "علي" يبكون متأسين، وعرف على أنهم هم الذين فعلوا ذلك. وبدأ يستجوبهم: من قتل علي؟ ملزما لهم على الكشف عن الجاني؟ وكانوا في كل مرة ينفون التهمة عن أنفسهم. فقرر الإنتقام والثأر لأخيه، وعاد إليهم بعد أن أحضر بندقية، واستجوبهم مرة أخرى وقال لهم: تخبرون بالذين شاركوا بالقتل وإلا سأقضي على كل رجال العرش. ولما تيقنوا من حزمه وعزمه على فعل ما يتوعد به، بدءوا يبوحون ويقرون بالمشاركين في الجريمة. وبعد ذلك أمرهم بالكشف عن مكان إخفائه، وساقهم إليه – وصلت الموت على حد تعبير الراوي- ولا أدري هل وجد جثته أم لا؟ لا علم لي بذلك.

لقد ثأر لأخيه؛ البعض يقولون بقتله لأربعة أشخاص، والبعض الآخر يقولون إثنان. المهم أنه قتل إثنان وجدهما يحرثان الأرض- على قول الناس- ذلك أنه لم يكن أحد من هذه الجهة حاضرا معه، فكل ما هنالك مجرد أقوال لا غير. فعلى حد قولهم قتلهما وأخرج أحشائهما ونشرها فوق المحراث، وأخبر أهلهما بذلك، وبعد ذلك اتجه إلى الغابة التي كانت منذئذ ملجأه الأساسي.

وصل النبأ إلى السلطات الفرنسية، وقامت بتجهيز ثلاث كتائب من جيشها، إحداها كان جنودها سينغاليون (ساليغان)، وبدأت بحشد رفقة أولاد سعدية في محتشدات بـ"تيزي أبراهيم" و"إيسران" و"هيط نييڭر"، وصودرت ممتلكاتهم الحيوانية. كان ذلك في سنة 1920 هي نفس السنة التي ازداد فيها "أحمد بن لمبارك"، وفي هذه الأثناء كان "مسعود بن زلماط" ورفقائه أغلب الظن أربعة في جهة الوضحة، وقاموا باعتراض طريق أحد التجار المتجولين من جهة القبائل (ڤـاواو)، وأخذوا بعض السلع التي يحتاجونها من عنده عنوة. وبعد ذلك أخلوا سبيله إذ كان متجها إلى سوق لمدينة (لاساس)، وعند وصوله قام بتشهير ما حصل له في طريقه: بن زلماط اعترض طريقي، بن زلماط اعترض طريقي... وقام أحد المقربين السلطات من عائلة "زاوش" بتعبئة كل من يملك قطعة سلاح للبحث عن بن زلماط وقتله أو إحضاره حيا، وساهم في هذه العملية رجال من عرش بني بوسليمان وآخرون من عرش التوابة، فريق سلك مسلك "الوضحة"، وفريق آخر سلك مسلك جهة مزرعة "أوعثلتن"، وكان الإحتمال الذي وضعه الجميع بأن بن زلماط ورفقاؤه سيكونون في جبل شليا قبالة وداي "بني وجانة"، فماداموا قد اعترضوا طريق التاجر القبائلي، وانتزعوا منه بعض المواد الغذائية، بالتأكيد سينشغلون بعد أن يبتعدوا عن الطريق وعن السكان بطهي الطعام، وعندما أدركوهم تبادلوا طلقات النار معهم، قفز بن زلماط ورفاقه بعد أن أخذوا أسلحتهم إلى آثار بعض المباني التي كانت بجوارهم، وصوب طلقة نارية اتجاه أحد المشاركين في البحث من عرش التوابة، وبالتحديد من عائلة "بن عكشة" والذي كان يختبئ وراء شجرة (الطاقة)- بالأمازيغية (هقة)- فأرداه قتيلا بعد أن أصابه على مستوى الرأس.

والمكان الذي سقط فيه إلى اليوم يسمى باسمه (أَنْزَا نُوعَكْشَهْ). ولمّا لفظ هذا الشخص أنفاسه في التّوِ أدرك الجميع بأن ما يقومون به سيكلفهم ضحايا آخرين إذا ما استمروا في متابعة "بن زلماط" ورفاقه، فقرروا العودة على أعقابهم بأقل الخسائر. لقد عادوا، لا بل فروا بأرواحهم التي حرمها الله، وكان من بين المصابين من عرش بني بوسليمان: واحد من أولاد برغوث يدعى أمحمد بلفجر الذي أصيب على مستوى الرجل، وآخر يسمى علي بن أحمد بن أعمر تعطبت بندقيته بعد أن أصابها بن زلماط ورفاقه وأصيب على إثر ذلك بجروح، وثالث من أولاد عبد الرحمان وتحديدا من جماعة زردوحي، لست أدري بإصابته، والرابع يسمى أوبري من أولاد عبد الرحمان لست على علم بإصابته أيضا، المهم لم يكن بينهم قتلى عدا بن عكشة.

بعد هذه الحادثة قامت القوات الفرنسية بحشدنا في محتشد "هيط نييڤر" بإينوغيسن، وكان من بين المحتشدين عرش بني بوسليمان، عرش بني بعداش، عرش بني أوجانة...التوابة لم أتذكر هل كانوا أم لا؟

الرواية الثانية

الرقم	الرواي	تاريخ الميلاد	العرش	الرفقة	الإقامة
2	حابة مسعود بن الصادق	1927	بني بوسليمان	أولاد عبد الرحمن	قرية شناورة دائرة تكوت (زلاطو)

مسجل الرواية: سليم درنوني.

مكان التسجيل: قرية شناورة بلدية تكوت.

تاريخ التسجيل: 2008/12/02.

تاريخ النقل من الشاوية إلى العربية: ديسمبر 2008.

يقول الراوي: بن زلماط هذا أمه تزوجت ثانية بعمي، إسمها "عائشة بنت زروال"[28] وعمي إسمه "علي بن أمحمد بن الحاج، لكن في سنة 1916 علي بن زلماط هذا أخ مسعود بن زلماط كان قد وصله إستدعاء الخدمة العسكرية أو التجنيد الإجباري، فرفض التجنيد واختفى، وجاء الدرك يبحثون عنه، فذهب خاله أحمد بن زروال إلى الحراس (الدوايرة) المختبئين في القرب من تاجرة وأخبرهم بمجيئه، وتمكنوا من القبض عليه، فثأر مسعود لأخيه بقتله خاله أحمد بن زروال. ومسعود فعل هذا الفعل وفر إلى

الغابة، جروه إلى السجن واستطاع الفرار أيضا إلى الغابة، واتصلا ببعضهما البعض في الجبال، بقيا يسايران بعضهما من سنة 1916 إلى سنة 1918.

هكذا كانت أمه زوجة عمي تروي لنا قلت لك، أنهما ذهبا إلى الڤابل وفتحا داكنا مع شريك لهام من عرش السراحنة، فمسعود كان يصول ويجول في جميع الأنحاء، ذلك أنه مطلوب لدى السلطات الفرنسية، أما علي فهو الذي يبيع في الدكان. وفي هذه الأثناء كان السراحنة يفكرون في الإستلاء على دكانهم والتخلص من علي بن زلماط، وقد فعلوا ذلك ورموه في إحدى الديار المهجورة لبني بوسليمان على الحدود الموجود بين العرشين دفعا للتهمة عنهم، وحتى لا يشك أقرباؤه في عرش السراحنة إطلاقا.

وفي الغد جاء أحد الرعاة إلى تلك الديار المهجورة فاكتشف جثة بداخلها ولم يتعرف عليها، ولما أنبأ الناس بذلك وحضر العارفون تم التعرف عليه، وعرفوا أنه "علي بن زلماط"، ذلك أنهم كانوا يشترون من عنده أثناء ترحالهم، ولما جاء مسعود إلى صديقه "عمار بن علي" من رفقة السعادنة عرش بني بوسليمان، وهو الذي كان يزودهم بالأكل دائما هو ورفاقه، فأنبأه بنبأ وفاة أخيه "علي بن زلماط". فسأله عن قاتله، فقال له: لم يفعل ذلك إلا السراحنة وجاءوا به إلى تراب بني بوسليمان لكي يقال بأن بني بوسليمان هم الذين قتلوه.

بعدها عرف مسعود أنه لا يمكن أن يفعل ذلك إلا عرش السراحنة، واتجه مباشرة إلى الڤابل موطنهم الأصلي، فوجد أحد رعاتهم وسأله: هل تعرف علي بن زلماط؟ فأجابه علي رحمه الله. وسأله من قتله؟ أجابه: ذلك الذي يحرث، وإثنان آخران شاركاه في قتله. ذهب إلى ذلك الذي يحرث فطعنه بالسكين دون أن يتحدث معه وعلق أشلائه على المحراث الخشبي، وانتقل يبحث عن كل من شارك في قتل أخيه، ولما التقى بجمع منهم لاقوه بالترحيب يسألونه عن طول غيابه عنهم، وبدأ يستجوبهم بالقوة حتى تمكن من معرفة الإثنان اللذان شاركا مباشرة في قتل "علي"، أحدهما فر إلى الدرك وأعطيت له تسهيلات الهجرة إلى فرنسا وبقي هنالك، الثاني بقي يختبئ ويتنقل بين أريس وتكوت والزريبة إلى أن توفي، وبقي مسعود يتنقل

من مكان إلى آخر من 1918 إلى 1920/10/20 التاريخ الذي حكمت عليه محكمة باتنة بالإعدام، ولما علم بالحكم اختفى نهائيا، ونحن منذ ذلك التاريخ لم نسمع عنه شيئا، فكل ما يأتينا مجرد إشاعات مفادها أنه وجد متوفيا ودفن سرا، وفي بعض الأحيان تظهر إدعاءات بقتله عندما ذهب يتودد لأحد الناس في جهة بوحمامة ليزودهما بالأكل بعد أن اشتد بهما الجوع.

إنني أتذكر جيدا منذ سنة 1935 وأمه عندنا إلى سنة 1943 لم تخف عنا شيئا يتعلق بابنها، فما تتميز به أنها لا تعرف سرا، فكل ما تسمعه تقصه لنا. فحتى الفيلم الذي تم عرضه عن حياته لم يفصل في موته، إنها مجرد حكايات تنقل من شخص إلى آخر تفتقر إلى الدليل والبرهان. تصور أنه بقي حيا منذ سنة 1920 وأمه توفيت سنة 1943 لكان قد زارها، فخلال هذه المدة لو كانت أي معلومة عنه لوصلت إلى أمه بطريقة أو بأخرى.

أما عن مشاركته في الحرب العلمية الأولى أو عدم مشاركته، فلا أظن أنه شارك فيها، ذلك أن الحرب العالمية الأولى بدأت سنة 1914 بينما هو تمرد سنة 1916.

الرواية الثالثة

الرقم	الرواي	تاريخ الميلاد	العرش	الرفقة	الإقامة
2	زلماطي محمد بن أمحمد		بني بوسليمان	أولاد سعدية	دشرة أولاد موسى بلدية إشمول

مسجل الرواية: سليم درنوني.

مكان التسجيل: دشرة أولاد موسى.

تاريخ التسجيل: 2008/12/29.

تاريخ النقل من الشاوية إلى العربية: جانفي 2009.

يتحدث لنا الراوي عن قصة حياة عمه "مسعود بن زلماط" التي اهتم بها منذ صباه، إذ يرى أن القصة لها مشهدان: أولهما يتعلق بـ"علي بن زلماط"، وثانيهما بـ"مسعود بن زلماط". فلا يمكن فهم قصة حياة الثاني إلا من خلال فهم قصة حياة الأول.

لقد وجد في فيما رواه له أحد جيرانه يدعى "علي زويوش"، والمعروف بـ: "أوبليلي أو علي أولمسعود"، لقد وجد في روايته صدق

الرواية وتناسق الأحداث وعدم تناقضها أو تعارضها، فيقول على لسانه متحدثا عن شخصية "مسعود بن زلماط": كان يتميز بالخفة وسرعة الحركة، كانت فرنسا تبحث عنه، وكان خاله يسمى بـ(المقدم) يملك زاوية، أجبر على إحضار حفيده، وكان محمد أمزيان من بين الذين يبحثون عن "علي بن زلماط"، وقد هب أولاد سعدية كلهم للقبض عليه، فوضعوا له حراسة شديدة بتاجرة السفلى وتاجرة العليا، وبتافرنت، وفجأة ظهر علي بن زلماط مع رفيقه أوبليلي، فنزل إلى دشرة تاجرة السفلى على الطريق الجماعية المعروفة بـ(الصراف)، والذي يوجد بمحاذاته منبع ماء، وكان ذلك في وضح النهار، فهم ليرتوي منه، وكان خاله محمد بن أحمد أزروال مختبئ بالقرب من المنبع، فبمجرد أن بدأ يتناول الماء بحفنة يديه انهال عليه خاله بالضرب بالعصا على مستوى الرأس، وتسارع الكل إلى هذا المكان فقاموا بربطه بالحبال على ظهر (بغل)، وقاموا بتسليمه إلى (الدوايرر)[29] الذين كانوا مرابطين في (بلغارضوس)، واتجه به هؤلاء إلى أريس لتسليمه إلى الحاكم.

وكان هؤلاء قد اتجهوا إلى أريس عبر طريق (سامر)، بينما صديقه أوبليلي كان يوجه لهم طلقات نارية من جهة (الظهري) حتى وصل قبالة دشرة أولاد موسى أين نفذت له الخراطيش.

كان حاكم أريس في مقر الدائرة الحالي، أما نادي الشرطة الحالي فكان مكتبا لـ(الدوايرر). رئيسهم يسمى عمر أوبوسعد -على لسان أوبليلي- وكان الذين قاموا بتسليمه إلى الحاكم من شدة خوفهم يؤكدون على أن المنفذ الذي يخرج القط يخرج بن زلماط أيضا وذلك خوفا من فراره وانتقامه منهم جميعا.

قام أوبليلي بإرسال مرسل إلى مسعود، لينبئه بنبأ إلقاء القبض على أخيه علي بتواطؤ إخوته، فمسعود كان يرعى لدى أحد الأغنياء بالتل، فجاء لزيارة أخيه علي بالسجن فلم يتمكن من رؤيته، وعاود الزيارة عدة مرات لكنه فشل في ذلك. ودل على رئيس (الدوايرر) عمر أوبوسعد، ليتوسط له ويمكنه من زيارة أخيه، ويقدم له معلومات حول الإستراحة.

توسط عمر أوبوسعد لمسعود بن زلماط لدى حاكم أريس، وتمكن من زيارة أخيه، وسأل عمر أوبوسعد عن الإستراحة والخروج إلى الشمس، وبثت أسئلته شكوك في نفس عمر أوبوسعد، وبعد طول الحوار بينهما اتفقا على تقديم المعلومات مقابل مبلغ من المال(؟)، واتفقا على ان يعطي عمر أوبوسعد أمرا لأحد الحراس، وذلك بأن يأخذ علي بن زلماط حاوية القمامة ويجرها معه ليقوم بتفريغها في الوادي بالقرب من منزل عائلة مقراني. وعند الوصول إلى المكان المتفق عليه قدم الحارس مفتاح الأغلال لعلي بن زلماط فقام فتحها، وفر ليلا عبر هذا الوادي المغطى بأشجار الدفلة، واتجه صوب الغابة المقابلة لأريس، هنالك التقى بأخيه مسعود بن زلماط الذي كان ينتظره، مهيأ له السلاح وبقيا متلازمين في الغابة. هنا ينتهي المشهد الأول على حد تعبير الراوي.

الهوامش:

[1]- جريدة السفير (لبنان)، حوار مع محمد أركون، حاوره وسام سعادة، يوم: 12 أفريل 2002 .

[2]-jean Déjeux :Un bandit d'honneur dans l'Aurès, de 1917 à 1921, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°26, 1978. pp. 35-54.

[3]- نظر، دلهايمز Dell Hymes، إثنوجرافيا الكلام Ethnography of speakin، ابراهيم الحيسن، الشفاهية ومأثورات القول الحساني، الطبعة الأولى 2012.

[4]- كليفورد قيرتز، تأويل الثقافات (مقالات مختارة)، ترجمة محمد بدوي، مراجعة الأب بولس وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 2009، ص 169.

[5]- Le Robert : « Dictionnaire de français », édition établie par Martyn Back et Silke ZIMMERMANN, correction : Michel Héron et autres, Paris 2005.

[6]- Jean Dé jeux :Un bandit d'honneur dans l'Aurès, de 1917 à 1921, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°26, 1978. pp. 35-54.

[7]- راجع، لسان العرب لابن منظور، مادة: الثأر.

[8]- ينظر، الدكتور أحمَد علي جَندَب: ظاهرة الثأر في المجتمَعَين اليمني والمصري، جامعة القاهرة، 2001م.

[9] - أحمد أبو زيد، العوامل المشجعة لظاهرة الثأر في الإقليم الجنوبي، أعمال الحلقة الأولى لمكافحة الجريمة، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1961، ص7.

[10]- حسين محمد على، الجريمة في الجمهورية العربية المتحدة، دراسة إحصائية تحليلية، مكتبة الخدمات التعليمية بمصر، القاهرة، 1963، ص9.

[11]- أحمد أبو زيد، الثأر دراسة أنثروبولوجية في إحدى قرى الصعيد، دار المعارف، القاهرة، 1965، ص13.

[12]- فوزي قابيل همام، الحاجات النفسية المرتبطة بظاهرة الأخذ بالثأر فى الصعيد وعلاقتها بالمستوى التعليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بقنا، جامعة أسيوط، 1980، ص3.

[13]- محمد البابلي، الإجرام في مصر، أسبابه وطرق علاجه، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1971، ص – ص، 21-23.

[14]- حسن نجيلة، ذكرياتي في البادية، دار الخرطوم للطباعة والنشر، الخرطوم، 1994، ص13.

[15]- سمير عوض، معالم الثأر فى الأدب الشعبي، مجلة الأمن العام، القاهرة، العدد الرابع، 1961، ص39.

[16]- أحمد أبو زيد، الثأر، دراسة أنثروبولوجية فى إحدى قرى الصعيد، مرجع سابق، ص 72.
[17]- فوزي قابيل همام، مرجع سابق، ص48.
[18]- أحمد أبو زيد، الثأر، دراسة أنثروبولوجية فى إحدى قرى الصعيد، مرجع سابق، ص77.
[19]- كلمة الميثولوجيا Mythologie (بالإغريقية:μυθολογία) وتترجم عادة علم الأساطير وهي كلمة إغريقية مؤلفة من شطريين معناها الحرفي سرد القصص، ويطلق مصطلح ميثولوجيا على شيئين: الأول - دراسة الأساطير، وذلك كفرع من العلوم يهتم بجمع ودراسة وتفسير الأساطير. والثاني- مجموع الأساطير والقصص (الليجندات) لأية ثقافة كانت، ومنه يتم استخدام التعابير التالية: ميثولوجيا إغريقية أو ميثولوجيا لاتينية...إلخ.

أما الأسطورة فهي سرد قصصي يهدف إلى تفسير شيء ما في الطبيعة أو الكون، كنشوء الكون أو أصل الأمطار، أو الرياح أو الزلازل أو البراكين إلخ. كما وأنه يهدف إلى تفسير بعض السلوكيات سواء أكانت هذه السلوكيات عادات وتقاليد اجتماعية، أو طبائع وأحاسيس ومشاعر إنسانية، أو وحشية كمشاعر الحب أوالبغض أوالكراهية أو الحسد أو الفضول إلخ. وأحيانا كان هدفه المتعة والتفنن وذلك بالتحدث عن شخصية من شخصيات الأساطير أو قصة ما من القصص بعد إضفاء لمسات فنية على السرد القصصي ليصبح أكثر امتاعا وإبهارا، وغالبا ما كانت الأساطير مقترنة بأنواع معينة من الطقوس الدينية والعبادات الأساسية للآلهة القديمة والتي كانت الناس تؤمن بوجودها، ورغم أن الأساطير القديمة ينظر إليها حاليا كضرب من الخيال والخرافة إلاّ أنه لا يجب نسيان أن هذه الأساطير كانت تشكل التفسيرات الأولية والبدائية للعالم المحيط، والتي منها انطلقت البشرية في وضع التفسيرات اللاحقة لعالمنا المحيط بنا.

[20]- هرَقل أو هيركليس Heraclius في الميثولوجيا الإغريقية بطل إلهى هو ابن الإله زيوس والبشريه ألكمينى يشتهر بقوته الخارقة وله العديد من المغامرات، شخصيه متعددة الأوجه ذات الخصائص المتناقضة مما مكن الفنانين والكتاب من انتقاء واختيار كيفية تمثيله، يمثل هيركليس عند كل من الرومان واليونانين أيقونة في الأدب والفن الغربى والثقافه الشعبية.

[21]- آخيل Achilles أحد الأبطال الأسطوريين في الميثولوجيا الإغريقية هو ابن بيليوس ملك فثيا من حورية البحر ثيتس حفيدة التيتانية تيثيس ابنة أورانوس (ميثولوجيا) وجايا كان له دور كبير في حرب طروادة، والتي دارت أحداثها بين الإغريق وأهل طروادة. وهو البطل المركزي في إلياذة هوميروس.

[22]- Jean Déjeux :Un bandit d'honneur dans l'Aurès, de 1917 à 1921, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°26, 1978. pp. 35-54.

[23]- محمد الصالح بن ظريفة الأول أخ أمحمد الصالح بن ظريفة الذي خلف ولدان: الأول يدعى الحاج قدور بن ظريفة، والثاني يدعى محمد الصالح بن ظريفة الثاني، الأخوان لا زال على قيد الحياة.

[24]- خال الراوي يدعى الصالح بن الشريف، من جماعة بن لمبارك، له ثلاثة أبناء: محمد لخضر وهو أب أحمد بن لمبارك، والشريف، وهو أب الصالح بن الشريف بن لمبارك، ومحمود أب الهادي بن لمبارك.

[25]- يقال أن قاتل "علي بن زلماط" من عرش السراحنة يدعى: الصغير بن لعور، جماعة أولاد لعور، مشتة تماسخت، المتواجدة بالدرمون والكرماية جنوب الأوراس، لا زال على قيد الحياة، يقيم حاليا بزريبة الوادي شرق مدينة بسكرة، والتي تبعد عنها بـ(80 كلم). ولقب عائلة الصغير بن لعور "ڤطياني".

[26]- هناك رواية أخرى تقول أن الصغير بن لعور قتل "علي بن زلماط" وهو نائما بعد أن وجه له ضربة بواسطة (الرزامة) على مستوى الرأس، على عكس ما ورد في الرواية التي استعرضناها.

[27]- مسعود بن زلماط كان له حسب بعض الروايات صديق حميم من عرش السراحنة، يدعى "أحمد بن دحة، جماعة أولاد لعور مشتة تماسخت، لقبه الحالي "صبايحي". يقيم حاليا بمدينة وهران، وكان يزود مسعود بن زلماط بالحليب والتمر بعباسة خفية من أهله، عاش معه مدة طويلة من الزمن، من بين الميزات التي يرويها عن "مسعود بن زلماط" أنه كان يستعمل يسراه بإفراط، حاد البصر دقيق التصويب، حتى في حالات المزاح واللهو.

[28]- عائشة بنت زروال ترملت على أب مسعود بن زلماط، اسمه محمد بن مسعود، في تلك الفترة كانوا يقطنون تيمشاظ بتافرنت دوار زلاطو الشمالي، من سنة 1930 إلى 1943 تاريخ وفاتها، وقد تم دفنها بالمقبرة الأسطورية لبني بوسليمان بلقصر، حسب ما أورده لنا الراوي.

[29]- الدواير هم فرقة خاصة من الحراس توضع تحت تصرف الحاكم، كان هيكل الدوار في تلك الفترة يتكون مما يلي: القايد، الخوجة، حارس الفحص أو الشامبيط، الوقاف.

البعد الوطني لثورة الأوراس 1916

أ. نورالدين بن قويدر - جامعة الجزائر2

مقدمة

إنّ الإشكالية المطروحة للدراسة تتعلقت بثورة الأوراس عام 1916، والتي كانت حدثا مفصليا حاسما في تاريخ الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى بل وفي تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، وأنّ هذه الثورة قد تزامنت والثورة العربية في المشرق العربي، والتي قادها أمير مكة الشريف حسين وأبنائه الأربعة عام 1916.

والأسئلة التي تفرض علينا إيجاد أجوبة لها تتمحور حول طبيعة هذه الثورة وأسبابها، وهل كان للمشرق العربي أثر وانعكاس على هذه الثورة؟ وهل أثّرت هذه الثورة في الحركة الوطنية بقصد أو بغيره؟ وهل كانت الثورة حدثا إقليميا، أم وطنيا؟ وهل فشلت في تحقيق أهدافها أم نجحت؟ وفيما إختلفت وتميزت عن باقي الثورات الشعبية الأخرى؟

إنّ الثورة في منظورها الشمولي هي إحداث تغيير جذري وشامل وعميق، على أن يمس ذلك مختلف جوانب الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، في حين أن التغيير إما أن يتم بطرق سليمة أو بطرق مسلحة.

1. 1ـ طبيعة الثورة

إن ثورة الأوراس 1916 ليست انتفاضة أو مقاومة أو تمردا وعصيانا مدنيا كما تناولتها الكتابات المختلفة وهي لا تقبل أن تكون كل هذه الأطروحات، وإنّما إحدى هذه المفاهيم والمصطلحات، لذا بات من الضروري ضبط المفاهيم والتحكم فيها، لأن ذلك أول خطوة في طريق البحث عن المعرفة والحقيقة، فلا ينبغي أن نطلق المصطلحات والمفاهيم دون ضبطها والتحكم فيها ومطابقتها مع الوقائع والأحداث التاريخية، فهي ثورة ذات بعد وطني رغم محاولة بعض الكتابات الأجنبية، أو الوطنية المقلدة الإضفاء عليها طابع المحلية تارة، أو منحها الصبغة الأجنبية تارة أخرى.

والحقيقة أن المحتل بوسائله هو من عمل على عزل الأحداث الوطنية واختزالها وإنعاتها بمختلف النعوت، فهل ندع المحتل يسمي المولود الجزائري وهو في أحضان أمه؟ وعليه فالثورة أكبر بامتدادها، وتأثيراتها الوطنية كما أنّها استمرار لما قبلها من ثورات عبر أرجاء الوطن، فأيّ حصر لهذه الثورة هو إجحاف في حق التاريخ والوطن وفي حق شهدائها، ولأن ذلك يخنقها ويقتلها وتصبح في طيّ النسيان، وهذا ما يقبر الذاكرة الوطنية والحقيقة التاريخية هذا من جهة المكان لهذه الحادثة التاريخية.

ومن جهة أخرى فإن ربطها بشخص ما هي صفة غائبة في ثورة 1916م لأنها ثورة شعبية، وهي حراك جماعي بقيادات جماعية، وعرفت عشرات الأسماء في كل مكان شهد جهاد الجزائريين ضد المحتل الفرنسي، فهي لم ترتبط بزعيم أو قائد، وإنّما الذي جاء ذكره كان على سبيل المثال لا الحصر، بدليل أن بعض أبطالها اعتقلوا عشية الثورة وأثنائها، واستمرت تطوراتها الأفقية والعمودية بعد ذلك لفترة غير قصيرة حتى نهايتها.

كما أنها لم ترتبط بالزاوية في تحضيرها وانطلاقها فهي أقرب للعفوية والتلقائية، وهي تضامن وتآزر بين الجزائريين ضد تمادي المحتل واستعلائه، وعليه فنحن في وقت يفترض أن تكون رسالة المؤرخ بعيدة عن الذاتية و الحزبية والإيديولوجية، وفي صميم أبجديات وقواعد الكتابة التاريخية التي نذكر منها: الحيادية، الموضوعية، التحقيق، التدقيق والبعد عن التحيز والعاطفة والتعصب.

إن ثورة الأوراس إمتداد حقيقي لباقي الثورات التي عرفتها البلاد منذ أن وطأت أقدام المحتل البلاد،[1] وتشكل تجربة جديدة في تاريخ تجارب الفكر المسلح التي خاضها الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار الاستيطاني، على غرار نماذج المستعمرات التي واجهته في جنوب إفريقيا وفلسطين، فطبيعة الاستعمار الاستيطاني أحد أبرز خصوصيات الثورة في المواجهة والكفاح، فهذه الثورة حملت مشروعا وطنيا، تفرّد بملامح سنأتي لشرحها في حينها، وما ننوه إليه أن هذا

المشروع الحضاري للمقاومة الجزائرية قد دخل في صراع مع مشروع المحتل الإستدماري الذي حاول فرضه بمختلف الأساليب و الطرق الاستعمارية.

2. ظروف وأسباب الثورة

تفاعلت الظروف والسياسات الاستعمارية الممارسة والمفروضة في تهيئة الظروف والأسباب التي أثارت غضب الشعب جزائري، ما ترتب عنه ردود فعل بحجمها وطبيعتها، ومن أهم الظروف والأسباب التي أشعلت لهيب ثورة الأوراس ما يلي:

أولا. المحلية

1- قانون التجنيد الإجباري المتجدد: هذا القانون كان أول الأسباب القوية التي استفزت مشاعر الجزائريين وألهبتها ضد المحتل، فأداروا ظهرهم له ورفضوا أي تسخير تحت رايته أو خدمة له، وهو رفض لا يجعل من الجزائر وغيرها من المستعمرات مستودعا بشريا، تسخره فرنسا في كل حروبها الإقليمية والعالمية، وظل هذا التجنيد متجددا يمدد لفترات غير قصيرة كلّما دعت الحاجة الفرنسية في حروبها ضد أعدائها في أوربا وفي المستعمرات، وهي حروب أقحمت فرنسا نفسها فيها، ولم تستطع حسمها لفائدتها، فتلجأ إلى الجزائر لتزج بأبنائها في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وإن ظهر هذا التجنيد عام 1912، فقد عاد عام 1914، ومدّد أثناء حروب أخرى خاضتها فرنسا، وهو ما آثار مشاعر الجزائريين، فكيف يكون مصيرهم تحت راية دولة مسيحية بدأت بالأمس باحتلالهم وتطلب اليوم تجنيدهم وخدمة إحتياجاتها ومأربها لذا فإن موقف الجزائريين من التجنيد كان واضحا، فلا أحد يرغب في الموت والتخلي عن حياته، أما من جنّد فما كانت إستجابته اختيارا بل عنوة، وهكذا فإن التجنيد المحرك الحقيقي لثورتهم على المحتل عام 1916، وخاصة بعد أن تمكنت فرنسا من تجنيد حوالي 400 ألف جندي وحشد 80 الف عامل في المصانع.[2]

2- تمادي المحتل في سياسة القضم والهضم، وذلك بمصادرة الأراضي ومنحها للمعمرين واستغلالها في إنشاء البلديات المختلطة ومكاتبه وثكناته،[3] وبهذا إستحوذت فئة دخيلة على أخصب الأراضي في إطار سياسة استيطانية اعتمدت على الجبر والقهر.

3- إعتماد إدارة الاحتلال سياسة الملء والتفريغ، بتهجير الجزائريين من أخصب الأراضي خاصة مناطق القبائل الثائرة، فتحرمهم من قراهم ومنازلهم وأراضيهم التي يعيشون على دخلها وتجبرهم على العيش في مناطق جبلية وصحراوية ونائية، بل وحتى تعمل على نفيهم إلى خارج الوطن، إلى كيان وكالدنيا الجديدة، هذا التهجير القصري قابله توطين المعمرين في هذه الأراضي المغتصبة،[4] ومساعدتهم على الاستقرار والاستثمار فيها، وأجبروا الجزائريين على العمل عندهم كأجراء، وقد استهدفت هذه المصادرة مناطق بريكة، وعين التوتة، وسريانة، وبلزمة.

وشكّلت هذه الثورة نوعا من الرفض، والتخلص من التجنيد الذي فرضته فرنسا على الشباب والعمال الجزائريين الذين وصفهم زعماؤها وقادتها بالجنود الشجعان، لأنهم أراقوا دمائهم ببطولة وسخاء، ولكن فرنسا تنكرت في نفس الوقت لأقاربهم، فخربت منازلهم تحت عنوان تطهير البلاد من قطاع الطرق، فكان هذا جزاء من يقف إلى جانب فرنسا،ويدافع عن أرضها وحرية شعبها.

إن الجحود الفرنسي ترتب عنه هروب المئات من الفرسان والجنود، والذين إنظموا في مجموعات شتى في الدواوير والأعراش، وإذا تمكنت فرنسا من إستغفالهم مرة أو مرتين لا يمكن أن تستغفلهم للأبد، لذا امتنع الجزائريين عن تقديم أبنائهم للتجنيد، وقد زاد من مهازل الاحتلال مرسومي7 سبتمبر 1916، و14سبتمبر 1916، وهما مرسومين عزّز الأسر الغنية بإعفاء أبنائها من التجنيد بواسطة إستخلافهم وشراء الأغنياء لأبناء الفقراء وتعويضهم بسعر تراوح بين" 20-30دورو" للكيلوغرام في الشمال،[5] مما أدى إلى قيام سوق حقيقية للاتجار بالرجال الفقراء، حيث كان المستخلف يباع بثمن بين 2000-3000 فرنك عام 1916م، يدفع

إلى أسر المجندين، و يأخذ أصحاب هذه التجارة البشرية الرشاوى على الإعفاءات، أو التسريح عن طريق القرعة، أما الرافضون لدفع الرشوة فيجندون حتما رغم الإعفاء المشروع، وبهذا عجزت الأسر الفقيرة عن شراء المستخلف لأبنائها والحصول على الإعفاء، وعلى سبيل الذكر لا الحصر ففي بريكة كان يطلب لقاء الإعفاء حوالي 20 فرنكا[6] مما اضطر السكان إلى التمرد والثورة.[7]

4- تمادي دوائر الاحتلال في فرض قانون الأهالي وقوانين نزع الملكية الجماعية أو الفردية من الجزائريين وتفقيرهم، ترتب عنها سخط الفلاحين وهجرتهم إلى المناطق الجبلية، أو الخارج نحو فرنسا والمشرق العربي.

5- إثقال الجزائريين رغم فقرهم بالضرائب المختلفة خاصة على الماشية والحبوب والأشجار المثمرة.

6- مصادرة أراضي الأعراش وتفتيتها من أجل إنشاء مراكز للمستوطنين في بريكة ومروانة ووادي الماء وسريانة وعين التوتة، وفقدان الجزائريين وسائل عيشهم مما أحدث صراعا مع مصالح الاحتلال التي أصبحت تشرف على المياه والغابات والأراضي.

7- حرمان أولياء المجندين من التعويضات المخصصة لهم، وهو ما من تأزم الأوضاع وراح الحاكم العام - ليتسو- في 25 مارس 1917 يستخف بالجزائريين قائلا:" أن المجاعة التي تهدد باجتياح المنطقة بنهاية الصيف ستدفع بالأهالي حتما إلى التطوع بالجنود والعمال".[8]

8- اتساع نطاق الاضطهاد والقمع ضد الجزائريين، وتوسع حملات التفتيش من طرف الشرطة والدرك والجيش الفرنسي في إطار قانون الطوارئ حتى أثار ذلك الجنرال "مواتيي" الذي اشتكى من تمادي جنوده" فتسببوا في ثورة بلزمة".

9- الاعتقالات العشوائية والأحكام القضائية التعسفية ضد الجزائريين، والمتهمين بالتمرد على قرارات مصادرة الأراضي، ففي 28 ديسمبر 1916 حكمت محكمة باتنة الجنائية على طفلين أحدهما في الثانية

عشر من العمر والآخر في الرابعة عشر بتهمة الخروج عن طاعة القانون، وكان شيخ الدوار قد سجلهما في قائمة1917.[9]

10- قوانين السخرة القاضية بالعمل دون مقابل في أراضي المعمرين، وحراسة الغابات ليلا بحجة حمايتها من الحرائق، وإلاّ كان على الرافضين تحمل بطش إدارة الاحتلال.

11- الصراع القائم بين الأسر والعائلات الكبرى المدعمة من طرف الاحتلال الفرنسي، والتي أرادت توسيع دائرة نفوذها في المال والأراضي على حساب ملاك الأراضي، ولعل في مقدمتها عائلة بن قانة وابن شنتوف.[10]

12- قوانين الحاكم العام جونار منذ عام 1906وما بعدها، والتي منعت الجزائريين من إقامة شعائرهم الدينية ومن أداء فريضة الحج بحجة جلب الأمراض من المشرق العربي، هذه القوانين وغيرها التي نصفها بالقوانين الشاذة ضيّقت الخناق على المواطنين، وأثارت مشاعرهم للثورة على المحتل.

13- أثر الحرب العالمية الأولى على الجزائريين سلبا وإيجابا، فأما الأول أي الأثر السلبي فتمثل في مبادرة فرنسا في اتخاذ تدابير إضطهادية كحالة الحصار والرقابة، وتجديد قانون الأهالي سبعة أعوام أخرى بدءا من صائفة1914 في وقت كان القناصة الجزائريون في خنادق الحرب يدافعون عن فرنسا في معارك شارل روا وفردان ولامارن،[11] ومع ذلك لم تكترث لتضحياتهم الجسيمة، وحاولت إبقاء المسلمين الجزائريين في معاناتهم الاجتماعية والاقتصادية، في حين تعلق الثاني أي الأثر الإيجابي في إكتساب المجندون الجزائريون خبرة عسكرية وظفوها في مواجهة المحتل أثناء ثوراتهم.

14- ثورة الجزائريين ضد فرنسا في مناطق أخرى مثل انتفاضة بني شقران بمعسكر سنة1914، حيث تمرد السكان على التجنيد الإجباري،[12] وظهرت بوادر الثورة في تبسة وبجاية ضد المواصلات والمراكز الفرنسية وانتشر الرعب إلى ضواحي وقرى عنابة وسوق اهراس.

15- أخطاء حكام البلديات ورؤساء الأهالي وحراس الغابات في حق المواطنين، إذ أثارت حافظتهم مما أدى إلى ظهور الفكر الثوري بمنطقة الأوراس.[13]

16- دور الزوايا خاصة الرحمانية، بأنّها وراء هذا التمرد - حسب اعتقاد المحتل- ويبدو أن الزوايا لا علاقة لها بالثورة في الأوراس على الأقل في بدايتها رغم إعلان الثورة على أنه الجهاد المقدس في سبيل الله والوطن، ثم أنه وعلى سبيل التوضيح ليس في بلدية بريكة المختلطة أية زاوية، ولكن هذا الأمر لا يلغي دورها بالمرّة.

17- إن اندلاع الثورة كان بسبب حقد السكان المناطق الثائرة على الاحتلال الفرنسي والذي أقصاهم من إدارة شؤونهم وتلقوا منه المعاملة القاسية، ثم أنعت الجزائريين بالتوحش والبربرية، وقد أكد ذلك تقرير المفتش الفرنسي أوكتاف ديبون المعروف بمحاولته تشويه تاريخ هذه المناطق بإشاعات مغرضة مفادها، أن الثورة عمل وحشي ضد الحضارة الفرنسية.

ثانيا- الخارجية:

1- اتهام الدعاية الألمانية والدعاية العثمانية، والعائلة السنوسية في ليبيا خاصة مؤسسها الجزائري الأصل "محمد بن علي السنوسي" قائد المقاومة ضد ايطاليا بتحريض الجزائريين على التمرد والثورة[14]، رغم اتصال قادتها بتركيا مثلما قام به محمد بلوذيني.

2- ظهور المقاومة الليبية ضد الاحتلال الايطالي، والتي امتد لهيبها إلى مناطق جانت وتاغيت، وشملت هذه المقاومة المغاربية ثورة محمد بن سعد الله المقراني سنة 1915، ومعركة مطوس غرب القطر الليبي، وثورة المحمدية بالمغرب.[15]

وبعد عرض مختلف الظروف و الأسباب من وجهة نظر الحركة الوطنية الجزائرية والمدرسة الفرنسية الاستعمارية، فإننا نخلص إلى أن الأسباب الحقيقية لثورة 1916تبرز في التذمر الشعبي من الممارسات الاستعمارية وقوانينها الجائرة مثل قانون التجنيد الإجباري، وقانون الأهالي، وقانون جونار، وقانون السخرة وغيرها، يضاف له تدهور

الأوضاع العامة بالجزائر جراء الإجراءات التعسفية الاستفزازية في حق الشعب الجزائري، مما حرك مشاعر التمرد والثورة ضد الاحتلال الفرنسي.

كما تبين أن الظروف و الأسباب السالفة الذكر سواء من وجهة نظر الجزائري، أو وجهة نظر المحتل هي في الحقيقة صناعة المحتل ونتاجه، وعليه فهي أسباب وظروف وطنية عاشتها الجزائر في كل أرجائها، ما يضفي على ثورة 1916 البعد الوطني من حيث تشابه الظروف والأحوال والأسباب، ويجعل الوحدة والوطنية في الظروف والأسباب أمرا واقعا، والتي كان ورائها المحتل، أما الثورة فهي صناعة وطنية، ورد فعل طبيعي تجاه محتل مارس الظلم والقمع وسخّر البلاد والعباد خدمة لأغراضه المختلفة أوقات السلم والحرب معا، ولم تكن الثورات بالمغرب وليبيا والمشرق العربي إلاّ لظروف خارجية إقليمية ودولية وعالمية على غرار الحرب العالمية الاولى ومشاركة العرب فيها، كما حفّزت الجزائريين للحراك الوطني بغية تغيير أوضاعهم السائدة.

3ـ الإطار المكاني والزماني لثورة الأوراس 1916

بدأت إرهاصات الثورة ببلدية بريكة المختلطة في سبتمبر 1914 على إثر تحرير 34 شابا من دوار سقانة وسفيان من طرف أصدقائهم وأهلهم ولاذوا بالفرار من التجنيد الفرنسي في ح.ع.1، وتكررت حالات الرفض للامتثال للتجنيد في المناطق المجاورة حتى سنة1916، وأخذت دوائر الاحتلال في استخدام القوة وأمام تعنت المستعمر زاد من تذمر الجزائريين من التجنيد للخدمة العسكرية بدءا من 8 أوت 1916 ببيركة والمناطق المجاورة، وتواصلت الاحتجاجات سنة1917، وانتقلت إلى دوائر متكعوك حيث أعلن سكانها على:"نحن لا نبدل أبناءنا ونفضل أن نراهم يموتون في الجزائر بدلا من فرنسا".[16]

ونظرا لتشكّي قوات جيش الاحتلال في إقليم تقرت وبسكرة من قلة الجنود والخيالة بدءا من 15 نوفمبر 1915بسبب تحريض الفارين من الخدمة العسكرية لإخوانهم الجزائريين في المناطق الأخرى، وبهذا

انتقلت حمى الوعي إلى رفض التجنيد الإجباري من طرف أولاد عوف، وكان مقدمة لثورتهم، وبهذا انتشر الرعب في مناطق الأوراس.[17]

إن الفارين من التجنيد اعتصموا بالجبال الغابات، وبدأوا يشكلون وحدات صغيرة وتضاعف عدد الثائرين منهم نتيجة الفرار من الجيش الفرنسي خاصة بين 1915- 1916م، كان هؤلاء قد تلقوا تدريبا عسكريا ومنهم من جلبوا معهم سلاحهم، ومع حلول أيام 10-11 نوفمبر 1916 انتشر لهيب الثورة حتى أفريل، وأوائل ماي 1917م، واستمرت تداعياتها إلى غاية 1922م .

في حين امتد لهيب الثورة مكانيا من المنطقة الممتدة من بريكة وعين توتة وسفيان وبومقر ونقاوس وبلزمة إلى مقرة والمسيلة أي من الحضنة وسطيف غربا، إلى جبال ششار بالأوراس، وأطراف جنوب قسنطينة شرقا إلى بسكرة وحواف الصحراء جنوبا، وعلى الرغم من ذلك إنحصر لهيبها في مناطق ثلاثة بشكل أساسي وهي:

- سهل بريكة بالحضنة وسقانة وسفيان ونقاوس.
- جبال الأوراس الشرقية وششار وتاجنانت ضواحي سطيف.
- جبال فجوج وبوعريف بين عين كرشة وخنشلة.

وبهذه المواصفات، عمّت الثورة أكثر من 23 دوارا، وشملت بريكة متكعوك ومقرة عين الخضراء وسفيان و بومقر،وأولاد سي سليمان، ونقاوس، ومروانة ومركوندة وأولاد عوف وأولاد شليح، والشمرة وجرمة والحراكتة وأولاد عمر، وولجة وششار، وعليناس وزلاطو.

إن النطاق الجغرافي لهذه الثورة قد يبدو ضيقا، وفي الحقيقة أن هذه المنطقة كانت نواة لثورة الأوراس في حين نطاقها كان أوسع من حيث التأثير والانتشار الناتج عنها، وستظل هذه الرقعة الجغرافية نواة الفكر والعمل المسلح حتى قيام الثورة التحريرية، ويكفيها شرفا أنّها كانت معقلا لتنظيم شبه عسكري عرفته جماعات الشرق، أو جماعات الشرف، أطلق المحتل عليهم تسمية عصابات الشرف كما يحلو له تسمية المجاهدين، وكان من بين هؤلاء قرين بلقاسم وأحمد قادة وغيرهما، وانحصر دورهم في الضرب بقوة أعوان فرنسا ونصرة الفقراء بدعمهم

بما يحتاجون إليه وقد ضمت حوالي 700 شخص، وهي التي هاجمت برج عين التوتة أيم ثورة الأوراس 1916،[18] بل أنّ هؤلاء الثوار هم من قاموا بحماية زعماء الحركة الوطنية، ومسؤولي المنظمة الخاصة بعد اكتشافها عام1950.

أما فيما يتعلق بأبرز زعماء الثورة 1916م فالأسماء عديدة، ولم ترتبط بالزعيم أو القائد الأوحد بل بقيادة جماعية بوصفها ثورة شعبية، ومن أمثلة مجاهديها: الهيدوق بن أحمد العيفة، وحامد وناس، وحبيب حمة بن علي لهميسي بن العجابي، وشباح الطاهر بن برة، ومهوبي أحميدة بن القتال وميلود بن الطاهر بن القتال، حاجي الطاهر، ودومي بن دومي بالإضافة إلى زعماء وطنيين في عين التوتة وبلزمة ومروانة وتاجنانت ومن أبرزهم : على بن أحمد بن زلماط وشقيقه المسعود بأريس، وأحمد بوهنتالة أولاد عوف، ومحمد بن النوي من منطقة عين التوتة أي من متليلي وتيلاطو إلى القنطرة والوطاية وتيلاطو، والثائر عمر بن موسى ورفاقه منهم: علي بن محمد ال وعقوني الصحراوي، وحمو بن حمنة، وجمعي السعيد بن حسين في جبل مستاوة وشلعلع، ومنطقة مروانة واد الماء وبلزمة يضاف إليه المجاهد الصالح بن محمد بن أمزيان في جنوب الأوراس بمشونش، وبلقاسم بن زروق.

إنّ أسماء الزعماء التي أوردتها هم من أطروا هذه الثورة بمناطقها وذكرت بعضهم على سبيل المثال لا الحصر، ونأمل أن يولي الباحثيين في كتاباتهم ومقالاتهم هذه الشخصيات عناية تليق بدورهم الوطني في وقت افتقروا إلى الدعم والامكانيات الضرورية لمواجهة محتل إستيطاني، ومن خلال هذه القافلة من الأسماء التي أطرت ثورة1916م، يتأكد أنّ هذه الثورة لم ترتبط باسم معين، ما يجعلها قيادتها متعددة بتعدد المناطق والجهات الثائرة، ونظرا للتضامن ووالوحدة فيما بينهم فقد ظهرت، وكأنها قيادة جماعية ووطنية واحدة، وهذا ما يثبت مرة أخرى عن البعد الوطني لهذه الثورة، فلا أحد كان زعيما وقائدا لوحده، فهي ثورة شعبية أطرتها أرادة جماعية بحس وطني تحدوه شجاعة وحكمة وتبصر وكان هدفها وطنيا وليس هدف شخصي أو قبلي، إذا ثارت بسبب

التجنيد الاجباري ومصادرة الأراضي والتعسف والقمع، وهي معاناة يومية ووطنية، عاشها الجزائريين أثناء الاحتلال وثاروا من أجل التخلص من مظالم المحتل وتحرير الأرض والعرض معا، فنزعة التحرر عامة ووطنية ولأجلها إنتفض الجزائريون عبر العصور، ولم تكن بدعة ضد فرنسا، وإنمّا كانت التقليد المتجذر في نفوس الجزائريين الأحرار.

4. نتائج الثورة

ترتب عن هذه الثورة عدة نتائج على المدى البعيد والقريب على الشعب الجزائري والحركة الوطنية الجزائرية، و الإحتلال الفرنسي وهذه النتائج والآثار لم تكن في مجملها نقمة وبلاء بل كانت في بعض جوانبها نعمة ورخاء، و يمكن إبراز أهم نتائج الثورة على النحو التالي:

النتائج السلبية:

1- الخسائر البشرية والمادية التي ألحقت بالجزائريين جراء العمل الوطني حيث سقط العديد من الشهداء برصاص المحتل ومقصلته.

2- حمل الجزائريين على الهجرة الفردية والجماعية إلى المناطق النائية والجبلية وإلى خارج الوطن مثل المشرق العربي وبلدان المغرب العربي وإلى أوربا خاصة فرنسا، في المقابل جلب الأوربيين إلى الجزائر، وهذا النوع من الهجرة السلبية، وهي مارست خلالها فرنسا سياسة التفريغ والملء.

3 - نفي العديد من الجزائريين من قراهم ومدنهم إلى مناطق بعيدة داخل الوطن وتلقي بعضهم أحكام مختلفة كالسجن الموْقت والإعدام على غرار سجن العيدون الهيدوق ونقله من بريكة إلى سطيف والحاج محمدبن لوذيني الذي نفي من سقانة إلى سعيدة وتوفي بها، وسجن محمد بن أحمد بوهنتالة في سجن باتنة حتى توفي، و نفي الشيخ محمد بن السعيد رحماني أربع سنوات إلى وهران، ونفي أحمد جاب الله إلى كاليدونيا الجديدة، و حكم على محمد بن علي بن النوي بإعتباره قاتل الحاكم بالإعدام رميا بالرصاص رفقة ثلاثة عشر من المجاهدين أمام الملأ في سوق عين التوتة في فيفري 1917م، وهو عقاب أعدّته فرنسا لكل المناطق الثائرة والزعماء

الوطنين حتى لا يهددوا مصالحها بالجزائر، ولزرع عقدة الخوف والرهبة في نفوس الجزائريين.

4- مصادرة أراضي الجزائريين وهي مصدر رزقهم وعيشهم ما ينجم عنه تحولهم الى أجراء، أو عاطلين عن العمل.[19]

5- تزايد نفوذ الفئة المستوطنة اقتصاديا وتجاريا.

6 - ظهور إصلاحات الاحتلال عام 1919 لذرّ الرماد في الأعين وفي إطار ترتيبات التهدئة وهذا ما أقرته لجنة التحقيق الفرنسية بعد ثورة 1916.

النتائج الإيجابية

1- زوال عقدة الخوف من المحتل وعدم الامتثال الى قوانينه خاصة التجنيد الإجباري.

2- نمو الوعي السياسي والثوري لدى الجزائريين والذين أعادت الثورة لأذهانهم الفكر المسلح الذي سيكون لاحقا العمل الحسم مع المحتل.

3- إنّ هجرة الجزائريين إلى فرنسا وغيرها لم تقطع صلتهم بالوطن، فقد كان المهجر المهد الأول لميلاد الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال وبهذا استمر نضالهم ضده.

4- ميلاد حركة الأمير خالد التي نتج عنها مختلف أطياف، وتيارات الحركة الوطنية الجزائرية خاصة الاتجاه الاستقلالي الذي سيظل أحد أهم روافد الحرية.

5- ظهور تنظيمات مسلحة قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية من أهمها جماعات الشرف عام 1946م، والمنظمة السرية عام 1947، والتي كانت من أهم تنظيمات العمل المسلح والنواة الأولى لميلاد جيش التحرير الوطني عام .1954

6- بدأ النظال السياسي والسلمي الذي قادته تيارات الحركة الوطنية ومشاركتها في الانتخابات والمجالس و تقديم العرائض والمطالب وإرسال الوفود إلى فرنسا.

7- مشاركة الأمير خالد على رأس وفد جزائري في مؤتمر الصلح ومحاولة تدويله للقضية الوطنية بتقديم عريضة للرئيس الأمريكي "ويلسون".[20]

8- إعلان الجزائريين لبيانهم أثناء ثورة 1916 في بلدة بومقر، وعلى لسان المجاهد العيدون الهيدوق مشروع قيام جمهورية جزائرية ما يؤكد البعد الوطني والمشروع الحضاري الذي حملته هذه الثورة، كما يؤسس لبعد النظر وإتساع الأفق السياسي لرجال هذه الثورة، وفي هذا دلالة واضحة وقاطعة على البعد الوطني لما قام به المجاهدون أيام تلك الثورة.

الخاتمة

ليس علينا الإقرار بفشل ثورة 1916م بصفة مطلقة فهذا إجحاف وقصر نظر، فهي لم تقم من أجل تحقيق الإستقلال، وإنمّا من أجل أهداف آنية وجزئية تقود في نهاية المطاف إلى التحرر والاستقلال، وبالنظر إلى عفويتها وقلة الامكانيات فقد مثلت أكبر تحدي في وجه المحتل. فهذه الثورة رد فعل تلقائي للعدوان وهي حالة صحية، أما الحلة المرضية فتجسدها الإستكانة والخضوع والتخاذل، وعليه فالكتابة التاريخية يجب أن تحجّم الأحداث ولا أن تقزّمها، ورسالة الباحثين ليست رسالة القضاة في التاريخ، بل هي رسالة ونظرة محايدة وموضوعية تنصف دور شهداء ثورة 1916م، والذين قاموا بثورة محددة الأسباب والأهداف.

إنّ نتائج الثورة كانت متنوعة وإنّ جاء بعضها سلبي فإن الكثير منها كان إيجابي على الحركة الوطنية الجزائرية، و الشعب الجزائري الذي دخل مرحلة جديدة لتجريب النضال السياسي العلني والثوري والسرية بالعمل المسلح في شكل تنظيمات سرية أبرزها المنظمة السرية1947 التي ستجعل من أزمة حزبها نعمة بتفجير ثورة التحرير الكبرى عام 1954، وبهذه تكون نتائج هذه الثورة على المدى القريب والبعيد، نتائج وطنية، ما يعزز فكرة البعد الوطني لهذه الثورة، في حين أربكت هذه الثورة التي تعد خاتمة المقاومة الشعبية المحتل، وأثرت في سياسته حيث ركّز فكره و جهوده على المنطقة حتى الإستقلال.

ومجمل القول فإن هذه الثورة هي نتيجة تراكمات جراء السياسة الاستعمارية المنتهجة، أما التجنيد الإجباري فهو القشة التي قطعت ظهر البعير بل الشرارة التي أثمرت ثورة 1916، وإن هذه الثورة أخمدت بالقنع والوحشية إعتقادا من فرنسا بأنها قدمت درسا للجزائريين ولكن

منطقة الثورة تحولت إلى بركان دائم سيقضي عليها لاحقا، وأثبتت هذه الثورة أن المقاومة الجزائرية مستمرة حتى تحقق الاستقلال.

إن هذه الثورة حافظت على الضمير الوطني الحيّ ومثلت إستمرار الوجود الجزائري الذي حاول المحتل القضاء عليهـ،[22] وأنها ماهي إلا محطة جديدة لاستمرار حركة المقاومة والتحرر وتجربة مسلحة جديدة أسست قواعد الفكر المسلح نصبّت الأوراس قلعة لإنطلاق العمل التحرري عام 1954.

الهوامش

1- نورالدين بن قويدر، مسيرة الفكر المسلح بين 1830-1954، دار هومة، الجزائر، 2017، ص.13.
2- يحي جلال، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1920، دار المعرفة، 1959، ص 274.
3- مجلة الاورس، ثورة الأوراس، العدد2، سبتمبر1987،ص12.
4 - يحي جلال، المرجع السابق، ص274.
5- مجلة التراث، المرجع السابق، ص59.
6- مسعود عثماني، أوراس أمجاد أنجاد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2008،ص198.
7 - عبد النور غرينة، الاوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية، باتنة،2009، ص33.
9- عثمان حفيظة، ثورة الاوراس1916، مذكرة ماستر،جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013،ص.24.
10- مسعود عثماني، نفس الرجع، ص 123.
11 – عمار هلال، ثورة الأوراس 1916، جمعية أول نوفمبر، باتنة، 1996، ص232.
12- عميراوي حميدة، محاضرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى عين مليلة، 2004،ص 159.
13- عبد الله الشافعي، ثورة الاوراس، جمعية أول نوفمبر، مطبعة عمار قرفي، باتنة 1996، ص67.
14- عبد الحميد زوزو، الأوراس أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، دار هومة، الجزائر،2009، ص54.
15- ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1939، دار هومة الجزائر، 2005، ص27.
16- شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، ص821.
17- دومنيك فارل، معركة جبال النمامشة (1954، 1962) (ترجمة) مسعود حاج مسعود، دار القصبة النشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص717.
18- عبد الحميد زوزو، الأوراس أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص 12.
19- محمد الطيب العلوي، مظاهرة المقاومة الجزائرية 1830-1954، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و الإشهار، 2007، ص 49.
20- عبد القادر خليفي، محطات قي تاريخ الجزائر المجاهدة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2016، ص71.

السياق الدولي لثورة 1916 في منطقة الأوراس

أ.د يوسف بن يزة - جامعة باتنة- 1-

مقدمة

اندلعت ثورة الأوراس 1916 في خضم الأحداث الدولية الكبرى التي شهدتها قارة أروبا مطلع القرن الماضي ومنها الحرب العالمية الأولى، التي شاركت فيها أغلب دول القارة وأغلب مستعمراتها بطرق مختلفة، وكان لها تأثير على كل المجالات في القارة الأروبية وخارجها .

لقد زاد التنافس الاقتصادي والتجاري بين الدول الغربية خلال الربع الأول من القرن العشرين ووصل مداه الأقصى عند إعلان سقوط الخلافة الإسلامية ممثلة في بقايا الدولة العثمانية، وهذا ما غذى الصراع من أجل اقتسام النفوذ عبر العالم والسيطرة على الأقطار الجديدة الناتجة عن اضمحلال الدولة العثمانية، بما تمثله من أسواق جاهزة لاستيعاب فائض الإنتاج الصناعي والمالي من جهة، والتزود بالمواد الأولية من جهة ثانية، لا سيما في الأقطار المشرفة على البحر الأبيض المتوسط، والتي لا تبعد سوى بمئات الأميال عن أوربا، وبقدر ما كان هذا الصراع محتدا بطرق سلمية، بقدر ما أدى إلى نشوء تحالفات سياسية وعسكرية، تسببت في استعار السباق نحو التسلح بين الدول المتنافسة، التي تضاعفت ميزانيات التسليح لديها لاسيما بعد دخول الدبابات لأول مرة على خط التماس الأول عسكريا، وهذا ما تطلب ميزانيات إضافية ضخمة، خاصة للدول التي شاركت بطريقة مباشرة في الحرب.

لقد شهدت العلاقات الدولية توترا كبيرا في مطلع القرن العشرين بسبب توالي الأزمات السياسية والعرقية، كأزمة البلقان، والصراع الفرنسي الألماني حول الحدود، بالإضافة إلى نمو النزعة القومية داخل أوروبا وتطلع بعض الأقليات إلى الاستقلال، وهذا ما جعل القارة العجوز تدخل في حالة فوضى سياسية غير مسبوقة، مع تراجع مستويات الأداء الاقتصادي، وتسارع وتيرة الاكتشافات العلمية في المجال التكنولوجي والعسكري، وتزايد حملات الاستعمار لمزيد من الأقطار في إفريقيا وآسيا.

في 28 جوان 1914 اغتال طالب صربي ولي عهد النمسا وزوجته أثناء زيارتهما لسراييفو في البوسنة والهرسك، وكان لتلك الحادثة وقع كبير في الأحداث الدولية في القارة الأروبية فاعتبرت بمثابة الشرارة الأولى لانطلاق الحرب، وبعد شهر أعلنت النمسا الحرب على صربيا، وتحركت التحالفات بين الدول الأروبية، حيث ناصرت روسيا صربيا وأعلنت الحرب على النمسا فقامت ألمانيا بإعلان الحرب على رسيا نصرة للنمسا.

شهدت هذه الحرب في بدايتها بدايتها تشكل مجموعتان من الدول المتحاربة هما الحلفاء "الوفاق الثلاثي" بزعامة بريطانيا، ودول المركز بزعامة ألمانيا، ثم توسعت التحالفات فيما بعد مع اتساع دائرة الحرب ودخول العديد من الدول فيها إلى جانب أحد الفريقين المتحاربين.[1]

أولا: الوضع في أوربا خلال الحرب العالمية الأولى، مؤشرات ودلالات

خلفت الحرب العالمية الأولى أوضاعا كارثية في القارة الأروبية يصعب حتى تخيلها، فبالنسبة للجيش الفرنسي مثلا، فقد فقَد في شهر أوت 1914، أكثر من 27000 جنديا، بمعدل 19 فردا كل دقيقة وشارك في هذه الحرب أكثر من 70 بلدا تحت لواء ست إمبراطوريات، أو قوى استعمارية كبرى هي بريطانيا العظمى، وفرنسا، وروسيا، وألمانيا، والنمسا، والمجر، والإمبراطورية العثمانية.

وقد وجدت عشرات الدول المستقلة نفسها في حالة حرب في صيف عام 1914، وانضمت الدول الأخرى إلى الصراع تدريجيًا، مثل إيطاليا في عام1915، أو الولايات المتحدة في عام 1917، ليشارك فيها بصفة فعلية أكثر من 800 مليون نسمة عبر العالم، بما يمثل نصف سكان العالم في ذلك الوقت، وبقيت حوالي 20 دولة فقط على الحياد طوال الصراع، معظمها في أمريكا اللاتينية وشمال أوروبا.[2]

يمثل الشكل الموالي تعداد الخسائر البشرية بين القتلى والجرحي في الدول الرئيسية التي شاركت في الحرب أين قتل حوالي عشرة ملايين وجرح أكثر من 20 مليونا، يتوزع أغلبهم على الدول حسب المدرج

التكراري أدناه حيث تشير الأعمدة الصغيرة إلى القتلى والطويلة إلى الجرحى بحسب البلدان.

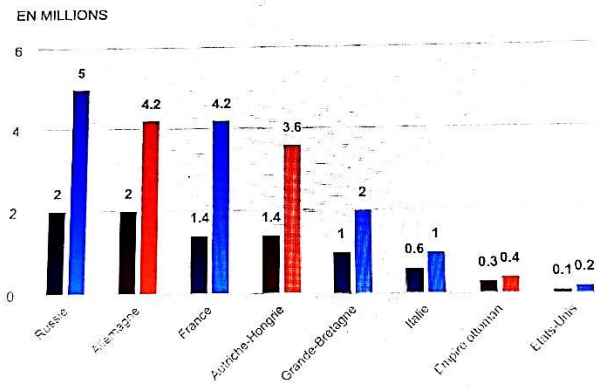

لقد تم حشد حوالي 20 مليون رجل من قبل المتحاربين في بداية الحرب في عام 1914، لكن هذا الرقم ازداد باطراد ليصل إلى إجمالي 70 مليونًا يضاف إلى هذه الأرقام الفلكية تهالك منقطع النظير للاقتصادات الوطنية وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات، فضلا عن ضحايا بالملايين في صفوف المدنيين ملايين أخرى من المعطوبين واليتامى والأرامل.

لقد احتل الجيش الألماني مناطق مأهولة بالسكان في بلجيكا وفرنسا، وفرت حشود من اللاجئين من المعارك الضارية إلى الملاجئ، كما تعرضت مناطق واسعة من الدولتين للقصف بالمدفعية وهوجمت السفن التجارية بالغواصات الألمانية.

وعلى صعيد الوضع الإنساني شهد شتاء سنتي 1916 - 1917 موجة برد قارس ضاعفت من متاعب السكان، حيث انتشر الجوع في كل مكان، كما تعرضت عشرات الآلاف من النساء إلى الاغتصاب من قبل الألمان في كل من فرنسا وبلجيكا، وهذا ما أنتج جيلا من المواليد الجدد تم القذف بهم في دور الأيتام.[3]

وعلى صعيد الحياة العسكرية دخلت الدولتان الرئيسيتان المتحاربتان على الجبهة الغربية، وهما ألمانيا وفرنسا الحرب بجيوش كبيرة ومدربة لأنهما كانتا تعملان بنظام التجنيد الإجباري الذي سمح بدفع أعداد كبيرة من جنود الخدمة العسكرية إلى جبهة القتال، وفي عام 1914 وضعت خطط

مدروسة لتوسيع السكك الحديدية بما يضمن نقل المزيد من جنود الاحتياط إلى الجبة بسرعة فائقة.

ثانيا: الأوضاع الداخلية في فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى

لقد انعكست الأوضاع الداخلية والإقليمية لفرنسا في الربع الأول من القرن العشرين بشكل مباشر على كل نشاطاتها الاقتصادية والاجتماعية وسخرت كل الإمكانيات لدعم الجيوش في ساحة المعركة وهذا ما انعكس سلبا على الحياة العادية في المدن الفرنسية، وامتد ذلك إلى كل جوانب الحياة المدنية والعسكرية في كل مستعمراتها، فقد أدت الحروب الدائرة بينها، وبين بعض الدول الأروبية الأخرى، وكذا تفاقم الأوضاع الداخلية الى اشتداد وطأتها على مستعمراتها بغرض تعويض النقص الحاصل في الجنود المشاركين في تلك الحروب، وجلب المزيد من الأموال والمواد الأولية لدعم الصناعات الحربية.

شهدت الأراضي الفرنسية عقب الغزو الألماني مئات المعارك الشرسة، إلا أن هذه الحرب تميزت بمعركتين كبيرتين جدا جرت أطوارهما على الأراضي الفرنسية دامت إحداها سبعة أشهر والأخرى أربعة أشهر وهما معركتا "فردان" و"ألسوم"، حيث تكبد الطرفان الفرنسي والألماني في الأولى أكثر من نصف مليون بين قتيل وجريح، أما الثانية فقد استطاع خلالها الحلفاء إجبار القوات الألمانية على التقهقر مائة ميل مربع ما أجبرها على الاعتماد على الجنود صغار السن.

تعد معركة "فردان" أشهر المعارك وأطولها أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد نسبت إلى اسم المدينة التي وقعت فيها والتي تقع على نهر ميوز في الجانب الشمالي من فرنسا على بعد نحو 80 كم من الحدود، حيث شنت القوات الألمانية هجوما خاطفا عليها بتاريخ21 فبراير 1916 وذاد الفرنسيون فيها عن مدينتهم بقيادة هنري بيتان، إلا أنهم فقدوا ما يقرب من سبعين ألفا من جنودهم،[4] وبمجرد شيوع الأنباء عن سقوط مدينة فردان كانت الجيوش النمساوية البروسية قد توغلت في الأراضي الفرنسية واستولت على مدن عديدة ما تسبب في هلع كبير لدى الفرنسيين، ونشطت

العصابات في كل مكان وهددت السلم الاجتماعي نشرت الفوضى التي أصبحت تعيشها أغلب المناطق الفرنسية.[5]

لم تكن حاجة الفرنسيين للمقاتلين لتعويض خسائرهم البشرية فحسب، حيث شرعت حكومتهم منذ البداية في استيراد العمال الأجانب لدعم الحياة الاقتصادية، ففتحت حدودها للوافدين من مختلف الدول الأروبية، وأصبحت مصانعها تحوي أغلب الجنسيات الأروبية إضافة إلى العمالة المستقدمة من شمال إفريقيا، وهكذا ساهم الأجانب بكفاءة في تشغيل الاقتصاد الفرنسي الذي تلقى ضربة كبيرة بسبب استهداف البنى الاقتصادية التحية من طرف الألمان، وهذا ما أدى إلى ارتفاع أسعار المواد الأساسية التي تضاعفت وأصبحت المؤن بكل أنواعها توجه لجبهات القتال.[6]

في هذه الأجواء المحمومة أثناء الحرب العالمية الأولى كانت فرنسا تقاتل على جبهات مختلفة، وهذا ما جعلها تشدد إجراءاتها وتشد الخناق على مستعمراتها، ومنها الجزائر من أجل جلب المزيد من المقاتلين، من جهة ومن جهة ثانية تضاعف معدل نهبها للثروات واستغلال العمالة الأجنبية أبشع استغلال من أجل منع انهيار اقتصادها بفعل الحرب متعددة الأطراف.

ثالثا: تأثير الحرب العالمية الأولى على المنطقة العربية

رغم ضعفها وعجز الحكم المركزي في إسطنبول عن التحكم في كل الأقطار المنضوية تحت رايته، فقد انضمت الخلافة العثمانية إلى دول المركز في هذه الحرب، وكان ذلك بداية النهاية للامبراطورية الوريثة للخلافة الإسلامية، حيث وضعت هزيمة ألمانيا ومعها الإمبراطورية العثمانية مصير المشرق العربي في أيدي بريطانيا وفرنسا. والمغرب العربي في يد فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، وهكذا تبخرت أحلام الشريف الحسين بن علي حاكم مكة بإنشاء دولة عربية كبرى، بعد أن ساءت علاقته بالخلافة العثمانية، وكانت بريطانيا حريصة على اجتذاب العرب إلى جانبها فدخلت في مفاوضات سرية معه، وتم تبادل رسائل بينه وبين السير هنري مكماهون مندوب بريطانيا في مصر والسودان.[7]

لقد قاتل نحو نصف مليون من العرب مع المعسكرين في تلك الحرب، ومات الآلاف من السودان إلى الشام إلى المغرب وبعضهم نقل بالبواخر إلى

القارة الأوروبية لخدمة الجيوش المتحاربة. من جهة ثانية استخدم الأتراك العثمانيون نحو ثلاثمائة ألف من العرب في جيوشهم يقاتلون مع ألمانيا والنمسا والمجر وصربيا ضد بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والصين وغيرها من دول الحلفاء.[8]

هكذا تقاتل العرب فيما بينهم دعما لقوتين استعماريتين ومات الكثيرون منهم من الطرفين وعلى الرغم من وعود بريطانيا لهم، فقد أجرت مفاوضات واتفاقيات سرية مع فرنسا وروسيا تناولت اقتسام الأملاك العثمانية بما فيها البلاد العربية، ثم انفردت بريطانيا وفرنسا باقتسام كل الأملاك العقارية للامبراطوية العثمانية خارج تركيا في اتفاقية سرية عرفت باتفاقية سايكس بيكو 1916 نسبة إلى كل من المندوب البريطاني مارك سايكس، والمندوب الفرنسي فرانسوا جورج بيكو.

وبموجب هذه الاتفاقية تقاسمت فرنسا وبريطانيا البلدان العربية، وأُخضعت كل مناطقها للاستعمار تحت اسم الانتداب، وفي نفس السنة غدرت بريطانيا بالعرب مرة أخرى إذ وعدت زعماء الصهاينة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فيما عرف بوعد بلفور الصادر في 2 نوفمبر 1917.

رابعا: تأثير الحرب العالمية الأولى على المنطقة المغاربية

لئن كانت أروبا هي المسرح الأساسي للعمليات الحربية وتناقضاتها، فإن باقي بلدان العالم بما فيها البلدان العربية وجدت نفسها مقحمة قهرا في هذا الصراع، وقد ساهمت المجتمعات المغاربية مساهمة فعالة في المجهود الحربي الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، أين دفعت فرنسا بالآلاف من الشباب والجزائري والتونسي والمغربي إلى التجنيد القسري والمشاركة في المعارك للدفاع عن التراب الفرنسي ضد ألمانيا. وتؤكد شهادات الضباط الفرنسيين بأن فيالق المجندين المغاربيين لعبت دورا حاسما في معارك مهمة مثل معركة فردان.

وباستثناء "إفريقيا الغربية الفرنسية"، لا شك في أن أجزل قسط من العون المادي الذي تلقته فرنسا من مجمل امبراطوريتها الاستعمارية جاء من الجزائر، وبسببِ تغلغل الاستعمار فيها بشكل أعمق وأقدم من تغلغله في

تونس وخاصة في المغرب، كانت الجزائر أكثر خضوعا للتأطير والمراقبة، ولم يفرض الفرنسيون الخدمة العسكرية الإلزامية في المغرب، كما في تونس، مع أن نظام التجنيد البايلكي كان شبيها في كلا البلدين. ولم تنشء الجمهورية الفرنسية الخدمة العسكرية الإلزامية إلاّ في الجزائر بموجبِ مرسوم صدر في فبراير 1912.[9]

لقد عانى الجزائريون الأمرين قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الأولى، حيث انعكست كل الأزمات التي عاشتها فرنسا في صراعها مع محيطها الإقليمي سلبا على حياة الجزائريين في كل المجالات، وفضلا عن حالة الندرة التي عرفتها الجزائر، وانتشار الأمراض المختلفة والفقر والمجاعة في مناطق عديدة، فقد أدى تجنيد الشباب اليافعين إلى فقدان الكثير من الأسر لمعيليها، وهذا ما أدى إلى نشوب قلاقل ومظاهرات كما "هزت انتفاضة كبيرة الجزء الشمالي الغربي من جبال الأوراس "بلزمة Belezma، ومتليلي .Metlili "، وأعلن الثوار "البوبليك" أو الجمهورية باعتبارها رمزا للحرية، أي الجمهورية أو بعبارة أخرى: "نحن أيضا نريد أن نكون أحرارا ونريد أن نسود" وبسبب القمع الممنهج الذي قوبلت به هذه الانتفاضة، استبقي في الجزائر بين أكتوبر 1916 وربيع 1917 تعداد فرقتين عسكريتين كاملتين تحت أمرة الجنرال "ديسي دو بونفال"Deshayes de Bonneval.[10]

وفي كل الأحوال، لم تعد لتقاريرِ القيادة بدءا من ربيع 1915 النبرة نفسها عند الحديث عن الجزائريين، فبعد أن كانوا، في أعقاب مجازر 1914 يحشدون في مؤخرة الجيوش، تم تولى زمام أمورهم وحسن تدريبهم. وفيما كانت تصفهم التقارير في 1914 كقطيع مستنزف مرعوب، ازدادت إشادة بهم، سواء في آرتوا Artois على ضفاف نهر الصوم ، La Somme أو في فيردان Verdun.

الخاتمة:

لقد دفع الجزائريون ثمنا غاليا في الأرواح والممتلكات، مجبرين غير مخيرين دفاعا عن الراية الفرنسية سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية، وكان يحذوهم الأمل في نيل الحرية، بعدما تناغمت الوعود الفرنسية في كل مرة مع طموحاتهم، ولم يقتصر الأمر على الحربين العالميتين، بل استخدمت فرنسا الاستعمارية كل جبروتها لإجبار الجزائريين على الدفاع عنها في كل حروبها على غرار حربها في الهند الصينية.

ولم يكن الجزائريون محط أنظار الفرنسيين فقط بل كانت بسالتهم في القتال تلفت أنظار الجيوش المعادية، ولذلك ازداد اعتماد فرنسا عليهم لدرجة تجنيد الأطفال القصر، وقد أثرت الأحداث الدولية التي جرت في بداية القرن الماضي بطريقة مباشرة على مجريات الأحداث في الجزائر، ما أدى إلى قيام مظاهرات وثورات محلية ضد التجنيد الإجباري واحتجاجا على تردي الظروف المعيشية وتضاعف الغرامات والضرائب التي أضحت لا تطاق.

الهوامش

[1] - الجزيرة نت، الحرب العالمية الأولى، الأسباب والأطراف والخسائر، https://cutt.ly/9ggwDXh، تاريخ التصفح 2020./05/14

[2] - Alexis Feertchak, La Première Guerre mondiale en chiffres, le figaro, de 09 novembre 2018. P 12.

[3] - نيل، م هايمان، الحرب العالمية الأولى، تر: حسن عويضة، أبو ظبي، كلمة للنشر، 2012، ص 270.

[4]- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة على الانترنت، معركة فردان shorturl.at/hoAOS

[5]- عبد المجيد نعنعي وعبد العزيز سليمان نوار، التاريخ المعاصر: أروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، المنهل، 2014، ص 55.

[6] - نيل م هايمان، المرجع السابق، ص 241.

[7] - الجزيرة نت، الموقع السابق.

[8] - عبد الرحمن الراشد، العرب في الحرب العالمية الأولى، موقع جريدة البيان الإماراتية shorturl.at/myEH7 تاريخ المراجعة 20120./07/14

[9] - جيلبار مينيي، الجزائريون في الحرب العالمية الأولى shorturl.at/dnGW1

[10]- المرجع نفسه.

La révolution des Aurès selon le rapport d'Octave Dupont 1917

Dr. Djamel belferdi
Centre Universitaire De Barika

Introduction

Depuis des milliers d'année, les Aurès ont été un objet d'étude très important fans l'histoire de l'Algérie. Sans parler de la valeur des grands sacrifices consentis par ses habitants face aux politiques coloniales. De nombreuses sources historiques étrangères et locales traitent de l'histoire de la région, en particulier les événements survenus en 1916.Au premier rang de ces sources, nous trouvons l'Association du 1er novembre dans la ville de Batna, qui a contribué à clarifier certains aspects inconnus du soulèvement des Aurès 1916, et comme il n'y a pas assez de temps pour citer toutes les études historiques , nous mentionnons l'étude « la révolution des Aurès 1916 », faite par **Abdullah Shafi'idont** ainsi le livre « zouzou » de Abdelhamid ,qui nous a fourni de nombreuses informations sur l'histoire des Aurès .

Quant aux études françaises sur le sujet étudié, elles étaient nombreuses et variées, mais caractérisées par la subjectivité et biaisées vers l'idéologie coloniale et la nostalgie de la période française en Algérie. A l'exception de quelques études traitant du sujet et évoquant des événements réels comme la déclaration de la république pendant cette révolution. Cependant, des sources importantes sur le sujet, comme le Livre de Lyon, ne se trouvent pas dans les librairies algériennes, et elles ne se trouvent que dans celles du Maroc et aussi le livre de Robert « Augeron ».

Les plus importants de ses livres qui parlaient de la révolution de 1916 sont :le livre des musulmans algériens et de la France, et le livre de **l'Algérie algérienne**.

La source la plus importante sur laquelle nous sommes appuyés pour écrire l'article reste le rapport de l'inspecteur général des municipalités Octave Dupont, qui était considéré comme la principale source sur laquelle se fondent la plupart des études historiques.

Malgré sa vision unilatérale de l'événement historique et sa haine pour tout ce qui est algérien, son rapport reste très important pour étudier et analyser notre sujet qui traite exactement les causes, les antécédents et les conséquences.

1- causes et origines de la révolution

En effet, la révolution des Aurès 1916 a connu un parcours et des antécédents de grande envergure, la détérioration des conditions économiques et sociales a contribué à son éclosion, car le déclin de la production de blé, la pénurie de nourriture, l'augmentation des impôts français, la lutte pour le leadership, le problème de la loyauté envers toute l'administration coloniale, et d'autres facteurs ont alimenté la révolution et contribué au début de sa première étincelle. Surtout dans le sud de l'arrondissement de Batna, où Octave Dupont dans son rapport a cité certains de ces préparatifs et antécédents qui ont aidé la révolution, comme il l'écrivait:« Le mois de décembre 1914 a été témoin de divers incidents dans toutes les région ,surtout dans la région de Brikat, Ouled Sahnoun ,Ouled Ziane tels que des vols de bétail ,Les tribus rebelles ont également attaqué nos convois traversant leur sol .Cependant, l'attaque militaire la plus importante qui a eu lieu était celle qui visait un convoi militaire venant de la ville de Biskra, et qui a fait deux morts. Pour éliminer les criminels et rétablir la sécurité dans la région, des gardes ont été organisés dans des endroits sensibles, avec une patrouille mobile qui se déplace entre les postes de garde Grace à ces mesures, la situation s'est relativement améliorée ».[1]

Dans ces régions misérables et reculées, la rivalité était intense entre les dirigeants sur l'eau, les pâturages et les responsabilités supérieures. L'hostilité s'est déplacée au sein des familles elles-mêmes, et le conflit sur la terre et l'eau s'est transformé en lutte pour le règne de la tribu, et lorsqu'un groupe a été vaincu, il s'est écarté de l'obéissance du chef et de l'obéissance à l'autorité coloniale qui se tenait derrière lui.[2]

La vérité est que la cause de ces troubles était le mécontentement populaire général qui était régnée en Algérie pendant cette période. Il ne se limite pas seulement à la loi de conscription obligatoire imposée

par l'administration française aux Algériens, mais en plus de la situation générale dans laquelle vive le peuple algérien politiquement, économiquement et socialement ainsi que le code de l'indigénat imposé par la France aux Algériens. Le peuple algérien depuis 1865 peut à lui seul justifier la tourmente que le pays a connu pendant la même période, et si l'on ajoute à cela la loi forestière stricte imposée par la France aux paysans algériens et d'autres lois françaises arbitraires qui nous permettent d'accrocher les vraies raisons de la révolution des Auras de 1916.[3]

En 1912, un journaliste français écrivait à propos d'Aurès: «Je suis sûr que le peuple vont bientôt se soulever contre la France, surtout à Barika et ses environs, où règne une atmosphère terrifiante et une montée de la colère populaire contre les lois injustes approuvées par les autorités françaises. La confiscation des terres a appauvri les paysans et est devenu vulnérable à la faim et à la maladie. De plus, ils ont été empêchés d'émigrer en Syrie. Les pauvres ont perdu tout espoir et patience.[4]

Dans cette atmosphère chargée de rébellion contre les lois restrictives et injustes contre la jeunesse algérienne, et à la lumière de la règle de la faim et de la pauvreté, qui a presque détruit la vie des Eurasiens, un certain nombre de jeunes sont allés commettre des actes de sabotage contre les intérêts coloniaux.

Les chefs de la révolution de 1916 (Mohammed ben Noui, Massoud ben Zalmat et Omar ben Moussa) avaient fait preuve de déloyauté envers le gouvernement français, et s'étaient réfugiés dans les montagnes entre1913-1914, et à la suite de désaccords entre eux et les agents des bureaux arabes d'une part, et entre eux et les gardes forestiers d'autre part. Alors que Certains agents d'administration alimentaient ce conflit, et n'avait pas calmé la situation.[5]

En fait, la révolution était précédée de plusieurs actes de sabotage contre les intérêts coloniaux et d'actes de violence contre les colons, en particulier les années 1914-1915.

Certains incidents ont été mentionnés dans le rapport d'octave Dupont, notamment dans le sud, dans ce qui suit : « Il y a eu des incidents à Ain Touta qui ont fait sentir aux autorités locales que

quelque chose se cachait dans les coulisses, Il y a eu également un incident dans la ville de Barika, au cours duquel des rebelles de la région de Ouled Sahnoun ont attaqué la résidence du gouverneur et forcé les gendarmes à fuir. Ce qui a poussé les autorités coloniales à destituer le chef de la région du Hodna « Mohammed ben Elhadj » et à arrêter 16 hommes accusés d'inciter à la rébellion et de semer le trouble. En fait, la cause de cette tension est le résultat de règlements de compte entre certaines familles que les gaids sont souvent soutenues ». [6]

Dans le cadre du recrutement obligatoire, une réunion s'est tenue au siège du gouverneur de la commune mixte Mac-Mahon, à laquelle ont participé le chef adjoint de l'arrondissement de Batna, le chef de spahis , le chef du comité d'examen médical et certains Gaids . Les participants ont discuté le sujet du refus, les jeunes d'Ouled-ouf font appel à la conscription obligatoire dans l'armée française .Et les convaincre de changer leurs positions. Bien que certaines aient refusé de répondre à l'appel au recrutement, d'autres se sont retirées et ont envoyé leurs enfants dans l'armée, comme les citoyens du Douar Elbrikat et Douar Ouled Chlih.

En effet, toutes les tribus et Les Arches n'étaient pas contre la conscription obligatoire, car certains étaient sous l'influence de chefs de tribus coopérant avec la France. Par conséquent, le gouvernement français considère la révolution de 1916 comme une révolution purement berbère, comme en témoignent les télégrammes que l'administration française a échangé entre eux lors de ces événements.

Voici un exemple de ce qui était déclaré dans ces télégrammes: «Dans la commune mixte d'Ain M'lila Sur les 830 inscrits au service militaire, 146 d'entre eux se sont soumis, dont 89 sont Chaouia, et contrairement à d'autres régions, ils ont totalement refusé le service . Quant aux autres tribus arabes, elles ont répondu aux ordres. Français en toute simplicité, dans un télégramme du 17 décembre 1916, et dans un autre télégramme du 22 décembre 1916, son expéditeur dit: le douar de Ras El-Ayoun a envoyé tous ses inscrits au service militaire, ce douar dont la population est estimée à 8000 personnes a exprimé son

désir qu'il restera fidèle aux ordres de l'état français dès le premier moment ».[7]

Les jeunes qui refusent de rejoindre les rangs de l'armée française n'ont pas trouvé d'autre solution que de fuir vers les montagnes et de s'y réfugier, selon Dupont les jeunes s'exclamaient que la mort au sommet des montagnes et des vallées est plus chère que la mort en France et pour le bien des infidèles.[8]

2-Le déclenchement et l'évolution de la révolution

Toutes les raisons de l'explosion d'une révolution se rassemblèrent bientôt dans les Aurès, surtout dans le sud. Tous ceux qui s'indignaient contre la France se rassemblèrent autour des chefs et décidèrent du soulèvement contre l'administration française le 11 novembre 1916.

Ceux qui fuyaient la conscription obligatoire se sont organisés avec les déserteurs de l'armée française, en particulier les troupes de spahis, qui sont stationnés dans les montagnes des Aurès sous le commandement de Mohammad ben Noué, et autour ses premiers camarades qui se sont éloignés de l'obéissance du colonialisme pour diverses raisons.

Leurs actions étaient initialement dirigés contre les agents de l'administration, contre les colons et les gardes forestiers, et ils ne voulaient pas attaquer les habitants mais étaient du côté des pauvres. L'administration a fermé les yeux sur eux au début, et n'a pas donné le signal de les poursuivre, mais le développement des conditions et l'augmentation des troubles à la suite de la conscription forcée, qui ont forcé l'administration à menacer les familles des évadés .A propos de ce sujet octave Dupont dit ce qui suit :« Mohammad ben noué avait commencé ses activités armées contre les colons et les gardes forestiers depuis 1906, mais il l'a abandonné temporairement, puis est revenu vers lui après 1913, quand il est retourné au mont Metlili et a commencé à mener des opérations de guérilla contre les colons et les Gaids accompagnés de Lousif Mohammad et Jaballah ben Ali. Ils ont commencé à monter des embuscades sur la route reliant Ain Touta et el Qantara, et la route reliant Biskra et Barika.. à la suite de ces actions, la gendarmerie française a décidé de les poursuivre ».[9]

La ville d'Ain Touta était le berceau de la révolution, ou les révolutionnaires de toutes parties et tribus, Le plus important d'entre eux est la tribu Ouled ouf dirigée par le chef ben noué ont commencé à attaquer le siège municipale, dans laquelle un certain nombre d'administrateurs français séjournaient avec le chef adjoint de l'arrondissement Où ils comptaient les conscrits dans l'armée française.

Henri Marçeille et un certain nombre de fonctionnaires ont été tués dans l'attaque et de nombreux employés de l'administration française ont été blessés. Après cela, les rebelles ont incendié la gare et détruit les voies fermées et les lignes téléphoniques et infligé de lourdes pertes à l'occupant[10].

À propos de cet incident, l'auteur du rapport nous dit ce qui suit : «Cassine li Victor, le chef adjoint du département de Batna, qui était en mission à Ain Touta, a également reçu plusieurs coups qui l'ont jeté au sol, mais il n'est pas mort et il a été transféré le lendemain à l'hôpital de Constantine, où il a succombé à ses blessures. Une des filles du gouverneur de la municipalité a également été blessée par une balle qui l'a frappée à l'estomac. Les assaillants ont vidé le palais des Français, confisqué de l'argent et saisi le montant de 18 000 francs français qui se trouvait dans le trésor du gouverneur, ainsi que les bijoux de sa femme »[11].il ajoute en disant: « Cet incendie a transformé Ain Touta en jour et a réveillé tous les dormeurs et a facilité la fuite des Français vers les champs. Le lieutenant-colonel Rahmani dit que Mohamed ben Omar, qui a assisté à l'attaque, avait plaidé ben noué pour qu'il ne tue pas l'épouse du gouverneur et ses filles, il m'a permis de m'emmener chez moi. Les rebelles ont reçu 24 fusils et boîtes de fusils de chasse ».[12]

La révolution s'est poursuivie et ses répercussions se sont étendues à toutes les régions de l'est, de l'ouest, du nord et du sud, et sa résonance a atteint Khenchela, où la jeunesse s'est levée dans plusieurs régions, et plusieurs tribus ont refusé d'envoyer leurs fils à la guerre en Europe, et ici Octave Dupont nous raconte un aspect de ce qui se passait à Khenchela, où il a déclaré dans son rapport le suivant: « Les jeunes descendants du Douar de Ouled Amar ,Ouled Tifough,de la

tribune de Alinas,et de Beni Mloulse sont montrés mécontents de la loi, C'est alors que le processus de comptage a commencé à Tabardga, et dans ce cas, les signes de tension sont apparus sur Bani Melloul, Barajah, Walja et Chashar. Les ecclésiastiques eux même, ont également été les instigateurs du déclenchement de la révolution, et en particulier leur Chikh Mohammad al-Tayib ben Nasser, qui a personnellement dirigé un groupe de rebelles qui ont attaqué Biskra, et incité les habitants à ne pas répondre à cet appel, et laarch de Bani Bouslimane a été isolé par le bâton de l'obéissance contre ce projet ».[13]

Il ajoute « Les rebelles ont profité de la dispersion des divisions françaises sur tout le territoire d'arrondissement du Batna et ont lancé des attaques diverses et intenses contre les colons et les agents de l'administration coloniale en particulier, le chef de la division Zouave a soumis un rapport au commandant de l'armée africaine en disant: « Nous sommes à nouveau confrontés à des actes terroristes, et nous ne pouvons pas leur résister, étant donné nos capacités humaines limitées.

Le rapport appelait à faire venir de nouvelles équipes dans la région pour coopérer, intensifier les opérations militaires contre les rebelles protéger nos habitants et restaurer les routes endommagées ».[14]

3- conséquences de la révolution et oppression coloniale contre les citoyens

La répression a été si rapide et puissante qu'elle a rapidement étouffé la rébellion, et les punitions corporelles et matérielles ont été cruelles .Alors que le gouverneur général a donné ordre aux forces armées et à l'administration de faire face rapidement et par tous moyens à ces troubles, le gouverneur général suivait avec intérêt ces opérations militaires qui se déroulaient dans les Aurès sous son commandement. N'eut été de la violence et de l'usage de la force, le gouverneur général et ses forces militaires n'auraient pas pu en deux mois faire taire la rébellion. Cela a été fait par des équipes de police, des bataillons de Zouave, des soldats noirs, des forces venues de France.[15]

Ces armées ont mené à bien leur mission et par un siège et une enquête minutieux, les clercs, les fugitifs, les femmes et les enfants ont été arrêtés, et personne n'a échappé à cette opération, et cela est dû à la taille limitée de la zone dégradée d'une part et à la densité des forces militaires d'autre part. Aussi bien que la durée du siège, la cruauté de la nature, la confiscation coloniale de divers animaux d'élevage et la création de centres militaires aux points d'eau pour empêcher l'eau des citoyens et des rebelles, en plus de la coopération de certaines personnes et familles qui ont contribué à l'éradication de l'insurrection si rapidement en raison des persécutions et de la torture. Tout ceux-ci ont réduit la propagation de l'insurrection.[16]

Après tout cela, l'armée française a remis toutes les personnes arrêtées à l'administration locale, qui a placé la plupart d'entre elles dans des prisons en attente de jugement, et dans ce contexte, les gens arrêtés d'ouled ouf, et de Metlilé, Texlante, Balzma, Mistawa et Arris ont été emmenés en prison dans l'attente d'ordres et de verdicts. À propos des actes répréhensibles commis par certains d'entre eux.[17]

Octave Dupont réclama l'impuissance de la France envers les révolutionnaires : « Il ne nécessite pas la destruction des rebelles Chaouis et de ceux qui nous ont forcés à cette méthode, qui n'est pas du caractère et des traditions de la France, mais quoi que nous nous vengions d'eux, nous ne pouvons pas compenser le sang français qui a versé et les pertes matérielles que nous avons dépensées pour nos soldats »[18].Il ajoute « Pas de lourdes amendes et qu'elles n'étaient pas sévères, mais plutôt il a été suggéré que les Chaouias soient intégrés dans la défense nationale, car ils sont toujours prêts à la désobéissance et à la rébellion ».[19]

Octave Dupont a également suggéré La nécessité de doubler les années de service militaire pour punir la population en disant: « Afin d'éliminer le phénomène de rejet de la conscription obligatoire, il faut à notre avis doubler le recrutement de la population dans l'armée et dans les usines, et la propagande extérieure, les papeteries et la direction nationale doivent être éliminées, et la région d'Aurès en particulier doit être reconsidérée.[20]

Il a également souligné la nécessité d'éradiquer les Rahmaniens et de mettre fin à leurs activités religieuses dans la région, en disant : « Nous avons remarqué dans cette rébellion que les Rahmaniens éparpillés dans toute les Aurès sont nos ennemis, car ils se sont révoltés contre nous dans la période la plus critique de l'histoire de la nation française, et je recommande que ceux-ci soient étroitement surveillés, car ils travaillent en secret contre la présence française en Algérie, et ils ont des relations à l'étranger. Ils ont une influence dangereuse sur la population au nom de l'islam ».[21]

La violence contre les rebelles et les sièges renforcés contre les villages et les campagnes pour poursuivre les fugitifs sont continuent selon Dupont:« Quant à la Bataillon militaire de Vidal, elle inspectait Balzma, Berich et en même temps une ceinture a été installée autour du mont Ouled Sultan, afin que les équipes de cavalerie soient stationnées à Ain Touta, Sofiane et dans d'autres zones pour empêcher les rebelles de partir et d'essayer de les arrêter. Autour du mont Mistawa, Shalaa et Jerma, pour assiéger Halimiya, Ouled chlih et Hrakta. Ceci afin d'entraver les mouvements des rebelles et des déserteurs. les opérations d'interrogation se sont également intensifiées et à la suite de ce travail, la plupart des rebelles ont été arrêtés ».[22]

Les forces françaises ont perdu trois avions militaires alors qu'elles menaient des vols pour explorer les lieux dans les Aurès, et nous ne connaissons pas les raisons de leur chute. Lors des recherches à Methlili, ces forces ont trouvé la plupart des armes que les rebelles avaient saisies lors de l'attaque d'Ain Touta. Il y avait 24 fusils de (N°1874) et 2 146 balles, ne laissant que 23 d'entre eux. Un fusil et environ 2000 balles. »Puis le rapport ajoute:« Malgré la brutalité des zouaves et les méthodes de torture des citoyens sénégalais, et malgré les habitants savent où ils se cachent les armes, notre armée n'a pas réussi à découvrir les armes restantes.[23]

D'autre part, Le général Mollien a écrit pour dénoncer les injustices commises par les parachutistes militaires français en 1916, et lui-même a participé à la conduite et à la direction des opérations militaires.[24]

Et si nous revenons à l'étude des rapports militaires, nous constatons qu'ils confirment que la France a réussi à éliminer une grande révolution populaire, mais il y a des historiens militaires français qui ne sont pas d'accord avec cette opinion, et ils disent que la révolution de 1916 n'a pas été aussi importante que les autorités militaires l'ont donnée, que ce soit pour la réprimer. Ou dans ses rapports officiels ».[25]

Si les autorités françaises se sont réjouies de l'éradication rapide de la révolution, l'Aurès est ensuite formé le berceau d'une révolution majeure qui a conduit à la fin de l'occupation française en Algérie, et peu importe l'ampleur des pertes pour le peuple, la révolution de 1916 a contribué au développement de l'idée de la révolution parmi la population de la région.

Conclusion

La révolution de 1916 dans l'Aurès a été un épisode de résistance populaire et l'une des formes de défi les plus importantes de l'histoire contemporaine de l'Algérie, qui a connu la déclaration de la République algérienne, et elle a démontré le courage de ses héros qui ont annoncé la révolution sans penser à leurs sorts.

Les causes de la révolution étaient variées et liées aux circonstances locales, régionales et internationales, y compris la propagande ottomane et allemande, et la loi de conscription obligatoire qui a forcé les jeunes Algériens mineurs à faire la guerre aux côtés de l'occupant infidèle.

Malgré la multiplicité des chefs de la révolution, l'objectif des dirigeants était de défendre l'Algérie, et leur discours s'est rassemblé autour de l'idée du jihad contre l'occupant infidèle.

Malgré la courte période de la révolution et son manque d'expansion pour inclure toute l'Algérie, elle a rencontré la sympathie des habitants d'autres régions, et malgré ses résultats ont été désastreux pour le peuple, étaient en même temps une forte motivation pour le peuple à poursuivre sa lutte contre les mesures coloniales arbitraires et cela a continué jusqu'à ce qu'il soit en mesure de faire exploser la révolution de 1954.

[1]-Octave Dupont, Rapport de Monsieur l'Inspecteur général des Communes Mixtes, Directeur intérimaire des Territoires du Sud, concernant les troubles insurrectionnels de l'arrondissement de BATNA en 1916, en date du 1er septembre 1917.p99.

[2]- عبدالله الشافعي، ثورة الأوراس 1916، مذكرة لنيل ديبلوم الدراسات المعمقة في تاريخ الجزائر الحديث، الجزء الأول ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ،1986، ص65.

[3]-octave Dupont,op-cit,p110.

[4]- عمار هلال ، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، (1830-1962)**، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1995، ص182.

[5]- عبدالله الشافعي ، المرجع السابق، ص65.

[6]- octave Dupont,op-cit,p80.

[7] - Charles Robert Ageron, L'Algérie algérienne de napoléon 3à de gaulle, presses univer -Sitaires de France, Paris, 1980, p119.

[8] - Octave DuPont, op-cit, p104.

[9]- Ibid,p

[10] -**La dépêche de constantine zouzou rue, N°**2926 ,le 15Novembre1916.

[11]-Octave Dupont, op-cit, p41.

[12]-Ibid, p46.

[13] - Octave DuPont, op-cit,p-p85-87.

[14] -Ibid, p333.

[15]- عبد الله الشافعي ، المرجع السابق،124.

[16]-Octave Dupont, op-cit, p349.

[17]- عبد الله الشافعي، ثورة لأوراس 1916، الجزء الثاني، ص118.

[18] -Octave Dupont, op-cit, p356.

[19]-Ibid, p358.

[20] -Ibid, p403.

[21]-Ibid, p-p408-413.

[22]-Ibid, p, p334 , 336.

[23]- عبدالله الشافعي، ثورة الأوراس 1916، الجزء الثاني، ص118.

[24]- Charles Robert Ageron , op-cit,p108.

[25]-Ibid,p101.

الخاتمـة

شكلت ثورة الأوراس 1916 إحدى الإرهاصات الثورية في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ورغم الخسائر الجسام التي تكبدها سكان المنطقة نتيجة الرد الفرنسي المدمر على البلاد والعباد، فشرد، وقتل وأسبى، ونزع الملكيات والأراضي، وأجهض المشروع الجمهوري للدولة الجزائرية الذي تم إعلانه قرب بومقر بنقاوس، وكان قاب قوسين أو أدنى أن تكتمل خيوطه، وأجبر الشباب الجزائري على السفر عنوة، وتقديمهم في الصفوف الأولى للجيش الفرنسي كوقود للحرب العالمية الأولى، وكان السعي حثيثا من طرف قيادته الجماعية المرتامية على أطراف الأوراس غربا وشمالا وشرقا، وعجلت في طرح ما يعرف بالجمهورية الجزائرية.

قدمت الدراسة مجموعة من القراءات حول الحدث المؤسس والبارز إبان الحرب العالمية الأولى، وإرتكزت مساهمات المجموعة الممثلة لنخبة الأساتذة المشاركين في البحث حول مساهمة الظروف الإجتماعية، والإقتصادية الداخلية للجزائريين في إذكاء روح التحدي والمقاومة، لدى الرجل الأوراسي، وكيف ساعدت السياسة الفرنسية التعسفية في إبراز ذلك الوعي لحيز الممارسة الفعلية لدى الجزائريين" بالأوراس" من خلال إبداء رفضهم المطلق لفكرة التجنيد الإجباري الفتيل الذي أشعل نار الثورة.

لم يكن العامل الداخلي بالمحدد الرئيس في الثورة بل ساقت لنا بعض المداخلات الفواعل الدولية العامة الذي كانت تحياه الثورة الأوراسية، منها خاصة حالة الطوارئ التي كانت عليها أوربا وفي خضم حرب مونية مدمرة، ولم يكن الوضع الإقليمي بأفضل حال، خاصة مع تصاعد فكرة الدعاية الألمانية في المشرق العربي تماما مع ظهور فكرة الجامعة الإسلامية التي دعى وعمل على إنجاحها السلطان العثماني، غير أنه إصطدم بفكرة الوحدة العربية التي كان يقودها الشريف حسين" شريف مكة" وأبنائه، ومع الإختلاف في الأدوات بين الطرفين في تحديد أهدافهما ووسائل تعاطيهما السياسي أضحت المنطقة العربية بين مطرقة دول المركز" ألمانيا" ، وسندان دول الحلفاء، والتي تزعمها عرابها الشريف الحسين الذي تعهد بالوقوف إلى جانبها رغم الخذلان الغربي" الفرنسي الإنجليزي "له منذ مراسلاته مع مكماهون ومرورا بإتفاق سايكس بيكو، ووصولا إلى فاجعة وعد بلفور1917.

ولطالما كان الإنسان المحرك الأساسي في الأحداث من حيث صناعتها وتطويعها، فإن للثورة الأوراس قيادات نصبت نفسها كزعماء لها، ومن هذه الزاوية وقفت بعض المدخلات على أنماط معينة من القيادات المحلية لثورة الأوراس على غرار، عمر اوموسى أوعقيني في جبل مستاوة، وفيها حاول الباحث إماطة اللثام على هذه الشخصية الفذة، ويقابله في الأوراس الشرقي شخصية الزعيم مسعود أوزلماط الذي حفظت لنا بعض الروايات الشفوية موروث حياته التي تلامس حدّ الأسطورة، وشخصيات هامة أخرى منها على الخصوص شخصيات، العيدون الهيدوق من منطقة بريكة الذي كان له شرف تلاوة مشروع الجمهورية الجزائرية بعين بومقر بين نقاوس وبومقر بتاريخ 26- 04- 1916، مع مجموعة من أبطال آخرين على غرار محمد بن علي النوي الذي دمر مركز حاكم مكماهون " عين التوتة" ليلة 11-1916/11/12، والزعيم الروحي لأولاد عوف أحمد بوهنتالة، والشيخ محمد بلوذيني، والشيخ محمد بن السعيد رحماني، وبوراضي محمد، وبوزيد محمد، ومنها شخصيات أخذت مكانتها في ثنايا بعض المداخلات.

وقد فرضت طبيعة الموضوع على الباحثين الإبتعاد عن السرد والوصف الشامل بل والتركيز على الجانب التحليلي لأن الحدث يتطلب ذلك خاصة بعدما سلكت فرنسا الإستعمارية للتعسف والقهر في إستعمال القضاء كمطية لزيادة القمع الوحشي المسلط على الجزائريين، وتصديق ذلك بآلية حرب الإبادة من خلال بعض الشهادت التاريخية، والتقارير الفرنسية التي تناولت بشيء من التفصيل الجوانب المتعلقة بالإستراتجية الفرنسية للقضاء الثورة، والتي رسمتها على أنها إنتفاضة دون عوارض فجائية، بل مثلت الخط المستقيم الذي سارت عليه غالبية المقاومات الشعبية، والتي كانت عنوان الجزائر في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، كلها محطات كان لها نصيب من التحليل العلمي، والوصف